

رئيس التحرير
الدكتور محمد عبد المطلب البكاء

مجلة تراثية فصلية محكمة

من دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والإعلام
الثامن والعشرون ، العدد الرابع - ٢٠٠٠ م - ١٤٢١ هـ

في هذا العدد

لم تعرف (الكوفة) بهذا الاسم قبل تمصيرها ،
وحين مصرت أطلق عليها هذا الاسم الذي اختلف المؤرخون
في أصل التسمية به ، قال ابن سيده : الكوفة بلد سميت بذلك
لان سعداً لما اراد ان يبني الكوفة ارتادها لهم ، وقال : تكوفوا في هذا
المكان ، اي اجتمعوا فيه . والتكوف : التجمع ، وذكر ياقوت وغيره اقوالاً
كثيرة اوجهاها انها « سميت كوفة بموضعها من الارض ، وذلك ان كل رملة
تخالطها حصياء تسمى كوفة » .

وقد نمت الكوفة بعد تمصيرها سريعاً حتى اصبحت حاضرة عراقية كبيرة في
مطلع القرن الرابع الهجري ، وذلك بحكم موقعها واشرافها على سهل واسع فضلاً عن
خصب الارض ، ووفرة المياه . قال الاصفهاني بن قيس فيها : « نزل اهل الكوفة بين
الجنان الملتفة ، والمياه الغزيرة ، والانهار المطردة تأتيهم ثمارهم غضة لم تُخْضد
ولم تفسد » .

وعلى الرغم من ان الكوفة حديثة العهد بالنشوء اذا قيست بالبصرة ان خططت
بعد تخطيط البصرة بسنتين او ثلاث الا ان الاتصالات بينهما سرعان ما بدأت منذ ان
مصرت الكوفة فلم يحدث شيء في البصرة الا وجدت صدها في الكوفة وما عرف شيء
في الكوفة ، الا رأيت اثاره في البصرة ، بعد ان نزل فيها سبعة من رجلاً من صحابة
رسول الله (ﷺ) ممن شهدوا بدرأ ، وثلاثمائة من اصحاب الشجرة .. وفي مقدمة من
نزلها من الصحابة عمار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وقد بعث بهما الخليفة عمر
(رض) ليكون الاول اميراً ، والثاني مؤمناً ووزيراً ، وقال في تعريفهما لاهل الكوفة :
« هما من النجباء ، من اهل بدر ، فخذوا عنهما ، واقتدوا بهما ، وقد ائرتكم بعبد الله
ابن مسعود على نفسي » .

ملف العدد : الكوفة كنز الايمان ١٩ - ٤٨

وقيل فيها : « الكوفة بلاد الادب ، ووجه العراق ، وهي غاية الطالب ومنزل خيار
الصحابة ، واهل الشرف » .

المحرر

المياة الاستشافية

الاستاذ هلال ناجي
د . سامي مكي العائلي
د . محمود عبدالله الجادر
د . عماد عبدالسلام رؤوف
الاستاذ أسامة النقشبندي

مدير التحرير

د . هدى شوكت بهنام

سكرتير التحرير

د . مي فاضل الجبوري

التصميم والافراج الفني

جنان عدنان لطيف

التصميم اللغوي

نجلة محمد

فيوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة -
لأعظمية
ص . ب : ٤٠٣٢ بغداد
جمهورية العراق
هاتف : ٤٤٣٦٠٤٤
فاكس : ٤٤٤٨٧٦

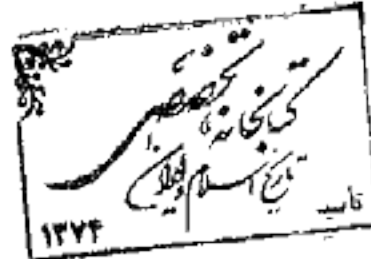
الأسعار

العراق : ٢٥٠ ديناراً ، الأردن : ديناران ،
الإمارات : ٣٠ درهماً ، اليمن : ٣٠ ريالاً ،
مصر : ٣ جنيهات ، ليبيا : ٣ دنانير ،
الجزائر : ٦٠ ديناراً ، تونس : ديناران ،
المغرب : ٣٠ درهماً

المشاركة السنوية : ٥٥ دولاراً في الأقطار العربية . في دول العالم
الأخرى ٨٠ دولاراً

المحتوى

- - حي على الجهاد د. محمد البكاء ٢ - ٢
- - يوم الاحزاب عبدالقادر التحافي ١٨ - ٤
- ملف العدد في الكوفة كنز الإيمان
- - التركيب الداخلي لمدينة الكوفة أ. د. صباح محمود ٢٦ - ٢٠
- - الكوفة في المصادر الجغرافية العربية أ. د. بهجت كامل ٣٧ - ٢٧
- - خندق الكوفة في التاريخ أ. د. حسن الحكيم ٤١ - ٣٨
- - الصحابة الكرام في الكوفة أ. د. حسين أمين ٤٤ - ٤٢
- - أثر السكوني كبير أطباء الكوفة ناجي محفوظ ٤٨ - ٤٥
- في صدر الاسلام
- بحوث ودراسات
- - الهوية القومية في كتب الادب العربي أ. د. محمود عبدالله الجادر ٥٨ - ٤٩
- - الاقتراض اللغوي د. حاكم الزيايدي وعلي جاسم ٧٠ - ٥٩
- - شعراي تمام في دراسات المحدثين د. نبيل محمد سلمان ٧٥ - ٧١
- - مقابسات في الفلسفة الصوفية عزيز عارف ٨٧ - ٧٦
- - القراءات القرآنية المتواترة د. صالح مهدي عباس ٩٩ - ٨٨
- نصوص محققة
- - شرح القصائد السبع لابن كيسان أ. د. محمد حسين آل ياسين ١٢١ - ١٠٠
- اخبار التراث العربي إعداد : حسن عريبي ١٢٧ - ١٢٢
- المحتوى ١٢٨



حي على الجهاد

أنعم الله سبحانه على المجاهدين بفيض محبته قال تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » . روي ان المسلمين قالوا : لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فأنزل سبحانه هذه الآية الكريمة . كما ندب سبحانه المسلمين الى جهاد الاعداء بقوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » . ومن قوله (ص) : « واذا استنفرتهم فانفروا » . فالاستنفار : الاستنجد والاستنصار اي ان طلب منكم النصرة فاجيبوا وانفروا خارجين الى الاعانة .

لقد حق الجهاد في محاربة اعداء الله واستفراغ ما في الوسع والطاقة من القول والفعل واعداد العدة لملاقاة العدو امتثالا لامر الله سبحانه : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » واعداء الله في يومنا هذا هم الكفار واليهود الصهاينة الذين استباحوا حرمة الله ودنسوا ثالث الحرمين واولى القبلتين مسرى نبي الهدى والرحمة (ص) وعاثوا في الارض فسادا بعد ان اخرس الخوف ألسنة بعض الخائعين الذين غرتهم الحياة الدنيا وارتضوا المذلة والمهانة وعلقوا آمالا خائبة كخيبتهم في ان تكون اميركا حكماً عدلاً منصفاً لا يهادن او يناور .

لقد تكشف كل الحقائق وبلغ السيل الزبي فحياد اميركا فرية ارتضاها الذين في قلوبهم مرض . وحقد الصهاينة لم يعد خافيا بعد ان برح الخفاء وبان المستور الذي تناقلته محطات التلفزة ولم يبق ثمة طريق الا طريق الجهاد ذلك الطريق الذي رفع رايته الاولى نبينا الكريم (ص) مُبْلِغاً وَمُنْذِراً وتوالى على رفعها من بعده الخلفاء الراشدون (رض) لارتباطها بعقيدتنا السمحاء التي تعد « الجهاد ذروة سنام الدين » لذا لم يبالغ ابو تمام في قوله لان الجهاد عنده فرض بمنزلة الحج ، قال :

والحج والغزو مقرونان في قرن فآذهب فانت زعاف الخيل والابل

كما ان النصر معقود للمجاهدين الذين ربحت تجارتهم ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » . فالنصر من عند الله العلي العزيز الذي

جعله سبحانه وتعالى حقاً عليه ، قال : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . اما الشهداء فلهم منزلتهم التي لا تبارى بعد ان كتب لهم الشهادة فهم احياء عند ربهم يرزقون . روي عن النبي محمد (ص) : « ما من قطرة احب الى الله تعالى من قطرة دم في سبيله ، او قطرة دم في جوف ليل من خشيته » .

وما روي ايضا : ان رجلا سمع عبدالله بن قيس (رض) يقول : قال رسول الله (ص) : ان الجنة تحت ظلال السيوف . فقال : يا ابا موسى انت سمعت رسول الله (ص) يقوله . قال : نعم . فرجع الى اصحابه فقال : اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فآلقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل .

واليوم اذ تستباح المحرمات ويسفك الدم العربي غيلة وغدرا ومجلس الامن لا يملك الا ان يستنكر (الاستخدام المفرط للقوة) من دون ان يسمي المجرم باسمه .. لم يبق ثمة طريق غير طريق (الجهاد) الذي اشره قائد جمع المجاهدين الرئيس القائد في حديثه الذي دعا فيه الى اعتماد (الجهاد) سبيلا الى تحرير فلسطين والمقدسات وان اي سبيل آخر بديلا عن التحرير هو انحراف عن الطريق الصحيح وتضليل للجماهير .

روي عن النبي محمد (ص) انه قال : « قال الله تعالى : ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره » .

فيا ايها العرب : ان قدسكم (بيت الله) اسيرة حراب بني صهيون وانتم الذين اختاركم الله ائمة لها ولا طريق لفك اسرها الا (الجهاد) الذي فرضه الله على المؤمنين الصابرين الذين يعشقون الموت لتوهب لهم الحياة ، وانتم الذين قال قائلكم :

لسنا وإن احسابنا كرمتم يوماً على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ، ونفعل مثلما فعلوا

وأخر ما نختم به دعوانا ، قول قائدنا المجاهد وتضرعه الى الله سبحانه في ان ينصر امة العرب ويعز المسلمين وان يعين المخلصين على الجهاد لانقاذ المسجد الاقصى المبارك اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ويشد ازر ابتاء شعبنا العربي الفلسطيني المجاهد في انتفاضته الباسلة ضد العدو الصهيوني المجرم

يوم الأحزاب

(معركة الخندق)

العميد الركن
عبد القادر التحاني

((وَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ،
وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا))

"صدق الله العظيم"

فيما التقطت من سيائلكها التميمية تصرف من يُعنى بقنص المعنى
دون نص المبنى . فلمؤلفيها .. جزأهم الله خير الجزاء .. دعائي
الوافي وشكري الزاخر وتناثي الوافر .

صدر الكلام (الموقف العام)

هدأت الجزيرة العربية بعد غزوات الرسول (ﷺ) وسراياه
التي استقرت زهاء سنتين منذ معركة أخذ تطوف منتشرة في
الجوار ، وعاد الأمن والاستقرار إلى الديار ، لكن اليهود الذين كانوا
قد عوقبوا على غدرهم وخيانتهم ومؤامراتهم لم يفيقوا من غيهم
ولم يتعظوا بما أصابهم نتيجة الغدر والتآمر . فبعد إجلاء بني
النضير عن حصونهم ورحيلهم إلى خيبر ظلوا ناراً تحت رماد
يذقظرون ما يحل بالمسلمين عقب المناوشات التي كانت جارية
بين المسلمين والمشركين . ولما تبرز موقف المسلمين وتحولت
الظروف لمصلحتهم وبسطوا نفوذهم ورجحت كفتهم ، وتوطد
سلطانهم ثارت حفيظة اليهود كزة أخرى ، فنفضوا الرماد عن نار
الاحقاد وطفقوا يتآمرون من جديد على المسلمين ، ويتهيئون
للنيل منهم بضربة قاضية . ولما لم يكونوا يجدون في أنفسهم
الجرأة على المواجهة الحربية المباشرة ، خططوا لهذه الضربة
خطة رهيبة وباشروا بتنفيذها بانقضاء صيف سنة أربع هجرية
(٦٢٦) ميلادية ، فخرج وفد مؤلف من عشرين رجلاً من يهود
بني النضير من خيبر ، ومن بني وائل وغيرهما إلى مكة برئاسة
حيي بن اخطب الذي كان من قبل زعيم بني النضير في المدينة
حتى قدموا على قريش وتفاوضوا مع أبي سفيان ورهطه وأثاروا

الحمد لله وحده ، الكبير المتعال ، هازم الأحزاب في شوال ،
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد أسوة المؤمنين
الابطال ، ولا زال التوفيق ملازماً جنده في السلم والقتال ، وعلى
كل حال .

أما بعد . فان أيام الاسلام (المعارك) الحاسمة في القرآن ،
هي : يوم الفرقان (معركة بدر) ويوم التقى الجمعان (معركة
أحد) ويوم الأحزاب (معركة الخندق) ويوم الفتح المبين (فتح
مكة) ويوم حنين (معركة حنين) .

وهذه ورقة عسكرية مجالها التاريخ الاسلامي في عهد النبوة
وتختص بيوم الأحزاب يوم تالبت قريش وحلفاؤها على نعبة
الاسلام الطرية في عامها الهجري الخامس فهزم الله الأحزاب
بجنده المرتين وغير المرتين . والغرض من هذه الورقة بيان
الاجراءات العسكرية الدفاعية تجاه هجوم الأحزاب ، ولا سيما
مواصفات الخندق المحفور الذي باغت المسلمون به المشركين ،
وكيفية الدفاع عليه وخلفه مما أثار الدهشة في تلك الايام .
وقد عنونتها (يوم الأحزاب) لأن اليوم عند العرب حتى
ذلك التاريخ يعني المعركة ، وأن الأحزاب تسمية قرآنية للفئات
المتألفة بأصرار للصلة عن سبيل الله في ذلك اليوم . وقد جمعت
لباب النقول من أربعة مصادر اصول هي : مغازي الواقدي ، وسيرة
ابن هشام ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري ، ومراجع أخرى
حسنة اقدت منها واشرت إليها في الحواشي (الهوامش) ليعود
إليها من طلب المزيد أو النص المسطور فقد كنت أحياناً متصرفاً

قلق قريش ومخاوفها من انتشار الاسلام في الجزيرة العربية ، واذا ما وصل المسلمون الى اليمامة فان طرق تجارتها الى البحرين والعراق سيصيبها الانغلاق ، ودعوههم الى حرب رسول الله (ﷺ) حرياً حاسمة يوالونهم فيها ويعدونهم بجر النصر اليهم ويمنونهم بالزعامة (١).

قالت قريش لهؤلاء النفر : « يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول ، والعلم بخلافنا مع محمد ، أفديننا خير ام دينه ؟ » قالوا : « بل دينكم خير من دينه وأنتم اولى بالحق منه » . فهؤلاء النفر هم الذين انزل الله تعالى فيهم* الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجيب والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً* أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً* (٢)

استسر القرشيون بذلك ونشطوا لما دعوههم اليه ووافقوا على حرب محمد اذا انضمت اليهم قبائل عربية اخرى (٣) . ثم ذهب الوفد الى غطفان من قيس عيلان وبني أسد ، ودعوههم الى حرب المسلمين واخبروهم انهم سيكونون معهم عليهم وان قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، فحققوا نتائج مذهلة باستجابة غطفان وبني أسد لهم (٤) . ثم طاف الوفد في سائر القبائل المجاورة يدعوهم الدعوة عينها فاستجاب لهم من استجاب ، وتم الاتفاق على الاشتراك في حملة كبيرة لقتال المسلمين . وهكذا نجح ساسة اليهود وقادتهم في تاليب أحزاب الكفر والشرك على رؤاد الدين الاسلامي .

وفعلأ خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهما من أهل تهامة ، ووافاهم بنو سليم بمر الظهران . وخرجت من الشرق قبائل غطفان الثلاثة : بنو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وبنو اشجع بن ريث بن غطفان وبنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان (٥) . كما خرجت بنو أسد وغيرها واتجهت هذه الاحزاب صوب المدينة على ميعاد متفق عليه . ولما سمع الرسول (ﷺ) بما اجمعوا عليه من حربه حصن المدينة وابتدع خندق الميدان في أنسب مكان للدفاع عنها .

قوات الطرفين وأهدافهما

المشركون : بدأت الاستعدادات للحملة التعرضية بتجمع القبائل قبيل شوال سنة خمس هجرية الموافق لاوائل شباط سنة (٦٢٦) ميلادية . جهزت قريش ومن تبعها من أحابيشها قوة فائقة بقيادة أبي سفيان وحامل لوائها عثمان بن طلحة العبدري قوامها اربعة الاف مقاتل ، وثلاث مئة فرس ، والف وخمسة مئة بعير . تلبى بالضخامة غطفان (بنو فزارة وبنو اشجع وبنو مرة) التي جهزت زهاء ألفي مقاتل ، منهم ألف فزاري بأمرة عيينة بن

حصن ومعهم ثلاث مئة فرس ، ألف بعير . ومنهم أربع مئة أشجعي بأمرة مسعر بن ربيعة . ومنهم اربع مئة مقاتل مري بأمرة الحارث بن عوف . والمثنان الآخران من المتفرقة التابعة . وجهزت قبيلة بني سليم سبع مئة مقاتل بقيادة أبي الاعور سفيان ابن عبد شمس . وخرجت قبيلة بني أسد وحلفاؤها المنحازون اليها بقيادة طليحة بن خويلد ، فكان تعداد هذه الاحزاب ، بضمنها القبائل الصغيرة عشرة آلاف مقاتل تسلم قيادتهم العامة ابو سفيان ونظمهم في ثلاثة حشود هي ، قريش ، وغطفان ، وبنو سليم (١) . وجرى الاتفاق على ان يتناوب رؤساء القبائل قيادة العمليات التعبوية اليومية على التوالي ، وعلى الرغم من ان هذا يهدى الغيرة والحسد بين الرؤساء القادة الا انه يبدد وحدة الرأي لصانع القرار ، ويعيق تنظيم الأفكار ، ويجعل اية عمليات منسقة للحصار في غاية الصعوبة .

ولعل من اللازم ان نضيف الى الآلاف العشرة مقاتلي بني قريظة وعددهم سبع مئة وخمسون محارباً (العوالي) (٢) كان هدف المشركين الرئيس هو الصد عن سبيل الله بالقضاء على الدعوة الاسلامية في مهدها بغية احتفاظ كبار رؤساء القبائل بمراكزهم القبلية واحتفاظ أخبار اليهود بمراكزهم الدينية فضلاً عن انعاش اقتصاد مكة .

المسلمون : كان جيش الرسول (ﷺ) قد بلغ ثلاثة آلاف مقاتل إجمالاً بضمنه فئة من المنافقين (٣) . لذا كانت نسبة تفوق المشركين بالمقاتلين متجاوزة (٣ / ١) وبالفرسان عالية جداً ، فلا بد من معادلتها بالمعنويات ، وبالتخطيط السليم وبالتدابير الدفاعية المحكمة ووحدة الصف والایمان الراسخ والاحتفاظ بروح النصر .

وكان هدف المسلمين الدفاع عن عقيدتهم الدينية ، وعن انفسهم لانهم أدوات نشر الدعوة ، وأخيراً حماية دار الهجرة المدينة المنورة مقر القيادة الاسلامية ، وكانفة المسلمين الامينة ، ودرعهم الحصينة الرصينة .

وصف الأرض

تقع المدينة المنورة قاعدة الحكومة الاسلامية ونقطة انطلاق جيوشها وسط حصون طبيعية محكمة . وأبرز معالمها جبل أجد الصخري الواقع شمالها بخمسة اكيال (١) ويمتد من الغرب الى الشرق قبالة طرفي حرة واقم ووادي العقيق ، ويفصل الجبل عن مشارف المدينة وادي قناة الموازي للجبل والمار من سفوحه الغربية بمحاذاة مرتفع عينين ويصب عند مجمع الأسياح في منطقة زغابة . يتفرع من شمال المدينة طريقان يسيران بموازة جبل سلع ، ينتهي أحدهما عند رأس الجبل الشرقي ويتجه الآخر الى الشام . ويمتد وادي العقيق الكبير الى الغرب من المدينة بنحو

أربعة أكيال فيما وراء حرة الوبرة التي تحذ المدينة من الغرب ، وتبدأ قبالة قبا من الجنوب عند ذي الحليفة .

ومن سكان هذه الحرة بنو سلمة وبنو ساعدة . وتقع شمال الوبرة بنو رومة قرب مجمع الأسياح حيث التقاء وادي بطحان بوادي قناة ثم التقاؤهما بوادي العقيق . والمنطقة عموماً لا تخلو من الجداول والعيون والآبار . ويحد المدينة من الجنوب جبل عير المنتهي طرفه عند قبا حيث الخصوبة المعطاء والوديان المتشعبة . ويحد المدينة من الشرق حرة واقم وتقع في نهايتها الجنوبية العوالي المكتنفة بوادي مذيذب ووادي مهروز وفيها منازل بني النضير ، ويلحقها إلى الشمال منازل بني قريظة . وتقع منازل بني حارثة شمال الحرة عند العطفة وتدعى حرة بني حارثة^(٦) . وتقع إلى شمال وادي مهروز ثلاث حارات للأوس ؛ بني ظفر ، وبني عبد الأشهل في وسط الحرة ، وبني حارثة إلى الشمال كما أسلفنا . ويتوسط الحرتين ، حرة واقم وحرة الوبرة جبل سلع شمال المدينة ، وعن يمين سلع يقع تل ذباب وعن يساره جبل بني عبيد ومسافة بينها زهاء كيلين^(٧) .

الاعمال التمهيدية

المشركون : أعدت الأحزاب قوة ضخمة من حيث العدد والعدة ما كان لها في أيام العرب من قبل مثيل ، وتكاملت رجالاً وذخيرة وأحلافاً ، وخيلاً وأبلاً وأغلاً . وتحركت هذه الأحزاب تجاه المدينة على ميعاد وعهد واعتماد ، وحطت رحالها واقامت مخيماتها حيث سبق أن نزل المشركون في معركة احد . عسكرت قريش في السهل غرب أحد في منطقة مجمع الأسياح بين الجرف وزغابة . أما غطفان ولفيفها وبنو اسد فعسكروا في (ذنب نغمي) بجانب أحد^(٨) . وليس في المنطقة ذلك الوقت مرعى لحيواناتهم ، ومصدر علف إلا ما حملوه معهم . وما ان تكامل جمعهم حتى قرروا الزحف على المدينة . وقد اسهم اليهود في الاعداد المادي ببذل المال ، والاعداد المعنوي بالدعاية المنظمة في إثارة مخاوف الأحزاب من تسلط المسلمين على رحاب البدو والحضر والاعراب .

المسلمون :

وصلت أنباء تكتلات الاعداء إلى النبي (ﷺ) أولاً فاولاً وبلغه أيضاً ان سائر الأحزاب سيتلقون العون من اليهود ، والدعم من المنافقين والتآليب من ابي عامر الراهب الفاسق مباشرة قبل حركتهم نحو المدينة حتى انتهاء مهمتهم بالقضاء على المسلمين . كما انباه ارضاده أن جيش مكة لم يكمل تجهيزه بعد . وان لغطفان قوة لا يستهان بها . لهذا خرج من المدينة في هذا الوقت العصيب ، مرةً بأربع مئة محارب إلى ذات الرقاع ، وأخرى بألف محارب إلى دومة الجندل كسباً للمعلومات وارهاباً لقبائل

الجوار ومنعاً لما يتوقع من تحالفات . وقد مر في طريقه بديار غطفان ورأى ان يستميل زعيمهم إلى الاسلام او يوادعه على حفظ السلام ، او يبقيه على الحياد في قابل الأيام . وحاووه حواراً هادئاً حول هذه القضية فاجابه زعيم غطفان : « انا متفق مع قريش على قتالكم ، وقد وعدني اليهود بثمار سنة كاملة من نخيل خيبر متى تم لنا النصر ! فهل لديك عرض أفضل ؟ » . والآ فاني ملتحق وقبيلتي بقريش لنحمل معاً على المدينة . » . لقد كان صادقاً في ما قاله ، فمن عادة عرب البادية قول الصق والبوح بالحقيقة دون مواربة أو خداع . لذا عاد الرسول (ﷺ) إلى المدينة مسرعاً . ودهش عبد الله بن أبي من هذه العودة السريعة . وبعد العودة دخل المدينة فتيان من قبيلة خزاعة قادمين من مكة وقد قطعوا المسافة في أربعة أيام بلياليها من غير استراحة واعلموه ان جيش قريش تحرك من مكة ويقطع المسافة في إحدى عشرة ليلة . عندها أمر النبي (ﷺ) بالاستعداد للمواجهة فوراً^(٩) .

وكان الناس قد حصدوا محاصيلهم الموسمية قبل شهر ، وباشروا يدخلونها حصونهم لئلا يستغلها الغزاة .

نذبت الرسول (ﷺ) جنده وأخبرهم خبر عدوهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، ووعدهم بالنصر ان هم صبروا واثقوا ، وأمرهم بطاعة الله ورسوله وشاورهم في امرهم ، وكان يكثر من مشاورتهم في الحروب فقال :

« أنبرز لهم من المدينة ام تكون فيها ونخندقها علينا ، ام تكون قريباً ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل ؟ » . فقالت طائفة : نكون مما يلي بعث إلى ثنية الوداع إلى الجرف . وقالت أخرى : أنخرج ونندع المدينة خلوقاً ؟ »

(اي من غير رجال يحمونها) . فقال سلمان (رض) : يا رسول الله ! انا كنا بفارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا فهل لك يا رسول الله ان نتخندق ؟ . فأعجب رأي سلمان المسلمين ، وقره الرسول (ﷺ) ، وعزموا على حفر الخندق وبدأوا التنفيذ من فورهم^(١٠) .

الخندق

ركب الرسول (ﷺ) ونفر من اصحابه المهاجرين والانصار يماشونه لاستطلاع الموضع الملائم فجالوا في الميدان حتى ارتاد موضعاً ينزله وكان أعجب المنازل إليه (اي انتخب منطقة دفاعية فضلى) ورأى ان يجعل جبل سلع خلف ظهره ويخندق بين الحرتين . حمايةً للاقسام المكشوفة المعرضة للخطر من محيط المدينة الخارجي ، مستفيداً أقصى استفادة من الموانع الطبيعية المحيطة بالمدينة زيادة على تحصين الدور الخارجية القريبة من المحيط .

وعقد رايتين لفتتين تتنافسان في أقصى البذل البدني في حفر الخندق ، الراية الاولى للانصار وسلمها الى سعد بن عباد وكلفهم بانجاز حفر الخندق من تل ذباب ، والى جبل بني عبيد في الغرب . والراية الثانية للمهاجرين وسلمها الى زيد بن حارثة وكلفهم بانجاز الحفر من تل ذباب والى حصن راتج في الشرق حتى الشيوخين وحره واقم .^(١١) (ينظر المخطط) وأمر الرسول (ﷺ) بالمباشرة الانية بالحفر وشارك هو نفسه فيه ، وكان حدد مكان الخندق بدقة متناهية وقسم كامل طوله بين المسلمين كما اسلفنا وخصص لكل عشرة رجال حفر أربعين ذراعاً طويلاً ، من اجل تكوين عدد من الحضائر المتآلف افرادها المتعاونة المتكافئة فيعمل افرادها عملاً جماعياً واعياً . فعملت الاغلبية المؤمنة حقاً بجد واجتهاد ، ونكران ذات حتى أخذ منها التعب كل ماخذ ، ذلك التعب المنتج المبهج ، وجعل الرجل من المسلمين الملتزمين المحمصة قلوبهم ، الثابت ايمانهم ، الراسخة عقيدتهم ، اذا نابته نائبة من الحاجة التي لا بد منها يستأذن رسول الله (ﷺ) في اللحوق بحاجته فيأذن له فاذا قضى حاجته رجع الى مكانه ، والى ما كان عليه من عمله رغبة في الخير واحتساباً له ، فانزل الله تعالى* انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم »^(١٢) * وكان المنافقون يورون بالضعيف من العمل ويتسللون الى اهلهم بغير علم الرسول (ﷺ) ولا إذنه فانزل الله عز وجل فيهم * « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذأ فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم * الا ان الله ما في السماوات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم »^(١٣) اي قد علم ما انتم عليه من صلق أوكذب .

ومرة ظهرت في اثناء الحفر صخرة صلبة لا تاخذ منها المعاول فاشتكوا ذلك الى رسول الله (ﷺ) فاخذ المعول وقال « بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم ضربها ثلاثاً فلمعت ثلاثاً فقال في الاولى : الله اكبر اعطاني الله مفاتيح الشام .

وفي الثانية : الله اكبر اعطاني الله مفاتيح فارس . وفي الثالثة الله اكبر اعطاني الله مفاتيح اليمن . » او كما قال . وهكذا يتحدث رسول الله (ﷺ) الى أصحابه وهم في اشد اوقاتهم عسراً وحرجة فيرفع همهم ويعلي عزماتهم ويظهر لهم بُعد همته ومدى اتساع رسالته^(١٤) وكانت أشعار حسان بن ثابت وأمثلة من الشعراء غداء روحياً للمسلمين يساعدهم على تركيز الجهود^(١٥)

وكان عمارة بن حزام الصبي صاحب الصوت العذب والبالغ من العمر اثنتي عشرة سنة يتنقل باهازيج الحماسية وأغانيه المطربة بين اقسام الخندق لتنشيط السواعد وإبعاد الكلال عن ان يؤثر في جودة العمل^(١٦) . وامتد الخندق من الشيوخين الى تل ذباب ومنه الى جبل بني عبيد فدخلت جميع تلال المكان بحماية الخندق . ومن جهة الغرب كان الخندق يمتد جنوباً لتغطية التلين المعروفين باسم جبل بني عبيد . وتمتد الى الشرق من الشيوخين أراضي بركانية مغطاة بصخور كبيرة رمادية لا تصلح لقتال فعال . وتمتد جنوب غرب جبل بني عبيد أراضي مماثلة . وتتحدد الحركات في كلتا الحرتين الموصوفة آنفاً . والى الجنوب قليلاً من منتصف الخندق يقع جبل سلع وارتفاعه زهاء مئة وعشرين متراً ، وطوله زهاء كيل ونصف كيل ، وامتداده العام من الشمال الى الجنوب وله طنوف في اكثر من اتجاه . ويقع تل ذباب شمال شرق اوسع هذه الطنوف^(١٧) .

قد يتبادر الى الذهن سؤال متفرع قوامه : هل عرفت العرب الخندق قبل يوم الاحزاب ؟ كم كانت أبعاد خندق يوم الاحزاب ؟ ما هي مواصفاته الاساسية ؟ كم فرداً عمل في انجازه ، وكم يوماً دام العمل ؟ كم متراً مكعباً من التراب نزع الفرد الواحد طيلة أيام العمل وكم نزع الفرد الواحد في اليوم الواحد ؟ هل بإمكان الفرد انجاز هذه الكمية ضمن الطاقة البشرية ؟

قبل النزوع الى الاجابة عن هذه الفروع ، ندرج فيما يأتي المعلومات المتيسرة المعينة على الجواب وهي :

١ . عدد المسلمين الذين شاركوا في الحفر ثلاثة آلاف محارب عامل .

٢ . ذكر العمري ، نقلاً عن مجمع الزوائد للهيثمى وعن تفسير الطبري وعن فتح الباري للعسقلاني ، ان طول الخندق خمسة آلاف ذراع وعرضه تسعة أذرع وعمقه يتراوح بين سبعة أذرع الى تسعة ، وان الرسول (ﷺ) خصص لكل عشرة مسلمين حفر أربعين ذراعاً معاً^(١٧) .

٣ . الذراع الأساس أو الذراع الاصلي المستعمل في كتب الفقهاء يساوي (٤٦٢٠ ر) سنتماً^(١٨) .

٤ . ذكر جورجيو ان طول الخندق إثنا عشر ألف ذراع ، وعمقه اكثر من خمسة أذرع ، اي ثلاثة أمتار ، وأن الرسول (ﷺ) خصص لكل عشرة مسلمين حفر أربعين ذراعاً معاً . ذكر الجنرال أكرم أن الرسول (ﷺ) خصص لكل عشرة مسلمين حفر أربعين ذراعاً معاً ، وان الذراع في هامش المترجم يساوي (٤٥٧٢ ر) سنتماً . وان الخرائط الحديثة الدقيقة الخاصة بمنطقة المدينة اظهرت ان طول الخندق اثنا عشر ألف ذراع^(١٩) .

ومما تقدم راينا ان الجواب المتواضع القريب الى الواقع هو :

الفرع الاول : نعم . لقد عرفت العرب الخندق قبل يوم الاحزاب ، عرفه ابناؤها ورآه من سافر منهم في رحلاتهم الى الشام والعراق ، رأوه حول كثير من المدن التي حكمها الفرس والرومان آنذاك . ومن يقرأ في معجم لسان العرب لابن منظور مادة (خنق) يجد بيتاً للقطامي الشاعر نصه :

كعناء ليلتنا التي جعلت لنا
في القريتين ولبيلة في الخندق
والخنق : الحفير ، والمحفور . قال الراجز :

لا تحسبن الخندق المحفورا
يدفع عنك القدر المقدورا
كما أن حصون تقيف محاطة بجدار وخنق ذي رائحة كريهة من تجمع مياه الدباغة .

وقال بجير بن زهير بعد حصار الطائف (٢٠) :
ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا

فتحصنوا منا ببساط مفلق
لم ينعوا منا مقاماً واحداً
إلا جدارهم ويطن الخنق

الفرع الثاني (الابعاد) : كان طول الخندق اثنا عشر ألف ذراع برأي الأغلبية وعرضه تسعة أذرع وعمق سبعة أذرع .

الفرع الثالث (المواصفات) : لا بد أنه كان عريضاً يمنع الفارس من القفز بفرسه من فوقه ، وكانت جدرانه عمودية قائمة تحدد النزول الى قعره ، وخالياً من المياه لئلا يعبره الفارس ، والفرس سباحة ، والرجالة على طوف خشبي أو في قارب صولة لأن الماء يساعد على ذلك . وأن يكون محمياً بالدوريات اليقظة ، ومواقع الرصد مع التركيز على حماية النقاط الواهنة بقوات ثابتة بأسلة تتميز بالصبر والثبات ، ومتسلحة فضلاً عن السلاح الشخصي (السيف) بأسلحة بعيدة المدى ، بالاقواس والنبل ، وحتى الحجارة والمقاليع .

الفرع الرابع (العدد) : ثلاثة آلاف مسلم لمدة ستة أيام عمل .
الفرع الخامس (التراب المزاح) : تحول الابعاد الثلاثة من قياس الذراع الى المتر بضرب كل منها بالنسبة (٤٦٢ ر ٠) متر .

الطول ١٢٠٠٠ × ٤٦٢ ر ٠ = ٥٥٤٤ متراً
العرض ٩ × ٤٦٢ ر ٠ = ٤١٥٨ متراً
العمق ٧ × ٤٦٢ ر ٠ = ٣٢٣٤ متراً
تقسيم الطول على العمال ٥٥٤٤ ÷ ٣٠٠٠ = ١٨٤٨ ر ١ متر
طول لكل عامل

١٨٤٨ × ٤١٥٨ × ٣٢٣٤ = ٢٤٨٥ متراً مكعباً من التراب ما يزيجه العامل الواحد في ستة ايام
٢٤ ر ٨٥ + ٦ = ١٤ متراً مكعباً من التراب ما يزيجه العامل الواحد في يوم واحد .

الفرع السادس (المقدرة) : نعم بمقدرة الفرد المسلم المتوكل على الله انجاز ذلك فهو ضمن طاقة البشر عموماً .
وقد اقترض المسلمون من يهود بني قريظة الذين لم ينقضوا

عهد موادعتهم حتى الآن آلات الحفر من مساح ومعاول وفؤوس ومكاتل . وتم حفر الخندق في ستة ايام كما ورد في جواب الفرع الرابع من السؤال الماضي (٢١) وزعموا انه انجز في خمسة عشر يوماً وزادوا اكثر حتى بلغوا الشهر (٢٢) وهذا زعم لا يعضده دعم ، لأن القول بان اكمال حفر الخندق في ستة ايام قول معقول منقول مقبول ، وفيه اقتراب يلامس الصواب ان لم يكن الصواب عينه . اما القول بان العمل في الخندق خمسة عشر يوماً فاكثر فيتعارض مع وقت الاحزاب المتيسر لهم للتنقل من مكة الى المدينة . ولا تأويل له الا ان يكون زلة قلم ، وأن المقصود هو مدة البقاء في العراء من اجل الحفر ومقاتلة الاعداء وليس مدة الحفر فقط . ان الرسول (ﷺ) والمؤمنين لم يهاشروا بحفر الخندق الا بعد سماع خبر تحرك قريش من مكة . لقد اتاه بالخبر اليقين فتيان خزاعة الذين تركوا مكة يوم تحرك الاحزاب منها ، ووصلوا المدينة في اربعة ايام بلياليها . فلو فرضنا وصول قريش الى المدينة في احد عشر يوماً كاعلى تقدير (٢٣) وان المسلمين باشروا بالحفر ضحى اليوم التالي لوصول الفتيان فيكون المتيسر للمسلمين سبعة ايام لا غيرها (١١ - ٤ = ٧) . (انظر تسلسل الحوادث لاحقاً) .

احتلال الموضع (مقاعد القتال)

المشركون :

لم يكن للمشركين موضع مختار ليحتلوه فهم غزاة مهاجمون وانما تجمعوا كما ذكرنا في منطقة تحشدتهم عند مجمع الاسيال . فخيمنت قريش ومن والاها عند بئر رومة بين الجرف وزغابة . ونصبت غطفان ومن والاها خيامها عند ذنب نقيم بجانب أحد على بعد ثلاثة اكيال منه (٢٤) والكل بانتظار خروج المسلمين اليهم والا فسيهاجمونهم في عقر دارهم ومقر قيادتهم المدينة المنورة الكائنة المحصنة .

المسلمون :

بعد اكتمال الاعمال الخاصة بحفر الخندق وتحسينه ، أقام

المسلمون معسكرهم أمام جبل سلع مباشرة ، وكان الوقت شتاءً قارساً قاسياً ، وكانت قوتهم الاجمالية ثلاثة آلاف مقاتل ينبغي زجُّها للدفاع الموضعي وحماية المدينة من الخلف (٢٠) وقضت خطة النبي (ﷺ) ان يحتفظ بالقسم الاكبر من القوة بين الخندق وجبل سلع وتشديد الحراسة حيال الخندق والمدينة معاً اتقاءً من المباغطة المحتملة لانه أدرك بفراسته ان للعدو إمكان ملء الميدان بقوته الكثيرة العدد وتفريقها ونشرها على امتداد الطرف البعيد من الخندق والحصول على اكثر من موطن قلم واحد عبر الخندق في اكثر من موقع . ولهذا خصص الرسول (ﷺ) مئتي رجل على طول الخندق كإرصاد كالواتاد على التلال المسيطرة على الخندق والمشرفة عن كُتب على تحركات العدو الاعتيادية والمباغطة والاخبار بها والاذار السريع لمقر القيادة . وخصص مئتي رجل بقيادة سلمة بن أسلم تتناب مع ثلاث مئة رجل بقيادة زيد بن حارثة لتأليف قوة متنقلة للقيام باعمال الدوريات البعيدة المدى حول الخندق والدور الخارجية من محيط المدينة لرصد المتسللين الذين ربما يجتازون الخندق من ثلثة يستغلونها قد غفل الارصاد عنها فيفسدون محاولة الاجتياز في بدايتها بمهاجمة المجتازين والقضاء عليهم (٢١) وكُدست الحجارة على حافة الخندق الجنوبية بالقرب من أماكن التسلل المحتملة ، وفي المناطق المشجرة حوالي المدينة ايضاً ، لتكون سلاحاً اضافياً في متناول الأيدي ليرمي بها العدو قذفاً يدوياً او بواسطة المقاليع (٢٢) والى جنب ذلك اتخذت التدابير المناسبة لحماية المناطق غير المحتلة احتلالاً مباشراً من الخندق نفسه بتوجيه الاحتياط عند اللزوم . ووضعت النساء والذاري في الصياصي والدور الداخلية من المدينة إبعاداً لها عن التعرض للهجوم (٢٣)

وكان الرسول (ﷺ) يختلف الى ثلثة في الخندق (نقطة ضعيفة) ويقول : « ما أخشى أن يؤتى المسلمون الا منها . » وقد شجع بعض اصحابه على حراستها ، واذا عاد الى قبة القيادة (مقر القيادة) خلف القسم الاكبر ، حرسه فيها زمرة عباد بن بشر . وكان شعار المسلمين العام في معركة الخندق : « حم . لا ينجسون » (٢٤)

سير المعركة

الوقت والتاريخ :

اختلفت المصادر والمراجع في تعيين الوقت والتاريخ الذي

جرت فيه معركة الخندق .

وللتوصل الى ما هو أقرب للواقع نطرح المعطيات المتيسرة على بساط الاستنباط الآتي : —

١ . جاء في المصادر الاربعة الرئيسية ما يأتي : —

أ . الواقدي : كانت الغزوة يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذي القعدة سنة خمس هجرية (٢٥)

ب . ابن هشام : كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس هجرية (٢٦)

ج . ابن سعد : كانت غزوة الاحزاب في ذي القعدة سنة خمس من مهاجرة (٢٧)

د . الطبري : كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس هجرية (٢٨)

٢ . جاء في أربعة مراجع اضافية ما يأتي :

أ . العمري : جرت غزوة الاحزاب في شوال سنة خمس هجرية وهو قول جمهور العلماء ومنهم ابن اسحاق والواقدي ومن تابعهم . ونقل عن الزهري ومالك بن انس وموسى بن عقبة انها كانت سنة اربع هجرية (٢٩)

ب . جنرال اكرم : تحركت الاحزاب يوم الاثنين (٢٤ / ٢ / ٦٢٧) ميلادية الموافق غزوة شوال سنة خمس هجرية (٣٠)

ج . جورجيو : جرت معركة الخندق سنة (٦٢٧) ميلادية المطابقة لسنة خمس هجرية في غزوة شوال (٣١)

د . جلوب : انتهى حفر الخندق في (٢١ / ٢ / ٦٢٧) ميلادية وقت وصول الاحزاب الى المدينة (٣٢) (أي ٨ ذي القعدة) ٣ . لبيان ما نراه أقرب الى الواقع ، وتبديداً للخلافات السالفة المتعلقة بالسنة ، والشهر ، واليوم ندلي بوجهة نظر تقول :

أ — وقعت بيعة العقبة الثانية في ذي الحجة ، وبعدها ببضعة عشر يوماً والرسول (ﷺ) لما يزل في مكة هلّ هلال المحرم الذي عده الجمهور العالم بداية السنة الهجرية الاولى لأن الرسول (ﷺ) هاجر من مكة الى المدينة في ربيع الاول من هذه السنة . وكان هذا اقوى ما وقف عليه السخاوي (٣٣) وعليه تكون غزوة الخندق في السنة الخامسة الهجرية . وهناك قلة رأيت ان بداية السنة الهجرية الاولى كانت عند هلال المحرم الذي هلّ والرسول (ﷺ) في المدينة ولهذا تكون عندهم غزوة الخندق في السنة الرابعة . ولا خلاف حقيقة بين القولين (٣٤)

ب . كانت غزوة الخندق في شوال . وقد جانب الحقيقة ساهياً من قال انها وقعت في ذي القعدة لأن ذي القعدة من الأشهر الحرم منذ خلق الله الارض . فلا قتال فيه لا في الجاهلية ولا في الاسلام

الا لضرورة قصوى وقد علمنا ان حرية العمل كانت بيد المشركين فلا ضرورة لديهم للقتال فيه . قال تعالى * « إِنَّ عَذَّةَ الشَّهْرِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ... » * (١٠) والاربعة الحرم هي شهر ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ... ثم رجب .

ح . نرجع ثانية ، من أجل معرفة اليوم ، الى جداول (فريمان - فرجيل) كما يأتي :-

من الجدول الاول تبدأ سنة خمس هجرية في (٢ حزيران ٦٢٦ م) (اربعاء)

$$\begin{array}{r} 152 = \\ + 267 = \\ \hline 419 = \\ - 365 = \\ \hline 54 = \end{array}$$

المجموع
نطرح سنة بسيطة زائدة
النتيجة

من الجدول الثالث مقابل (٥٤) نقرأ (٣ م شباط ٦٢٧ م) وهي سنة بسيطة ايضاً .

من الجدول الاول نعلم ان السنة البسيطة (٦٢٧ م) تبدأ يوم الخميس .

من الجدول الرابع نجد ان السنة البسيطة التي تبدأ يوم الخميس يصادف فيها (٢٣ شباط) يوم الاثنين وعليه يوم ١ شوال ٥ هـ = ٢٣ شباط ٦٢٧ م وهو الاثنين (١١)

تسلسل الحوادث :

تبدأ الحوادث بخروج الاحزاب من مكة وفتيان خزاعة حتى عودة المسلمين الى المدينة :

١ شوال الاثنين ٢٣ شباط: تحرك غالبية الاحزاب من مكة وفتيان خزاعة قاصدين المدينة .

٤ شوال الخميس ٢٦ شباط: وصول فتيان خزاعة الى المدينة وقيام المسلمين بالتشاور والاستطلاع .

٥ شوال الجمعة ٢٧ شباط: بدء الحفر في الخندق .

١٠ شوال الاربعاء ٤ آذار: الانتهاء من حفر الخندق في ستة أيام .

١١ شوال الخميس ٥ آذار: وصول الاحزاب الى مشارف المدينة في احد عشر يوماً

١٢ شوال الجمعة ٦ آذار: مناوشات كلامية ومهاجمة شعرية
١٩ شوال الجمعة ١٣ آذار: حماسية ومفاوضات تخذيلية لنقض المعهود وخدع حربية وصفقات اقتصادية مغرية واستحضارات يهودية وتراشق بالنبل والحجارة عبر الخندق ومراقبة ليلية ونهارية .

٢٠ شوال السبت ١٤ آذار: عبور خالد بن الوليد وعكرمة بن ابر جهل بكردوسيهما الخندق ، والمبارزات الفردية وانسحاب الكردوسيين دون تحقيق المارب من العبور .

٢١ شوال الاحد ١٥ آذار: عبور خالد بن الوليد بكردوسه الخندق واشتباهه بالقسم الاكبر امام جبل سلع وانسحابه دون تحقيق نتائج تذكر .

٢٢ شوال الاثنين ١٦ آذار: هدوء سبق العاصفة .

٢٣ شوال الثلاثاء ١٧ آذار

٢٤ شوال الاربعاء ١٨ آذار: نعمة الله ، ريح وجنود غير مرئية أمست نعمة على الاحزاب في ليلة حالكة الجلباب ادت الى انسحاب الاحزاب مدلجة قبل انقشاع الضباب .

٢٥ شوال الخميس ١٩ آذار: عودة المسلمين بعد صلاة الفجر الى المدينة ، وكفى الله المؤمنين القتال .

الفعاليات الرتيبة :

قال أبو سفيان عندما انتهت معركة أحد مخاطباً المسلمين : ان موعدكم العام القادم لمعركة مماثلة . فاجابوه بامر النبي (ﷺ) : نعم بيننا وبينكم موعد . ثم تتابعت الاحداث على مدى أطول من عام حتى كان تحريض اليهود للاحزاب التي تحشدت للمعركة المنتظرة الموعودة . ظنت قريش انها ستلقى المسلمين في أحد . فلما خاب ظنهم ولم تجدهم هناك قصدت المدينة ، غير ان طلائعها اخبرتها باستحالة مهاجمة المدينة لمباغتتهم بالخندق (المانع المحفور) ، فاسقط في يدها . لقد جاء العدو ضخماً لينتصر فاعاقه الخندق فصرخ ابو سفيان غضبان حنقاً :

« إِنَّ هَذِهِ مَكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا » (١٢) ولو كان أبو سفيان قائداً حريصاً وليس تاجراً مترعماً لوجد وسيلة عملية ، وان كانت مبتكرة ومحلية ، لعبور الخندق فالخندق ليس مجهولاً للعرب كما اسلفنا لا كما ذكر نفر من المؤرخين القدامى ، فاضطرت الاحزاب الى فرض الحصار على المسلمين من غير أهبة فنية ولا معدات خاصة بعبور المانع ولا حتى تصوّر لوجوده (١٣)

ومهما كان فقد تركت الاحزاب مخيماتها لتنتشر على امتداد حافة الخندق الخارجية (الشمالية) وبمحاذاته لتحاصر جند الله وكانت تقترب اكثر فاكثر من الخندق نهائياً وكان المسلمون يسترونه بقوات صغيرة من جانبهم للأذار المبكر ، وكان هناك تبديل لرماة النبل الذين كانوا يقظين طول الليلة المخفورة فيها . وكانت الاحزاب تنسحب ليلاً الى أماكن تجمعها وتدأب دورياتها

متنقلة على مسار الخندق لايجاد منفذ ملائم للمبور من خلاله^(٤١)

مَضَتْ على الحصار عشرة أيام من دون اتخاذ أي قرار للمجابهة التعرضية ، سوى تبادل الطرفين رشق النبال وحرب الشمر ، والمقال ، والقييل والقال ، وكانت معنويات الطرفين وعزائمهم مستتارة ومستنهضة ثم ثبتت ثم تراجعت هابطة ، وبدأ المسلمون يحسون بوطاة الجوع ، ولم يكن في المدينة أهراء (مخازن) للطعام المجفف المجموع فما لديهم سوى خبز شعير ثلاث بدهن سنخ متغير اللون والطعم والرائحة ، وبعض التمر اليابس^(٤٢) . واصبح المسلمون يعيشون على نصف تعيين يومي . والمؤمنون الصادقون منهم ظلوا صامدين ولم تنزع ثقتهم بدينهم وأنفسهم .

ومع هذا فلم يدموه قلة منافقة مريضة قلوبها ، تززع ايمانها من الجزع والهلع والفرع عند الصدمة الاولى فقالت — كما جاء في القرآن — * « ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » *^(٤٣) وطائفة مرتبهة خائفة تستأذن النبي (ﷺ) بحجة واهية كاذبة للفرار من المعركة فضحها القرآن ببعض آية من سورة الاحزاب * ... يقولون بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون إلا فراراً *^(٤٤) وفريق من المعوقين القابعين في المدينة المثبتين لمزائم الآخرين * ... القائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلاً^(٤٥) اما الكثرة الكاثرة الذين كان سعيهم مشكوراً فهم الذين صبروا ورابطوا في مواقعهم تصديقاً لوعده الله بنصرهم ، حتى قال تعالى فيهم * « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايماناً وتسليماً » *^(٤٦)

وبدا موقف الأحزاب يسوء تدريجياً ويظهر التذمر بينهم بما يبذره شعراء المسلمين وخطباؤهم من خلاقات كيدية ميدانها طرفا الخندق ، وهدفها النفس والوجدان ، وسلاحها الحجارة الصمان وأسلة اللسان ، لا النبل ولا السنان .

أضف الى ذلك ان الأحزاب ، بل العرب قاطبة لم يكونوا معتادين على الحصار الطويل الامد والحرب المستقرة ، فهم يفضلون معركة يوم واحد سريعة فيها كروفر وشعارها « اضرب واغنم واسلب واهرب » . وزاد الطقس سوءاً فزاد من تضايق الأحزاب ، كما ظهر النقصان في كمية الطعام ، ونفقت بعض الخيول لنقص المرعى ولان أبا سفيان لم يتخذ التدابير اللازمة والتراتيب المطلوبة بشأن تخزين الطعام والعلوفة لمدة طويلة غير

معروفة ولا مالوفة . ولكن بما ان الأحزاب كانوا أحراراً في تنقلاتهم خارج طوق الخندق فقد تمكنوا من جلب بعض المؤن لسد الرمق من مناطق نائية وهذا ما أغنى ولا اسمن من جوع^(٤٧) ، فصار لزاماً على ابي سفيان الخروج من هذا المازق .

تعاون الأحزاب واليهود :

خاف المحرض حيي بن اخطب ضياع الفرصة فحاول ان يوقع بين المسلمين وبني قريظة بنقض عهد موادعتهم لمحمد ليقطعوا عنه المعونة ويفتحوا المدينة من جهتهم . ذهب حيي الى كعب بن أسد صاحب عقد قريظة . شعر كعب بمجيئه فاغلق بابه دونه وهو يعلم انه اذا خان محمداً وانتصر محمد فانه سيحاربهم وسيجلي قومه اليهود عن المدينة . رفض كعب نقض العهد بايديه ذي بدء ورد العرض . استمر حيي يعرض ويحرض ويصف قوة الأحزاب ويعده الوعود المجزية واغراه بدعته بالف مقاتل من قريش وألف من غطفان ليقوموا معاً بمهاجمة المدينة من الجنوب من منطقة العوالي (من فوق) حيث صياصيههم ودورهم^(٤٨) ويؤمنه حاضراً ومستقبلاً ويذكره بما اصاب اليهود من المسلمين . ولسوء حظ كعب تغلبت يهوديته على عقله ولان في نهاية الحوار واعطى حيي موثقاً الى كعب ان رجعت قريش وغطفان يجران اذيال الخذلان ولم يصيبوا محمداً واهل القرآن ، ان يدخل معه حصنه ويشاركه حظه . وسيجعل في صياصي اليهود واطمهم حامية قوية للدفاع عنها تجاه اي حملة اسلامية انتقامية . قبل كعب العرض ونقض العهد مع المسلمين وخرج عن الحياض فانتقض الامان وتارجحت كفة الميزان .

بلغ الخبر النبي ﷺ فاوقف سعد بن معاذ سيد الاوس ، وسعد ابن عباد سيد الخزرج ، وعبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير ليقفوا على جليلة الامر وقال لهم : « انطلقوا حتى تنظروا احق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فان كان حقاً فالحنوا لي لحنأ أعرفه ولا تفتوا في اعضاء المسلمين ، وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . » فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبت ما بلغه عنهم . حاول سعد بن معاذ وهو حليف بني قريظة ان يقنعهم بالعدل عن نقض العهد خوفاً عليهم فلم يقلوا . عاد الوفد الى الرسول ﷺ واصدقوه خبر نقض العهد^(٤٩) وطبقاً لشروط التحالف ستقوم الأحزاب ، وبني قريظة بهجوم خاطف على المسلمين من فوقهم ومن أسفل منهم . وكانت مساكن القرظيين وصياصيههم على بعد يزيد على

كيلين عن مركز المدينة وجنوب شرقها وسيهاجمون من هذا الاتجاه العالي بينما تهاجم الأحزاب جبهوياً من الشمال على حماة الخنق . وطلب بنو قريظة مهلة عشرة ايام للتهيؤ للهجوم على المدينة وتقوم الأحزاب خلالها بمناوشات تهديدية موضعية ومشاغلة مقتضبة كسباً للوقت .

وحقيقة بعد عودة حيي بن اخطب بدأ بنو قريظة باستطلاع معاقل المسلمين وحصوتهم في المدينة وامداد الأحزاب بالمؤن على الدواب كدليل عملي على انضمامهم اليهم . وقد سيطر المسلمون على عشرين حملاً من هذه المؤن (٥٣)

ومرة طاف يهودي بحصن فارغ وكان في الحصن الشاعر حسان بن ثابت مع النساء والصبيان فطلب صفة بنت عبد المطلب من حسان ان ينزل ليقبله فاعتذر . فاخذت صفة عموداً ثم نزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود فقتلته (٥٤) ومرة أخرى خرجت زمرة من عشرة يهود من الصياصي بأمر نباش بن قيس فاصدمت بدورية مسلمة من اصحاب سامة بن اسلم فراموهم بالنبل ثم انكشف القرطيون مولين الى الصياصي للتحصن في داخلها (٥٥)

باشرت الأحزاب بتقريبها الى الخنق بثلاثة حشود ، او ثلاثة ارتال من الشمال على محور واحد ، وبالكيفية الآتية :

- أ . رتل غطفان وأسد يتقدمهم بنو فزارة بقيادة عبيدة بن حصن يتقدم من يسار السحور ويشكل الجناح الأيسر .
- ب . رتل بني سليم بقيادة ابي الاعور سفيان بن عبد شمس يتقدم من فوق وادي العقيق ويشكل الجناح الأيمن للقوة .
- جـ . رتل قريش ، الرتل المركزي ، بقيادة ابي سفيان وبمعيته خالد بن الوليد وشكرمة بن ابي جهل وسعرو بن الحارث ، ويتقدم جبهوياً ليقابل مقر المسلمين وقسمهم الأكبر قبالة جبل سلع وعلى مدى محدود شمال الخنق .

قال تعالى في كتابه العزيز يصف الموقف وتقدم الأحزاب من الشمال وبني قريظة من الجنوب من الموالى (من فوق)

« إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون » هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً » (٥٦)

الحرب خدعة :

اصبح الموقف الآن أكثر توتراً وأشد حرجاً ، ونقصت تعيينات الأرزاق اليومية لدى المسلمين من نصف التعيين الى ريعه ، وزادها مرور الايام نقصاناً . وأهل المدينة لهم بعض العذر في بعض

ما تفوهوه ، قال احدهم : « كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ، واحدنا اليوم لا يامن على نفسه » وقال آخر : « ما كان اجدر بمحمد ان يقضي على بني النضير وأضرابهم فلا يذرهم يرتحلون فيؤلبون علينا الأحزاب ! » . وقد وجد النبي ﷺ ان حلاً معتمداً على استخدام القوة العسكرية مباشرة لا ينفع كثيراً في الخروج من الأزمة . أن لا بد من الخدعة و « الحرب خدعة » ، فماذا يفعل ؟ لقد بعث الى غطفان يدهم بثلاث ثمار المدينة إن هي ارتحلت . وكانت غطفان قد بدأت تملّ المقام والانتظار وامتعضت من طول الحصار ، فجري بينها وبينه الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح الا المفاوضة (المقتعة) في ذلك . فلما أراد الرسول ﷺ امضاء الفعل بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه فقالا بعد حوار إيجابي : —

لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله ، وهم لا يطمعون منها ثمرة إلا قرى (ضيافة) او بيعاً ، أفصين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له ، وأعزنا بك ، نعطيهم أموالنا ؟ ! والله لا نعطيهم إلا السيف . فصوب رأيهما وقال : أنتما وذاك . فتوقفت الصفقة وانتهت المفاوضة (٥٧)

بحث الرسول ﷺ عن حل آخر لك الحصار فكان المحاولة التخيلية الحصيفة الذي قام بها نعيم بن مسعود الغطفاني ، وكان قد أسلم سراً وأتى الرسول ﷺ وقال له : اني قد أسلمت وأن قومي لم يعلموا بإسلامي فمروني بما شئت .

قال له الرسول ﷺ : « انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة . » (٥٨) فارسله الى بني قريظة ، وكان نديماً لهم في الجاهلية ، فقال لهم : « انكم ظاهرتهم قريشاً وغطفان على محمد ، وقد لا تستطيعان المقام طويلاً فتخليان ما بينكم وبين محمد فينكل بكم ، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا رهائن يكونون بأيديكم حتى لا تنتحى قريش وغطفان عنكم . » فاقتمنوا . ونهب الى قريش وقال لهم : « ان بني قريظة ندموا على ما فعلوا من نكث عهد محمد ، وأنهم عاملون على استرضائه بان يقدموا له من أشرف قريش من يضرب أعناقهم ، فان بعثوا لكم يطلبون رهائن من رجالكم فلا ترسلوا أحداً . » . وصنع كذلك مع غطفان أيضاً .

ارسل أبو سفيان يوم الجمعة (١٩ شوال / ١٣ آذار) الى زعيم بني قريظة يقول له : « لقد طالت إقامتنا وحصارنا محمداً وقد هلك الخف والحافر (الابل والخيل) وقد رأيت ان تعملوا الى القتال غداً ونحن من ورائكم حتى نناجزه ونفرغ مما

بيننا وبينه . » . فجاء الرد : « غداً السبت ولا نستطيع القتال فيه ولا نتعدى في السبت . وقد تعدى فيه قوم منا سلفوا غضب الله عليهم ... » (٢٩) ثم طلبوا الرهائن ليطمئنوا . فنضب أبو سفيان وصلى حديث نعيم بن مسعود . ثم تكلم مع غطفان فتردوا طمعاً في إتمام صفقة ثلاث ثمار المدينة التي انتقدها كما اسلفنا السعدان وغيرهما من وجوه الانصار . وهكذا قام نعيم بعمل عظيم اخرج به بني قريظة من التحالف مع الاحزاب .

اجتياز الخندق .

قرر خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل صباح اليوم التالي السبت (٢٠ شوال / ١٤ آذار) القيام بفعاليات يومية جريئة لكسر الركود المخيم على الاحزاب فتقدما الى امام على رأسي كربوسيهما ويممو مكاناً ضيقاً مثلوماً يقع الى الغرب من تل ذباب حيث كان الخندق اقل عرضاً (يغري الفارس بالقفر) ويمكن اجتيازه على ظهر الجواد أو زحفاً بحماية الخيانة بعد اجتيازها ومسكها الحافة الثانية (راس الجسر) وكان هذا الموقع قريباً من القسم الاكبر للمسلمين عند سفح سلع . تقدم كربوس عكرمة أولاً ، قفزت كوكبة صغيرة منه ، اجتازت الخندق واقتربت من المسلمين . كان من بين المهاجمين عكرمة نفسه والفارس المشهور عمرو بن عبد ود .

فوجيء جند الاسلام بهذا الاقتحام . طلب عمرو بن عبد ود المبارزة بقوله :

ولقد بحجت من النسا

« بجمعكم هل من مبارز

إن الشجاعة في الفتى

والجود من خير الفرائد

فتصدي له الليث الغالب علي بن ابي طالب مجيباً (٣٠)

لاتمجلن فقلد أنسا

ك مجيب قولك غير عاجز

نو نيسة ونصيرة

والصدق منجي كل فائز

فتسرب عمرو علياً عدة ضربات تزاور علي عنها بمهارته فلم يصب بأذى . رفع علي سيفه ذا الفقار وهوى به على عمرو فقتله فكبر وكبر المسلمون . انقضت مجموعة من المسلمين على من تبقى من المقتحمين وكانوا ستة من قريش . قُتل نتيجة المجادلة

بالسيف قرشي واحد وأستشهد مسلم واحد . بعد دقائق معدودات انسحبت كوكبة القرشيين عبر الخندق (٣١) لم يتمكن الفارس نوفل ابن عبد الله من الاجتياز فسقط في الخندق فرموه بالحجارة ثم نزل اليه الزبير بن العوام فقتله بضربة واحدة فقالوا له : ما رأينا مثل سيفك ! فقال : « والله ما هو السيف ولكنها الساعد » (٣٢) ومن سمو روح القتال عند سعد بن معاذ قوله وقد اصيب اكلحة : « اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقيتها لها ... » (٣٣) عادت مجموعة المسلمين الى المعسكر وشدت الحراسة على ثغرة الاقتحام .

عصر اليوم اللاحق الأحد (٢١ شوال / ١٥ آذار) تحرك خالد بن الوليد بكربوسه على أمل أن ينجح من حيث أخفق عكرمة . حاول العبور ولكن يقظة المسلمين رصدت حركته فمنعته . جرى تراشق بالنبل فقتل قرشي آخر واستشهد مسلم ثان وأخفق كربوس خالد في العبور عند الصولة الاولى لانه صانف أسيد بن حضير ومثثين من الانصار قد سوا الثغرة متمركزين قبالة المغيرة (٣٤) تحرك خالد الى الخلف خداعاً ومكراً . انسحب المسلمون للراحة . وفجأة كز خالد بكربوسه مسرعاً وعبروا الخندق قبل ان يتمكن الحراس من الانتشار ثانية ، ووصل الى منطقة القسم الاكبر . وسرعان ما انتشر جند الله ووقفوا كربوس خالد عن مواصلة التقدم . كانت المقاومة الاسلامية شديدة ومنظمة وجريئة فلم يحقق المشركون نجاحاً ذا بال . اشتبك الطرفان اشتباكاً قريباً وتمكن خالد من قتل مسلم واحد ، وقتل وحشي الذي كان مع المغيرة مسلماً آخر بحريته . وقبل ان يمضي وقت طويل انتهى الاشتباك وانسحب خالد وكربوسه بعد ان تيقن أن الموقف لا يحقق له نصراً (٣٥)

كان هذا الاشتباك آخر عمل تعبوي رئيسي في معركة الخندق . وكانت حصيلة خسائر الطرفين في الأرواح ، سوى الجرحى ، قتل ثلاثة نفر من الاحزاب واستشهد ستة من المسلمين ذكرهم الواقدي بأسمائهم (٣٦) وأجعلهم جورجيو والجنرال اكرم بأربعة من كل طرف من الطرفين (٣٧)

الهدوء والعاصفة .

لم يحدث اي نشاط في اليومين التاليين (٢٢ ، ٢٣ شوال / ١٦ ، ١٧ آذار) سوى تراشق بالنبل والحجارة . وكاد ينفذ طعام المسلمين فصبروا وربطوا بشجاعة وعزم مشهودين . أما الاحزاب فاستمرت روحهم المعنوية بالهدوء وصيحات التذمر بالتفاقم . وتيقن المؤمنون المرابطون أن حملة الاحزاب

التي جاءت لتنتصر في الربيع بامت بالفشل الذريع وانتشرت بين الفئات البليدة والشقاق ويات الموقف لا يطاق لأنّ احداً لم يستطع ايجاد مخرج من هذا المازق المحرج .

في مساء الاربعاء (٢٤ شوال / ١٨ آذار) جاء الفرج من الله تعالى ليلاً إذ زمرت الريح الباردة في جنبات الوادي وهطلت الامطار غزيرة وقصف الرعد وخطف البرق وانخفضت درجات الحرارة فجأة واشتدت العاصفة .^(٧٨)

أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان متحمساً خبر القوم وقال له : « انهب فادخل في القوم وانظر ماذا يصنعون ولا تحدث شيئاً حتى تأتينا . »^(٧٩) وكان معسكر المشركين اكثر تعرضاً للعاصفة من معسكر المسلمين فاطفات النيران التي كانوا يشعلونها بكثرة بغية التدفئة والارهاب ، وكفأت قدورهم واقتلعت خيامهم .^(٨٠) قال تعالى في ذلك :

• يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تريها وكان الله بما تعملون بصيراً • وقال • و ردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً •^(٨١)

ظنّ المشركون ان محمداً سيهتبل هذه الفرصة ليشد عليهم بهجوم مقابل فقالوا : « إن محمداً قد بداكم بشر فالدعاء النجاء . »^(٨٢)

وقال ابو سفيان : « يا معشر قريش انكم والله ، اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف والحافر وشخّ العلف ... واخلفتنا بنو قريظة ... ولقينا من شدة الريح ما ترون ... فارتحلوا ، اني مرتحل . » . وسمعت غطفان قول ابي سفيان فرجعت الى ديارها وكهذه عادت البقية^(٨٣) . وكتب ابو سفيان كتاباً الى سيد ولد عدنان ﷺ فيه :

« باسمك اللهم ... لقد سرنا اليك في جمعنا لنستأصلك فكرهت لقاءنا وجعلت مضاييق وخنائق فليت شعري من علمك هذا ؟ ... فان نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد ... » . فكتب الرسول ﷺ اليه :

« أما بعد فقد غرّك بالله الغرور ... اما ما ذكرت انك سرت الينا في جمعكم ، وانك لا تريد ان تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر الله يحول بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة ، واما قولك من علمك هذا الذي صنعنا من الخلق . فانّ الله تعالى ألهمني ذلك ... »^(٨٤)

وعانت قريش القهقري حفرة وقد حرس ساققتها خالد بن

الوليد وعمرو بن العاص في مئتي فارس خوفاً من المطاربة ورداً لهم من الطلب .^(٨٥)

وعند أذان فجر الخميس عاد حذيفة الى الرسول الامين ﷺ بالخبر اليقين ،^(٨٦) فقال : « يا رسول الله ، تفرق الناس عن ابي سفيان ، فلم يبق الا في عصبة يوقد النار ، وقد صب الله عليهم البرد مثل الذي صب علينا ولكن نرجو من الله ما لا يرجون . »^(٨٧) فقال الرسول ﷺ : « لا اله الا الله وحده ، صلق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده . »^(٨٨) وانن ليل الازمة بالبلج ورفع المسلمون اكف الشكر لله المنعم بالنصر والفرج .

وفي صباح يوم الخميس (٢٥ شوال سنة خمس هجرية الموافق ١٩ آذار ٦٢٧ ميلادية) وجّد المسلمون الميدان خالياً من الاحزاب فعانوا الى منازلهم في المدينة .

وانتهى يوم الاحزاب أو غزوة الخندق التي كانت حصاراً ومناوشة اكثر منها معركة ومهارة لان الطرفين لم يشتركا بقتال فقال واسع النطاق حقيقة . ويمكن اجمال اسباب القفول فيما يأتي : —

١ . إلهية : انزل الله فيها قرآناً ونصت عليها الايتان التاسعة والثالثة والثلاثون من سورة الاحزاب وأنصحتا عن الريح الباردة والجنود غير المرئية والغيبى الدفين القاتل . وقد اوردنا الايتين آنفاً عند الكلام على الهدوء والعاصفة .

٢ . طبيعية : وهي الخندق المحفور ، وبرودة الطقس القارس واختلاف درجات الحرارة بين جو مكة وديار الاحزاب من جهة وجو المدينة من جهة اخرى . ثم انجاز جني المحاصيل قبل وصول الاحزاب ونقلها الى الاهراء (المخازن) فلم يبق غير المراعي الجرداء والاراضي البركانية العديمة النماء .

٣ . زمنية : إن شهر شوال مؤنن بالافول وينو هلال ذي القعدة ، أحد الاشهر الحرم الذي يمتنع فيه القتال آنذاك عرفاً صارماً ولا يتوقعون بما تبقى لديهم من وقت قصير تحقيق نصر كبير يتناسب وما أعنوا له .

وكان العرف السائد انهاء القتال في يوم واحد .

٤ . انفصالية : انفصال بني قريظة عن مساعدة الاحزاب بتوحيد الجهود وتبذهم ما أعطوهم من عهود وذلك بتخيل نعيم بن مسعود .

٥ . تبعية : ظهرت بعض السلبيات في تدبير ما يحتاج اليه القتال من مستلزمات . منها ، فشل الاستخبارات في معرفة شيء عن الخندق وإن غرّي ذلك الى ضيق الوقت . ومنها ، اخفاقهم في ايجاد محور تانٍ للهجوم على المدينة كأن يوجهوا رتلًا من منطقة

بني قريظة من العوالي وقت نقض اليهود عهدهم مع المسلمين فيحامي اليهود منطقة تحشد هذا الرتل وخط شروعه عند الهجوم فيقع المسلمون بين فكي كماشة .

- ومنها ، نقصان الطعام والاعلاف فلا خزين لديهم منها كاف . أضف اليها فقدان وسائل العبور وعدم التشبث بتدبيرها محلياً . ٦ . موسمية : لم يبق على موسم الحج الوثني سوى شهر واحد باستثناء أحد عشر يوماً زمن العودة الى مكة .

وهذا لا يكفي لاقامة الاسواق الموسمية الخاصة بمناسبة الحج والتي تدر المكاسب المالية الطائلة فهذه مثلاً سوق عكاظ تقام في منتصف ذي القعدة^(٨٠) وينتظرها المكيون بفارغ الصبر ليملاؤا خزائنهم بغنائض أرياح تكفيهم نفقة عام أو تزيد . أما اشراف قريش وساداتها وقادتها فهم في شوق قتال الى الجاه والمال ، ولا يريدون الغياب عن الموسم لكيلا تنتقص هيبتهم الدينية المتأتية من اشرافهم على مناسك الحج الوثني ، ولا يريدون التضحية بالمكاسب المالية الضخمة حصيلة الاسواق الموسمية^(٨١) . فالجاء ترجوه الوجوه ، والمال تهواه الرجال ، والقول ينول المأمول .

الحصيلة :

كانت هذه الغزوة نصراً للمسلمين لانهم حققوا هدفهم ، بينما فشلت الاحزاب في محاولته استئصال الدين والقضاء على المسلمين ، فقد حال الله بينهم وبينه ، وجعل العاقبة للمسلمين ، كما قال الرسول الامين ﷺ : ان معركة الاحزاب كانت معركة أعصاب لم يجر فيها قتال صحاب ثعاب إلا انها كانت من الممارك الحاسمة في تاريخ الاسلام فقد خذل الله جموع المشركين على الرغم من كثرتها الكاثرة وحماستها لتحقيق غايتها وبعد المعركة انتقل المسلمون من حال الدفاع الى مجال التمرض . ولذلك قال النبي ﷺ : « الآن نفرزهم ولا يفزونا ، نحن نسير اليهم » .^(٨٢) وقد نزلت في هذه الغزوة التي وصفها الله باحزابها ، واسميناها يوم الاحزاب ، ست عشرة آية من سورة الاحزاب من (٩ - ٢٥) فمن شاء فليراجعها في كتابه الله العزيز .

العبر (الدروس المستنبطة) المخادعة :

من تعاريف الحرب أنها آخر الوسائل السياسية لبلوغ هدف الامة . والقائد الاعلى هو الذي يحاول حل قضايا أمته سلمياً

ما استطاع الى ذلك سبيلاً . كانت هذه الغزوة أول مثل في صدر الاسلام على استخدام ما يعرف اليوم بالسياسة والكياسة (الدبلوماسية) على عتبة الحرب او في مستهلها . وهي تظهر تفاعل السياسة والقوة في تحقيق الهدف أو نيل المارب . وان استخدام القوة المسلحة ، وهي أحد الملامح العنيفة للحرب ، يتم عندما تفشل الاجراءات السياسية في تحقيق هدف الدولة فقط . وهذا ما فعله الرسول ﷺ عندما استخدم الكياسة لبذر الشقاق في صفوف الاحزاب باغراء غطفان بثلاث ثمار المدينة وبتخذي نعيم ابن مسعود للاحزاب واليهود ، معنوياً وليس مادياً فحسب . ان كلمة الرسول ﷺ « الحرب خدعة »^(٨٣) اصبحت مبدأ حريياً انا على صعيد الاحزاب فقد قام حبي بن الخطب باغراء بني قريظة بنذ عهد المسلمين .

المباغطة :

باغت المسلمون الاحزاب بالخنق وسيلة الدفاع المحورة ميدانياً لحماية المدينة عن بعد .

لم تكن قريش وحلفاؤها قد مارسوا اجتيازها ولم يتوقعوها وان كانوا قد رأوا الخنق من قبل في محيط حصون تقيف وغيرها . ان هذه المباغطة احبطت عزيمة الاحزاب ، فبينما كانوا يمتقنون بظهور المسلمين عند جبل أحد كما ظهروا في معركة أحد قبل سنتين أو يجدونهم في المناطق المبنية داخل المدينة ، اذا بهم يباغتون بالاسلوب التعبوي المبتكر والمكان المغاير لما سبق والأهبة المكثفة وحسن الافادة من الوقت المتيسر للاستحضارات .

روح القتال :

تأزم الموقف بعد مرابطة الاحزاب على حافة الخنق وحصارهم للمسلمين في مجال ضنك وظاهرتهم في ذلك بنو قريظة واخذ التعب والاجهاد يؤثر على كفاية المسلمين ونفسيات بعضهم واشتد عليهم البلاء . ومع هذا كله تشربت قلوب المؤمنين الصامدين المتحلين بروح القتال المتوهجة ، بقوله تعالى في سورة البقرة

« أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، الا ان نصر الله قريب »^(٨٤) فزادهم هذا القول ثباتاً على الجهاد واصراراً على المطاولة والمرابطة وتصديقاً لوعده الله بقرب نصره لهم حتى قال تعالى يشرح موقفهم « ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله

وصلى الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً (٨١)

ولمن اراد المثال ليرجع البصر الى سير المعركة ويطلع على افاعيل الفتى الغالب علي بن ابي طالب ، والفارس المقدم الزبير بن العوام والسعد بن معاذ وابن عباد وأسيد بن حضير ونعيم بن مسعود وحذيفة بن اليمان واضرابهم وصفية بنت عبد المطلب . وكثيرون هم من سعت عن بطولاتهم الكتب لكن اجرهم عند ربهم قد كتب وحسب .

القيادة :

كان الرسول ﷺ قدوة حسنة لجنده ، أعانهم في الحفر وعانى معهم الجوع والقر وحصى الثغرة مع الحرس وحضر في المكان المناسب في الوقت المناسب وعند اشتداد الفعاليات . ويوصي النقباء باليقظة والحذر ويحث الارصاد والدوريات والمتحمسين للاخبار بالمعلومات المستجدة .

وعلى صعيد المشركين كان تناوب القيادة المتراوح بين ابي سفيان وروساء الاحزاب توهيناً لقدرة القائد الاعلى على صنع القرار الاوفى عند تطور الحوادث وتحديد الانطلاق أفكاره لو شاء تغيير الخطة لاسباب موحية ، وتوسماً في المبادرات الفردية المحلية . فهذا عكرمة يهاجم بكرنوس واحد لادامة الهجوم المحلي من غير ان يكون لديه مدد أو يدعم باحتياط لادامة الزخم . وكذلك صنع خالد عصر يوم آخر دون استشارة رئيسه او قائد . إن غياب القيادة العليا يفقد الحركات الكثير من أمور التنسيق وتوحيد الجهود وتحول الاضطرابات دون بلوغ الهدف .

الامن :

كان الرسول ﷺ يبعث السرايا ، وربما يغزو ، في الانحاء والارحاء للارشاد والهداية والاحتواء ثم للاطلاع على مواقف الاعراب الكثيرة التغير . وربما أجرت هذه السرايا استطلاعاتها بالقوة لارهاب أهل الفتن والاهواء . كل ذلك من أجل تحقيق الامن وتوفير السلامة للمجتمع الاسلامي في مناطق انتشاره .

وقبيل هذه الغزوة وقبل معرفة الرسول ﷺ بتحريك الاحزاب من مكة الى المدينة بمدة وجيزة تطامن الامن وتمتدز بغزوتي ذات الروع وبومة الجندل لارهاب القبائل المقصودة بهما ومنعهم من الانضمام الى قريش واعداء المسلمين . ونشطت مصادر

استخبارات الرسول ﷺ حتى في مكة نفسها . فهؤلاء فتیان خزاعة ، وخزاعة موضع سر الرسول ، يغنون السير الى المدينة ليطلعوا الرسول ﷺ على خبر مسير الاحزاب . وهذا زعيم غطفان ييوع بخبر اتفائه مع قريش على المسلمين فيلتقطه الرسول ﷺ ويضيف اليه ما قال فتیان خزاعة فيقرر كسب الوقت للتهيؤ والاستحضارات اللازمة . ويتعزز الامن ايضاً بحفر الخندق وفي اثناء الحصار بنشر الدوريات حول المدينة والمناطق الواهنة من محيط الميدان كله وتعيين نقاط الرصد والمراسد الثابتة . وايضا من يتحسس نيات بني قريظة ومراقبة تحركاتهم العدائية ، وارسال حذيفة بن اليمان الى مخيمات الاحزاب ومجلس قادتهم لكشف موقفهم الحاضر وما يزمعون القيام به .

حرب الطبيعة :

لقد سخر الله جنوده ، ومنهم الريح الشديدة . وحفر المسلمون الخندق بطريقة فريدة .

اما المشركون فلم يوفقوا في تعيين اوان المعركة ، فقد وصلوا الى المدينة والخندق حاجز والدفاع ناجز ، والطقس مغاير ومتغير . وازداد سوء الحال ليلة الارتحال فالشتاء ما يزال يجرد الانذال ، والمطر هطال ، والرياح قاصفة والريح عاصفة ، قلبت قدور الطعام واقتلعت الخيام ، فلا وتد لبذ ولا سقف صمد ، ولا حطب اتقد ، والعمود محدود ، والزرع والكلا محصود والخندق أحد السود ، والحرتان تحددان حركة الفرسان . وقد وصف حذيفة بن اليمان تلك الليلة الحالكة الطيلسان فقال : « ما انت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها ، تطن في رياحها اصوات امثال الصواعق ، وما يستطيع احدا ان يرى أصبعه من قمامها السائد . » ولم يتدبر المشركون أمرهم بجلب معدات اجتياز المانع وتجهيزات اتقاء البرد مما قتل من قدراتهم .

مسك الختام

لله الحمد من قبل ومن بعد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه أجمعين ، وبعد

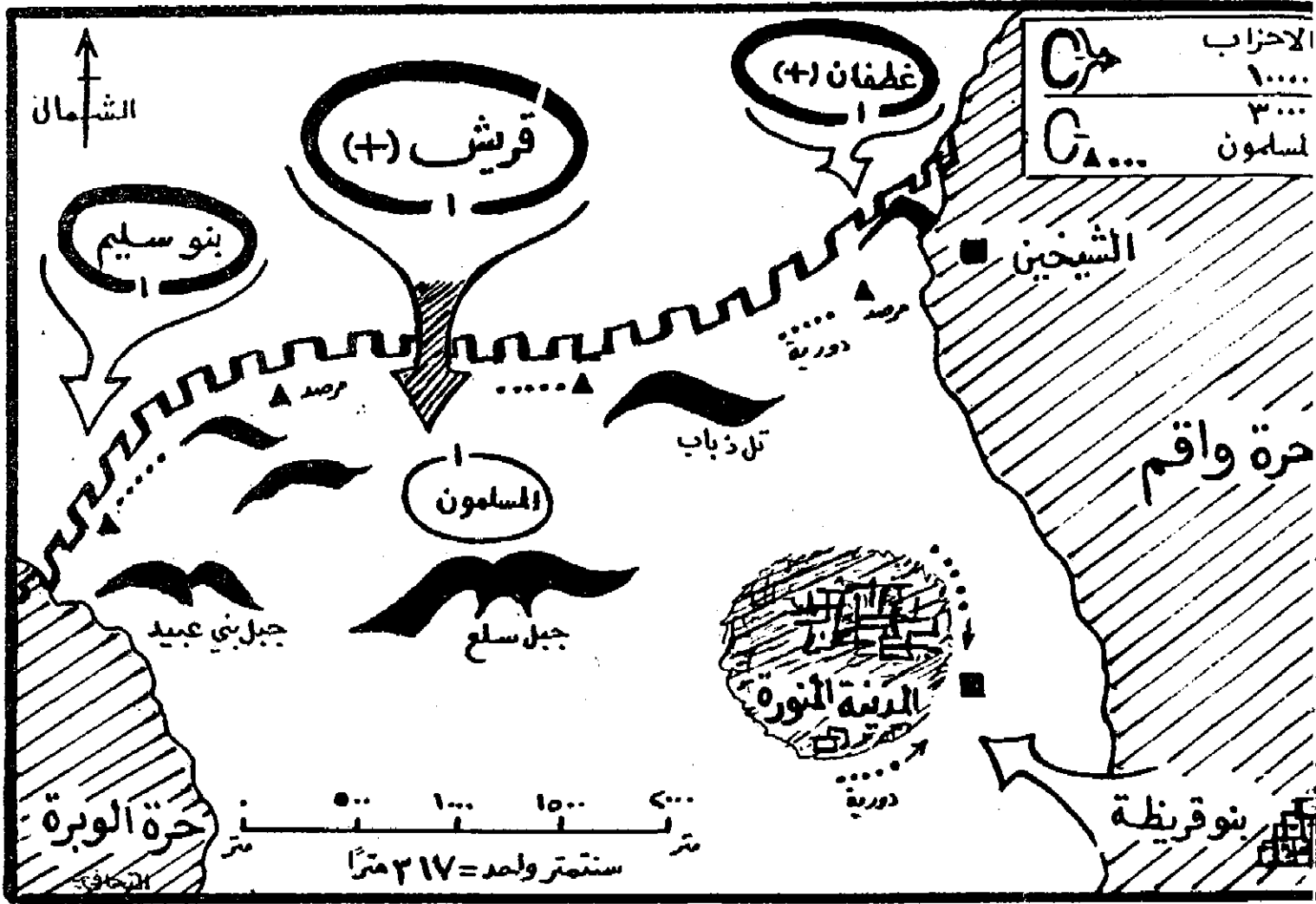
نضر الله أخاً أصفى لقولي

ووعاء وعي إنسان نبية
وأتاني حيث أخطأت بنصح

وهداني لمكان اللبس فيه
وجزاء الله عني كل خير

إنما المؤمن مرآة أخيه

معركة الخندق



الهوامش

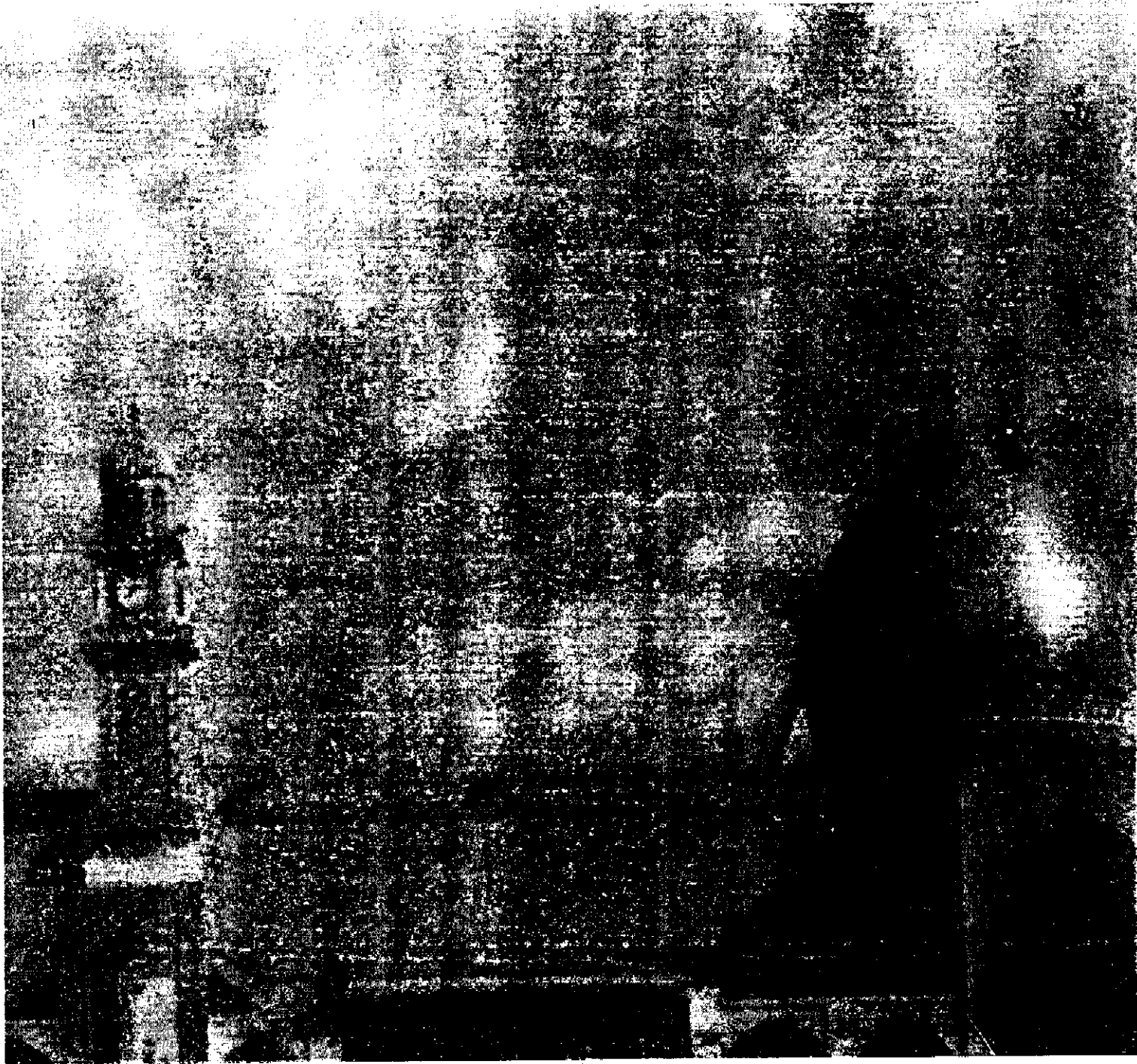
- (١) جنرال أكرم . سيف الله . مترجم ط١ بيروت ١٩٨٢ ص ٧٥ .
- (٢) سورة النساء / ٥١ ، ٥٢ .
- (٣) ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك . السيرة النبوية محققة ط١ مصر ١٩٥٥ ج ٢ ص ٢١٥ . الطبري ، محمد بن جرير . تاريخ الرسل والملوك . محقق ط١ مصر ١٩٦٧ ج ٢ ص ٥٦٥ .
- (٤) جنرال أكرم ص ٧٥ .
- (٥) ابن حزم ، الاندلسي ، علي بن أحمد . جمهرة انساب العرب محقق ط١ مصر ص ٤٨١ .
- (١) الواقدي ، محمد بن عمر . المغازي . محقق ط١ بيروت ج ٢ ص ٤٤٣ ، ٤٩٤ . ابن سعد ، محمد . الطبقات الكبرى ط١ بيروت ج ٢ ص ٦٦ . ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر . زاد المعاد في هدي خير العباد ط١ مصر ١٩٧٠ ج ٢ ص ١٣٠ . جنرال أكرم ص ٧٦ .
- (٢) الواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ .
- (٣) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٠ . ابن سعد ج ٢ ص ٦٦ .
- (٤) الكيل : مصطلح أطلقه المجمع العلمي العربي في دمشق على
- (٥) محمود الدرة . تاريخ العرب العسكري ط١ بيروت ١٩٦٤ ص ١٣٠ .
- (٦) جنرال أكرم ص ٧٨ .
- (٧) أكرم ضياء العمري . السيرة النبوية الصحيحة ط١ المدينة المنورة ١٩٩٣ ج ٢ ص ٤٢٠ .
- (٨) جورجيو ، كونستانس . نظرة جديدة في سيرة رسول الله . مترجم ط١ بيروت ١٩٨٣ ص ٢٨٨ وأكد الواقدي في مغازيه (٤٤٣ / ٢) ان صفقة الثمار هذه كانت بين يهود خيبر وعبيدة بن حصن زعيم غطفان .
- (٩) الواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ .
- (١٠) ابن سعد ج ٢ ص ٦٦ .
- (١١) سورة النور / ٦٢ .
- (١٢) سورة النور / ٦٣ ، ٦٤ .
- (١٣) أكرم ضياء العمري ج ٢ ص ٤٢٣ .
- (١٤) جنرال أكرم ص ٧٧ .
- (١٥) جنرال أكرم ص ٧٨ .

- (١٦) اكرم ضياء العمري ج ٢ ص ٤٢١ .
 (١٧) احمد عاتل كمال . الطريق الى المدائن ط١ بيروت ١٩٧٢
 ص ١٤٤ . محمد ضياء الدين الرئيس . الخراج . ط١ مصر ١٩٧٧
 ص ٢٨٨ . صبحي الصالح . النظم الاسلامية ط١ بيروت ٩٧٨
 ص ٤١٥ .
 (١٨) جورجيو ص ٢٩٠ .
 (١٩) جنرال اكرم ص ٧٧ ، ٨١ .
 (٢٠) ابن هشام ج ٢ ص ٤٨٧ .
 (٢١) الواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ . ابن سعد ج ٢ ص ٦٧ . ابن سيد
 الناس ، محمد بن محمد . عيون الاثر ط١ بيروت ١٩٧٤ ج ٢ ص ٥٧ .
 (٢٢) الحلبي ، علي بن برهان ، المسيرة الحلبية ط١ بيروت . لات . ج
 ٢ ص ٣١٤ .
 (٢٣) جورجيو ص ٢٨٨ .
 (٢٤) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٠ .
 (٢٥) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٠ .
 (٢٦) ابن سعد ج ٢ ص ٦٧ .
 (٢٧) الواقدي ج ٢ ص ٤٤٦ . جورجيو ص ٢٩١ .
 (٢٨) جنرال اكرم ص ٧٨ .
 (٢٩) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٦ . الواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ .
 (٣٠) الواقدي ج ٢ ص ٤٤٠ .
 (٣١) ابن هشام ج ٢ ص ٢١٤ .
 (٣٢) ابن سعد ج ٢ ص ٦٥ .
 (٣٣) الطبري ج ٢ ص ٥٦٤ .
 (٣٤) اكرم ضياء العمري ج ٢ ص ٤١٨ .
 (٣٥) جنرال اكرم ص ٧٦ .
 (٣٦) جورجيو ص ٢٨٨ .
 (٣٧) جلوب ، جون باجوت . حياة محمد وعهده غير مترجم ط١ امريكا
 ١٩٧٩ ص ٢٤١ ، ٢٥٣ .
 (٣٨) السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن . الاعلان بالتوبيخ لمن تم
 اهل التاريخ ص ٥٠٨ المطبوع ملحقاً بكتاب علم التاريخ عند المسلمين
 لروزنتال المترجم والمطبوع ببغداد ١٩٦٣ .
 (٣٩) اكرم ضياء العمري ج ٢ ص ٤١٨ .
 (٤٠) سورة التوبة / ٣٦ .
 (٤١) فريمان - فرجيل . التقويمان الهجري والميلادي . مترجم
 ط١ بغداد ١٩٧٠ صفحات الجداول الاربعة .
 (٤٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٤ . ابن سعد ج ٢ ص ٦٨ .
 (٤٣) جورجيو ص ٢٩٢ .
 (٤٤) جنرال اكرم ص ٧٩ ومدة الحصار لديه (٢٣) يوماً .
 (٤٥) البخاري ، محمد بن اسماعيل . صحيح البخاري ط١ بيروت .
 لات . مفاري / ١٣٩ .
 (٤٦) سورة الاحزاب / ١٢ .
 (٤٧) سورة الاحزاب / ١٣ .
 (٤٨) سورة الاحزاب / ١٨ .
 (٤٩) سورة الاحزاب / ٢٢ .
 (٥٠) جنرال اكرم ص ٨٠ .
 (٥١) الواقدي ج ٢ ص ٤٦٠ .
 (٥٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ . الواقدي ج ٢ ص ٤٥٩ .
 جنرال اكرم ص ٨٠ .
 (٥٣) الحلبي ج ٢ ص ٢٢٣ .
 (٥٤) الطبري ج ٢ ص ٥٧٧ .
 (٥٥) الواقدي ج ٢ ص ٤٦٢ .
 (٥٦) سورة الاحزاب / ١٠ ، ١١ .
 (٥٧) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٣ . ابن سعد ج ٢ ص ٧٣ .
 (٥٨) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٩ .
 (٥٩) ابن سعد ج ٢ ص ٦٩ .
 (٦٠) الحلبي ج ٢ ص ٣١٩ .
 (٦١) جنرال اكرم ص ٩٠ .
 (٦٢) الواقدي ج ٢ ص ٤٧٢ . الحلبي ج ٢ / ٢٢٠ .
 (٦٣) ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٧ . الحلبي ج ٢ / ٣٢١ .
 (٦٤) الحلبي ج ٢ ص ٣٢٣ .
 (٦٥) جنرال اكرم ص ٩١ .
 (٦٦) الواقدي ج ٢ ص ٤٩٦ .
 (٦٧) جورجيو ص ٢٩٩ . جنرال اكرم ص ٩٢ .
 (٦٨) جورجيو ص ٢٩٨ .
 (٦٩) ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٢ .
 (٧٠) ابن سعد ج ٢ ص ٧١ .
 (٧١) سورة الاحزاب / ٩ .
 (٧٢) سورة الاحزاب / ٢٥ .
 (٧٣) محمود الدرة ص ١٣٨ .
 (٧٤) ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
 (٧٥) الواقدي ج ٢ ص ٤٩٢ ، ٤٩٣ . الحلبي ج ٢ ص ٣٣١ .
 (٧٦) ابن سعد ج ٢ ص ٦٩ .
 (٧٧) جلوب ص ٢٤٩ .
 (٧٨) اكرم ضياء العمري ج ٢ ص ٢٣١ .
 (٧٩) بخاري / مفاري / ١٢٣ .
 (٨٠) يعقوب الانفاني . اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ط١ دمشق
 ١٩٣٧ ص ٢٤٩ .
 (٨١) جلوب ص ٢٤٩ .
 (٨١) بخاري / مفاري / ٢٩ .
 (٨٢) خلعة وخلعة وخلعة .
 (٨٣) سورة البقرة / ٢١٤ .
 (٨٤) سورة الاحزاب / ٢٢ ، ٢٣ .

■ **الكُوفَة** : بالضم : المصر المشهور بارض بابل من سواد العراق ويسميتها قوم : خذ العذراء ، سميت الكوفة لاستدارتها واجتماع الناس بها .

وقد مصرت في أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة ١٧ هـ . كانت منازل اهلها قبل ان تُبنى أخصاصاً من قصب إذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها فاذا عادوا بنكوها فكانوا يغزون ونساؤهم معهم . ثم بنيت باللبن من غير ارتفاع ولم يكن لهم غرف ثم بنيت أبوابها بالاجر . ضمت الكوفة خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر ، وأربعة وعشرين ألف دار لسائر العرب وستة آلاف دار لليمن .

قال فيها الامام علي (عليه السلام) : « الكوفة كنزُ الايمان وحجةُ الاسلام وسيفُ الله ورمحه يضعه حيث شاء » وقال « عند الاسطوانة الخامسة - من مسجد الكوفة - صلى ابراهيم عليه السلام ، وقد صلى فيه الف نبي والف وصي ، وفيه عصا موسى والشجرة اليقطين .. وفيه مصلى نوح عليه السلام » . وفي ظاهر الكوفة منازل النعمان بن المنذر والحيرة والنجف والخورنق والسدير والفريان وما هناك من المتنزهات والديرة الكبيرة .



التركيب الداخلي لمدينة الكوفة

دراسة في جغرافية المدن التاريخية

أ. د. صباح محمود محمد
عميد كلية التربية
الجامعة المستنصرية

مقدمة

تهدف الدراسة الى تحليل استعمالات الارض Landuse في مدينة الكوفة خلال فترة ازدهارها في التاريخ العربي الاسلامي وبيان الشكل الذي اتخذه تركيبها الداخلي في ضوء العوامل المؤثرة في تحديد ذلك التركيب .

لقد اختار سعد بن ابي وقاص موقعها عام ١٧ هـ (٦٣٨ م) كي تكون قاعدة عسكرية ينطلق منها لتحرير العراق ونشر الدين الاسلامي . ولا تشير المصادر الى وجود استقرار بشري أو قرية أو مدينة في مكانها . وقد نشأت المدينة في أرض سهلية على الجانب الغربي من نهر الفرات شمال شرق مدينة الحيرة المعروفة .

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين والجغرافيين واللغويين في معنى الكوفة الا اننا نرجح انها سميت بذلك لاستدارتها^(١) .

وخلال الفترات اللاحقة لنشأتها ، تطورت المدينة بشكل كبير بحيث لم تعد كونها قاعدة عسكرية للمجاهدين العرب المسلمين فحسب ، بل أصبحت مركزاً تجارياً مهماً في المنطقة وسوقاً لتبادل المنتجات والسلع الآتية من البادية ومن السهل الرسوبي ، وقد وصلت أوج عظمتها في العصر الأموي فبلغت مساحتها ١٥ كم طولاً و ٩ كم عرضاً^(٢) .

وقد ميز الدكتور شاكر مصطفى مراحل تطور المدينة كما يلي^(٣) :

الاولى : خلافة عمر بن الخطاب (١٧ - ٢٣ / ٦٣٨ - ١٢٤) .

الثانية : ولاية زيادة بن أبيه . (٥٠ - ٥٣ / ٦٧٠ - ٦٧٢) .

الثالثة : ولاية خالد القسري أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٠ / ٧٢٣ - ٧٢٧) .

إلا أن دورها وأهميتها قد اضمحل بعد أن بنى الحجاج بن يوسف الثقفي مدينة واسط وظهور بغداد كعاصمة للدولة الاسلامية بعدئذ ، وعندما زارها الرحالة العربي ابن جبیر عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م قال عنها : معظمها خراب^(٤) . ومما لاشك فيه ، فإن لتغير مجرى نهر الفرات والأحداث التي شهدتها الدول العربية الاسلامية والصراع على الخلافة ، اثره الكبير في ازدهار وتدهور مدينة الكوفة ، وعلى الرغم من ذلك بقيت المدينة مصراً مهماً من أمصار العالم العربي الاسلامي .

العوامل المؤثرة في التركيب الداخلي لمدينة الكوفة

يتشكل التركيب الداخلي لأي مدينة ، بتأثير مجموعة من العوامل الطبيعية ، البشرية والاقتصادية والاجتماعية^(٥) ، ولاشك أن المدن العربية التي أنشأها المجاهدون المسلمون ، تشترك في مجموعة من العوامل التي أثرت على مورفولوجيتها^(٦) ، مع أن لبعض المدن خصوصيات في العوامل المؤثرة وفي شكلها أيضاً . ومن هذا المنطلق نجد أن التركيب الداخلي لمدينة الكوفة يشترك مع المدن الإسلامية في بعض تلك العوامل المؤثرة ويغفرد في أخرى ، وتلك العوامل هي :

أولاً : العوامل الطبيعية :

١ . تشير المصادر التاريخية إلى أن الأرض التي أقيمت عليها مدينة الكوفة كانت جزءاً سهلياً من الضفة اليمنى للفرات تتكون تربته من الرمال مخلوطة بالحصباء^(٧) ، وكلما اقتربت الأرض من نهر الفرات أصبحت رسوبية خصبية بسبب ترسبات النهر أثناء الفيضانات . وتشير مصادر أخرى إلى أنها : « سميت بكوفان وهو جبل صغير فسقلوه واختطوا عليه »^(٨) ويمكن أن يكون ذلك صحيحاً إذا علمنا أن المنطقة التي أنشأت فيها الكوفة ، منطقة كثبان رملية ، ومن المحتمل جداً أن سويت إحدى الكثبان الرملية القريبة من نهر الفرات وخططت عليها مدينة الكوفة .

٢ . يتميز مناخ الكوفة بالصفاء والعذوبة ، قال عنها ابن حوقل : مدينة الكوفة قريبة من مدينة البصرة في الكبر هواؤها أصح وماؤها أعذب^(٩) ، وقال محمد بن عمر بن عطار ، « ولا كوفة سفلاً من الشام ووبائها وارتفعت عن البصرة وعمقها ، فهي مريئة مريعة ، برية بحرية إذا أتت الشمال هبت مسية شهر على مثل رضراض الكافور ، وإذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السواد ويأسمينه وخيريه وأترجه ماؤناً عذب . ومحتشنا خصب^(١٠) » وقال عنها اليعقوبي ، وهي من أطيب البلدان وأفسحها وأغذاها وأوسمها^(١١) .

٣ . الموارد المائية : تتوفر لمنطقة الكوفة موارد مائية تكفي لاعداد كبيرة من السكان عن طريق جلب المياه من نهر الفرات بواسطة القنوات والجداول أو حفر الآبار ، سواء لأغراض الشرب أو الزراعة وقد أشار إلى ذلك المقدسي بقوله « والنهر على طرفها من قبل بغداد ولهم أبار عذبية حولها نخيل بساتين »^(١٢) ويشير البلاذري إلى نهر الجامع ويتر المارك^(١٣)

وتحدث الشافستي في الديارات في وصفه لدير في الكوفة والبساتين التي تحيط ببيوت الرهبان في قوله : « وكانت الأنهار تجري في هذه البساتين »^(١٤) وأشار حمد الله المستوفي القزويني في نزهة القلوب إلى موارد المياه في الكوفة بقوله :

« وماؤها من نهر التاجية خارج من الفرات »^(١٥) كما تطرقت بعض المصادر التاريخية والجغرافية إلى نكر بعض الأنهار والعيون في منطقة الكوفة وهي :

- ١ . نهر الكوفة بالجانب الغربي منها .
- ٢ . نهر أبا بين الكوفة وقصر ابن هبيرة .
- ٣ . نهر البردان كان منزل وبرة بن رومانس .
- ٤ . نهر البويب كان مجراه إلى موضع دار صالح بن علي بالكوفة ومصبه بالجوف العتيق وموقعه في الجنوب الشرقي من الكوفة^(١٦) .
- ٥ . نهر الفدير عند ديارات الاساقف المحيطة بالكوفة .
- ٦ . نهر شبلي في ناحية من نواحي الكوفة .
- ٧ . نهر الصنين بظاهر الكوفة وعليه مزارع .
- ٨ . نهر نرس ماخذه من الفرات عليه عدة قرى في نواحي الكوفة .
- ٩ . نهر نشاسج .
- ١٠ . نهر الفوار .
- ١١ . عين جمل .
- ١٢ . عين صيد .
- ١٣ . عين النسخ .
- ١٤ . عين الرهمية .
- ١٥ . بئر علي^(١٨) .

ثانياً : العوامل الدينية :

تقف العوامل الدينية في مقدمة العوامل المؤثرة في تركيب المدينة العربية ، حيث اعتاد المجاهدون العرب عند إنشاء المدن في المناطق التي يتم تحريرها أن يباشروا ببناء الجامع أو المسجد أولاً في وسط المدينة^(١٩) لأن المسجد هو مركز ترابط المجاهدين يتلاقون فيه للصلاة ، وتبادل الرأي ويقصده للوقوف على أخبار جماعتهم ويلتقون فيه مع رؤسائهم^(٢٠) ، إضافة إلى اتخاذهم المساجد مقراً للتقاضي ومكاناً للتعليم والدراسة ، والتجمع من أجل الانطلاق للقيام بعمليات التحرير العسكرية^(٢١) .

وقد أمر الخليفة عمر (رض) أن يكون المسجد الجامع في قلب المدينة وتكون دار الإمارة قريبة منه ، ولهذا فقد اتخذ المسجد مكاناً مركزياً من المدينة تتفرع منه الشوارع والطرق نحو الأطراف^(٢٢) فضلاً عن إنشاء المسجد الجامع فقد أنشأت كل قبيلة مسجداً لها في المنطقة التي تسكنها وكذلك المقابر الخاصة بها .

ثالثاً : العوامل العسكرية :

لقد لعبت العوامل العسكرية دوراً أساسياً في اختيار موضع

ومؤثراته وتركيبه ، الا وهو البيئة العربية الاسلامية . من هذا المنطلق سنشير الى التركيب الداخلي لمدينة الكوفة مع مقارنتها بتلك النظريات في المواقع الاوربية والامريكية لغرض التوضيح والتبسيط .

ومن أجل رسم صورة التركيب الداخلي لمدينة الكوفة ، كان لا بد من الرجوع الى المصادر القديمة التي كتبت عن الكوفة والتي يبدو أنها مفقودة وهي (٢١)

- ١ . كتاب لابن فضال (.. نحو ٢٩٠ هـ) (٢٢) .
- ٢ . كتاب لابن مبالد (أواخر القرن الثالث) .
- ٣ . كتاب لابن النجار التميمي (٣٠٣ - ٤٠٢ هـ) (٢٣) .
- ٤ . كتباً للملوي الحسيني (توفي سنة ٤٤٥ هـ) .
- ٥ . كتاب لابن النجار البغدادي (توفي سنة ٦٤٣ هـ) .
- ٦ . كتاب للنجاشي « كتاب الكوفة » وما فيها من الآثار والفضل .
- ٧ . كتاب لجعفر بن الحسن بن شهریار المتوفى سنة ٣٤٠ هـ « كتاب في المزار وفضل الكوفة ومساجدها » .

ولهذا فقد استمنا بالمصادر الجغرافية والتاريخية ككتب البلدان والممالك والمعاجم والخطط لجمع ما ذكر عن الكوفة والذي يبدو ان لويس ماسينيون قد استعان بها في كتاب خطط الكوفة الذي اعتمدت عليه الكتب التي تم تأليفها فيما بعد عن مدينة الكوفة كما يعد كتاب تاريخ الكوفة للمؤرخ حسين بن أحمد البراقبي النجفي المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ (٢٤) من الكتب الحديثة التي جمعت كل شيء عن الكوفة من المصادر القديمة أو التي عاصر المؤلف واضعها ، إلا أنه لا بد من الإشارة الى أننا اتخذنا من خارطة الكوفة التي أعدها ماسينيون أساساً لرسم خارطة التركيب الداخلي لمدينة الكوفة مع إضافات لنا من خلال تدقيقنا في المصادر والمعاجم .

ان صورة التركيب الداخلي لمدينة الكوفة تظهر على الشكل التالي (انظر الخارطة) :

- ١ . منطقة الاعمال المركزية CBD : تتوزع استعمالات الارض في مركز مدينة الكوفة كما يلي :

أولاً : استعمالات الارض الدينية : والتي تتمثل بوجود المسجد الجامع ، الذي كان انشاؤه توجيهاً وأمراً من الخليفة الفاروق (رض) ، حيث تتجمع القبائل لصلاة الجمعة والاعياد والتوجه للجهاد (٢٥) ، ان القضايا المتعلقة بالمسجد هي (٢٦) :

- أ . المسجد مربع الشكل .
- ب . كان يتسع لاربعمائة الف مقاتل ثم وسعه المغيرة وزياد بن أبيه ليتسع الى ٦٠ ألف مقاتل (٢٧) .

مدينة الكوفة كي يستقر بها المجاهدون العرب المسلمون بعد الانتصارات التي حققوها في حربهم ضد الفرس في جبهة المدائن ، حيث كان هذا الاختيار يتفق مع توجيهات الخليفة الفاروق (رض) للقائد سعد : « لا تجعل بيني وبينهم .. اي العرب - بحرأ » . وقد أثرت هذه العوامل بدورها في التركيب الداخلي للمدينة ، بحيث تم تخطيطها وتوزيع القبائل فيها لاعتبارات عسكرية أيضاً ، إضافة الى حفر الخندق حول المسجد والصحن عند تأسيسها ، ثم حفر الخندق وبناء السور حول المدينة في فترة الخليفة المباسي المنصور (٢٨) .

رابعاً : العوامل الاجتماعية :

ان العوامل الاجتماعية التي تؤثر في تركيب المدينة الداخلي كثيرة ومتشابهة (٢٩) ، إلا أن أبرز العوامل المؤثرة في مورفولوجية مدينة الكوفة ، هي عامل التكتل القبلي ، حيث انقسمت الكوفة وقت انشائها الى سبعة أقسام قبلية ، كل قبيلة نزلت في موقع خاص أو خطة خاصة ثم غيماها الخليفة علي (رض) ، وأجرى بعض التقلبات بين القبائل ، أما في إماره زياد فصار تكتل الاقسام السبعة أربعاً (٣٠) .

خامساً : العوامل الاقتصادية :

ويظهر تأثير تلك العوامل في دور الكوفة التجاري ، حيث شكلت مركزاً تجارياً لتبادل البضائع والسلع بين السهل الرسوبي والبادية ، ولهذا فقد انتشرت فيها الاسواق التي تركزت أول الامر شمال المسجد وفي شرقيه ، وبنيت بشكل دكاكين منظمة في ولاية خالد القسري (٣١) . كما لا بد من الإشارة الى وجود بعض الصناعات التي تركزت في الكوفة كصناعة الوشي والخز ويشكل خاص العمائم والمناديل الكوفية المشهورة إضافة الى شهرتها في صناعة السيوف الحربية الشهيرة والسهام وأنصال الرماح التي نشطت فيها كون المدينة انشأت كقاعدة عسكرية أساساً للمجاهدين العرب المسلمين (٣٢) .

التركيب الداخلي لمدينة الكوفة :

لقد تبلورت في جغرافية المدن مجموعة من النظريات التي تفسر التركيب الداخلي للمدن وتوزيع استعمالات الارض داخل المدينة (٣٣) ، إلا ان جميع تلك النظريات استنبطت من دراسات المدن في أوروبا وأمريكا ، التي قد تتطابق بعض تفاصيلها ومفرداتها على المدن العربية والاسلامية ، ومن غير المنطقي والعلمي ان تستعير تلك النظريات والانكار لتفسير واقع مختلف ، له عناصره

جـ . كانت ظلة المسجد (بيت الصلاة) مائتي نراع (١٠٠ م) اقيمت على أعمدة من الرخام .

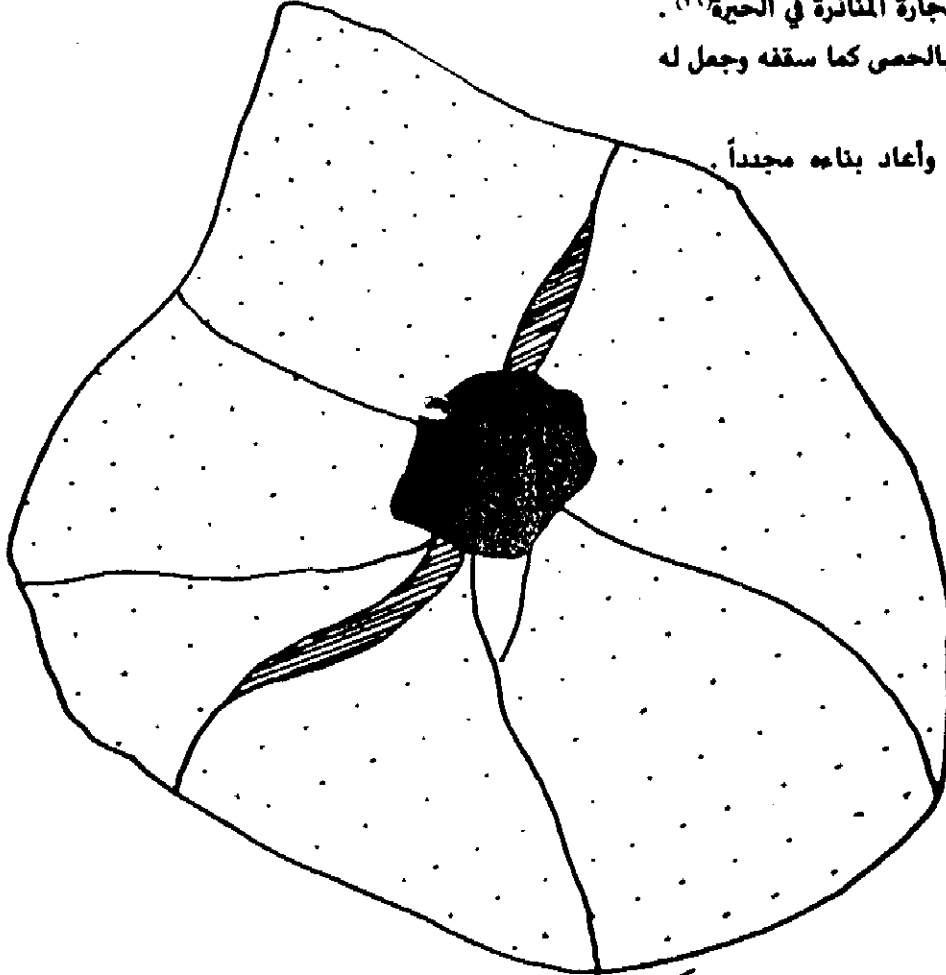
د . تم حفر خندق حول الصحن .

هـ . أضاف اليه زياد مقصورة جدها خالد القسري .

و . بني المسجد أولاً من اللبن والقصب وأشار البلاذري الى أن المسجد قد بني من بعض أنقاض وحجارة المنائر في الحيرة^(٣٦) .

ز . كس زياد ابن أبيه أرض المسجد بالحصى كما سقفه وجعل له مجنبتات ومؤخرة .

ح . هذه الحاجاج بن يوسف الثقفي وأعاد بناءه مجدداً .



● منطقة الاعمال المركزية

▨ الشوارع التجارية الرئيسية

□ المناطق السكنية

المَدِينَةُ الدَّافِلِيَّةُ الْمُرِينَةُ الْمُنَانَةُ

في جهة القبلة (الجنوب)^(٣٧) .

رابعاً : استعمالات الأرض التجارية : وهي الأراضي التي تحتلها الأسواق وتمتد من مركز المدينة حيث المسجد الجامع باتجاه الشمال الشرقي وباتجاه الجنوب الغربي ، ولم تكن للأرض التي تحتلها الأسواق أسواراً او حدوداً معينة وإنما كانت أرضاً مفتوحة ، ثم وضعت لها سقوفاً من الحصر ، ثم بنيت أيام خالد القسري الذي صنف الأسواق حسب نوع السلعة^(٣٨) . وقد اصطلح على الأسواق التي تمتل جزءاً من مركز المدينة تسمية « السوق الجامعة » حيث تعرض أفضل أنواع السلع والبضائع^(٣٩) .

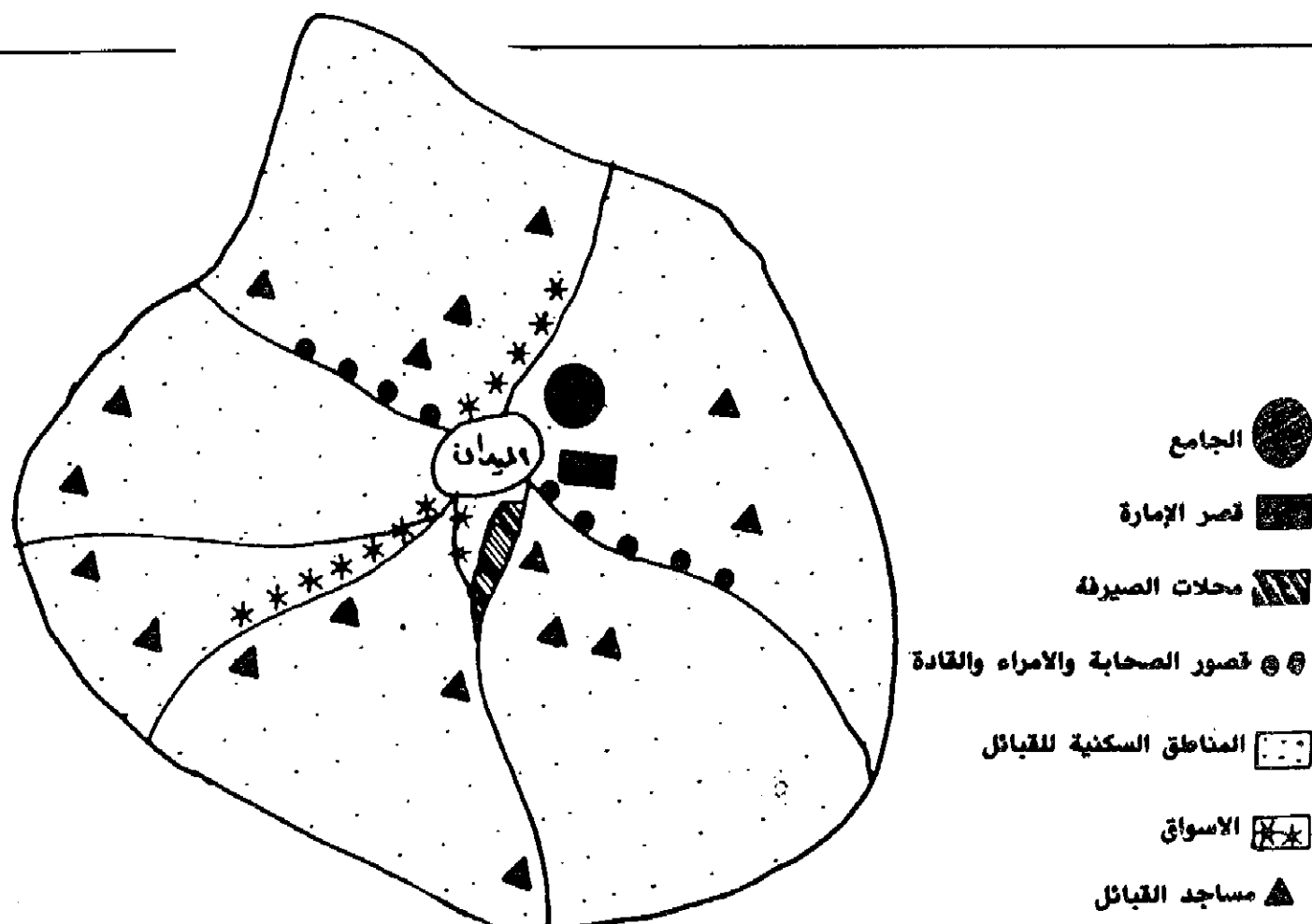
خامساً : استعمالات الأرض السكنية : اختلف المؤرخون في عدد

ثانياً : استعمالات الأرض الادارية : والتي تتمثل بدار الامام المجاور للمسجد الجامع في الجهة الجنوبية منه مع انحراف قليل نحو الشرق . تم بناء دار الامارة من الحجر المجلوب من الحيرة^(٣٧) ويقال إن قياسات الطابوق موحدة وغير منقولة من أبنية سابقة^(٣٨) .

كان دار الامارة مربع الشكل ، تفوز قواعد الجدران ٩٠ سم في الأرض ودعمت الجدران بإبراج عددها (٢٠) برجاً .

لقد كان دار الامارة مقراً للقائد المجاهد سعد ومن بعده للخلفاء والامراء والولاة .

ثالثاً : استعمالات الأرض المالية : وتتمثل ببيت المال الذي كان



استعمالات الأرض في مدينة الكوفة

ذكرت المصادر التاريخية حوالي (٢٧) مسجداً^(١٦) بينما ذكر ما سينيون (١٠) جبانات إضافة إلى الأراضي الواسعة التي كانت تدعى « الصحارى » التي شكل قسم منها جبانات للقبائل أيضاً^(١٧). كما لا بد من الإشارة إلى وجود بيع وأديرة لأهل الذمة^(١٨).

سابعاً : استعمالات الأرض الصناعية : لقد ذكرت المصادر التاريخية صناعات كثيرة اشتهرت بها مدينة الكوفة وهي : النسيج ، الحدادة ، الأسلحة ، النجارة ، الخزف ، الدهون ، الصياغة ، الصابون ، والنبيذ ، إلا أننا لم نجد إلا إشارات نادرة عن مواقعها في المدينة وهي :

أ . محلات الصياغة بالقرب من المسجد الجامع في جهة الجنوب .

ب . اصحاب الخز والقصارون في أطراف دار الوليد قرب المسجد الجامع .

ج . سوق الحدادين في غربي المدينة .

ثامناً : استعمالات الأرض لأغراض النقل : تشير المصادر لهذه الأراضي على الشكل التالي :

١ . المناهج : وهي الخطوط الفاصلة بين صفوف خيام القبائل

سكان الكوفة وقت انشائها فهناك من يقدروهم بمائة ألف وهناك من يقدروهم بعشرين ألف . وقد بنى السكان دورهم خلال السنوات الخمس الأولى من القصب والخيام ثم شيدت بعدئذ من الأجر^(١٩) . لقد توزع السكان حسب القبائل إلى سبع مناطق عسكرية سميت الاسباع ، ولما لم يكن للمدينة سور فقد ترك للسكان أن ينزحوا في المناطق الخالية إلى أن أحيطت في عهد المنصور بسور وخندق .

وتشير المصادر إلى أن عدد المساكن في الكوفة في العصر الأموي قد بلغ (٥٠) ألف مسكن للعرب من ربيعة ومصر و (٢٤) ألف مسكن لسائر العرب و (٦) آلاف مسكن لأهل اليمن^(٢٠) .

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن منازل الصحابة والامراء والقواد كانت تتركز حول المسجد ، ودار الإمارة وهي قطائع خاصة أقطعها الخليفة عمر (رض) لأصحاب رسول الله (ﷺ) وبعض الامراء وقادة الجند .

سادساً : استعمالات الأرض الدينية : وتتمثل بالأراضي التي شيدت عليها المساجد والمقابر (الجبانات) في المناطق التي سكنتها القبائل حيث خصص لكل قبيلة مسجد وجبنة^(٢١) وقد

وتقسم الى :

أ. مناهج رئيسية : وهي بمثابة طرق رئيسية بين صفوف خيام القبائل وكل واحد منها بـ (٤٠) ذراعاً ، وقد تم تخطيط (١٥) منهجاً عند انشاء المدينة .

ب. مناهج فرعية : وهي دون الاولى ولكنها تلاقيها من أطراف مختلفة وكل واحد منها بـ (٢٠) ذراعاً^(٥٦) .

٢. السكك : وهي الطرق التي تم تخطيطها بعرض (٥٠) ذراعاً للسكة الواحدة^(٥٧) ، وكانت تتخللها بعض الأزقة والدروب ويشير الطبري الى ان بعض هذه الطرق تنار في الليل بالمشاعل .
تاسعاً : استعمالات اخرى : تكشف المصادر عن استعمالات اخرى ، هي :

أ. الحمامات والسقايات كانت بالقرب من الجوف العتيق قرب المسجد الجامع^(٥٨) .

ب. اراضي خالية تسمى الصحاري بين الاحياء السكنية تستخدم لأغراض مختلفة ، كمقد الاجتماعات وتجمع المجاهدين

وانمقاد بعض الاسواق^(٥٩) .

ج. اراضي اتخذت كمناطق لرمي القمامة^(٦٠) وكانت تسمى الكناسة عند المدخل الغربي لمدينة الكوفة ثم صارت محلة او سوقاً او محطة تجارية^(٦١) .

د. مراكز ترفيهية ممثلة ببعض الدور كدار ابن أمين الذي يشير اليه الاصفهاني في أغانيه من ان له منزلاً في الكوفة وله جوار ومغذيات أشهرهن سلامة الزرقاء وكان يغشاها اغتيان بكثرة للسمع والشرب^(٦٢) .

هـ. حليات الخيل : تشير المصادر الى أن ابن سبيرة أقام حلبة لسباق الخيل في الكوفة وقد شغل أهل الكوفة بالمرافعة عليها^(٦٣) .

و. المنتزهات : يشير ماسينيون الى أن حدائق اديرة الكوفة الواسعة أصبحت منتزهات لاهل الكوفة^(٦٤) .

ز. السجون : يشير ماسينيون الى وجود سجنين في الكوفة أحدهما قرب الكناسة في المدخل الغربي للمدينة^(٦٥) .

الخلاصة

من دراسة التركيب الداخلي لمدينة الكوفة تبرز لنا مجموعة من الحقائق المهمة يمكن تاسيرها كما يلي :

(١) استند العرب في إنشائهم للمدن الى أسس تخطيطية كانت ومازالت تشكل مبادئ وأسس أساسية في تخطيط المدن ، وفي مقدمتها مراعاة الظروف الجغرافية الطبيعية (الموقع والموقع) ومدى توفر مستلزمات وإمكانات إقامة المستوطنات البشرية .

(٢) كانت للعوامل العسكرية ، في التواصل مع مركز الدولة في المدينة للحصول على الامدادات وعدم جعل المواقع الطبيعية كالبهار والانهار وغيرها في ظهرهم لتمنعهم من الاتصال مع مركز الدولة أو التراجع لتنظيم الصفوف مرة ثانية والاحتشاد في

الاستيطان لمواجهة الظروف الطارئة والدفاع بكفاءة عالية ، لقد كانت تلك العوامل تلعب دوراً أساسياً في تخطيط المدن وإنشائها .

(٣) لقد عمل العرب على أن تكون خطط المدن التي انشأوها دائرية الشكل منطلقين من أن الاحتشاد والالتفاف حول مركز القيادة يعطيهم كفاءة عالية في الدفاع .

(٤) اتخذ التركيب الداخلي للمدن العربية شكلاً هو أقرب الى نظرية الدوائر المشتركة - المركز حيث يشكل المسجد الجامع وقصر الامارة وبيت المال والسوق الجامع الدائرة الاولى ، ثم تتوزع استعمالات الارض منطلقة منها نحو الاطراف مشكلة الدائرة الثانية .

المصادر والهوامش

(١) د. كاظم الجناحي : تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والآثرية (خاصة في العصر الأموي) . بغداد ١٩٦٧ ، ص ١١ - ١٦ .

(٢) شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور . بغداد ١٩٨٢ ، ص ٢٣٥ .

(٣) د. شاكر مصطفى : المدن في الاسلام حتى العصر المماليكي ، الكويت ١٩٨٨ ، ج ١ ، ص ٣٥٣ .

(٤) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٩٨ .
(٥) د. حسن الخياط : التركيب الداخلي للمدن : دراسة في بعض الاسس الجغرافية لتخطيط المدن . مجلة الاستاذ ، المجلد الثاني ، ١٩٦٣ - ١٩٦٤ ، بغداد .

(٦) مصطفى الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية بغداد ١٩٨٢ ود. احمد علي اسماعيل : المدن العربية والاسلامية . الكويت ١٩٨٧ ، ص ١٠ - ١٢ .

الكوفة ص ١٢ .

(٣٠) الزركلي : الاعلام ، ج ٥ ، ص ٧٩ .

(٣١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٩٨ .

(٣٢) حسن بن أحمد البراقبي : تاريخ الكوفة . حرره السيد محمد صادق بحر المعلوم ، ط ٢ ، ١٩٦٠ ، المطبعة الحيدرية في النجف . وللمؤلف كتاب آخر سماه البقعة البهية ، مختصر في تاريخ الكوفة الزكية لم يطبع .

(٣٣) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٣٤) انظر : د . عيسى سلمان وآخرون ، ص ٥٨ - ٦٣ ، ياقوت الحموي ، ج ٤ ، ص ٤٩١ ، د . عبد الجبار ناجي ، ص ١٦١ ، ١٩٦٣ .

(٣٥) يقول ياقوت : قيل كان مسجد الكوفة هو تسعة أجزء الجنباني ، تخطيط الكوفة ، ص ١١٣ .

(٣٦) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٨٤ .

(٣٧) K . A . C . Creswell : Early Muslim Architecture , London , 1932 .
vol . P . 16 .

(٣٨) د . عيسى سلمان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٦ .

(٣٩) ماسينيون ، ص ٢٨ .

(٤٠) ماسينيون ، ص ٢٦ .

(٤١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٧١ .

(٤٢) د . حمدان الكبيسي : إيصال أنظمة الأسواق في المدينة العربية . كتاب أنظمة المدينة العربية . مركز إحياء التراث العلمي العربي . بغداد ١٩٩١ ، ص ٧٥ - ٨٨ .

(٤٣) ماسينيون ، ص ٩ .

(٤٤) الجنباني ، تخطيط الكوفة ، ص ٨٤ .

(٤٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١١ .

(٤٦) المصدر السابق ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٤٧) ماسينيون ، ص ١٩ ، د . الزبيدي الحياة الاجتماعية ، ص ٣٤ .

(٤٨) د . صالح أحمد العلي : منطقة الكوفة دراسة طبوغرافية مستندة الى المصادر الادبية ، مجلة سومر ، المجلد ٢١ ، ١٩٦٥ ، ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

(٤٩) ماسينيون ، ص ١٧ ، الجنباني ، ص ٧٥ - ٨٠ .

(٥٠) اليعقوبي ، البلدان ، ص ١٧ .

(٥١) ماسينيون ، ص ١٨ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٨٠ .

(٥٢) البراقبي ، تاريخ الكوفة ، ص ١٤٤ .

(٥٣) البراقبي ، ص ١١٨ .

(٥٤) الزبيدي : الحياة الاجتماعية ص ٣٢ .

(٥٤) الاصفهاني : الاغانى ج ١٣ ، ص ١٢٧ .

(٥٦) الزبيدي ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٢٨ .

(٥٧) ماسينيون ، ص ٢٦ .

(٥٨) المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٧) الجنباني : تخطيط الكوفة : ص ١٣ - ١٤ ويشير الى أن ارتفاعها عن سطح البحر ٢٢ متراً .

(٨) حسين بن أحمد البراقبي : تاريخ الكوفة : النجف ١٩٧٠ ، ص ١١٠ .

(٩) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(١٠) ابن الفقيه الهمداني : مختصر البلدان طين ١٣٠٣ هـ ، ص ١٦٤ .

(١١) اليعقوبي : البلدان ، ليدن ، ص ٢٩ .

(١٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٠٦ ، اوفسيت المثنى ، ص ١١٧ .

(١٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، مصر ١٩٥٩ ، ص ٢٨٤ .

(١٤) الشافعي : الديارات . بغداد ١٩٥١ ، ص ١٧١ .

(١٥) البراقبي : مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٦ .

(١٦) المصدر السابق ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(١٧) ل . ماسينيون : خطط الكوفة وشرح خريطتها . ترجمة ت . المصمبي . صيدا ١٩٣٩ ، ص ١٨ .

(١٨) يشير ماسينيون الى انه لم تكن في الكوفة ابار صالحة للشرب طيلة الاعوام المائة الاولى بل كانوا ينقلون الماء من شريعة الفرات ، وبعد زمن حفروا بئراً فوجدوا ماءها صالحاً للشرب فسميت بـ (بئر علي) - خطط الكوفة ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

(١٩) د . عبدالرزاق عباس : نشأة مدن العراق وتطورها ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٤١ .

(٢٠) د . حسين مؤنس : المساجد ، الكويت ١٩٨١ ، ص ٣٤ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ٣٥ - ٣٧ ود . عبدالاله أبو عباس : المدينة العربية ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢٢) د . عيسى سلمان وآخرون : العمارة العربية الاسلامية في العراق ج ١ ، بغداد ١٩٨٢ ، ص ٥٧ .

(٢٣) د . عبد الجبار ناجي : دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية . البصرة ١٩٨٦ ، ص ١٦٠ - ١٧١ .

(٢٤) H . Carter : the study of urban Geography Lindo 1976 PP .
171 - 293 .

(٢٥) د . الجنباني تخطيط مدينة الكوفة ، ص ٥٩ ، ماسينيون ، خطط الكوفة ، ص ١٠ .

(٢٦) الطبري ج ٥ ، ص ٢٥٨ واليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١١ .

(٢٧) د . محمد حسن الزبيدي : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري . القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٩١ - ١٩٨ .

(٢٨) انظر تفصيل ذلك في :

L . S . Bourne : Interbal structure of the city , N . Y . 1971 .

J . R . Short : An Introduction to urban Geography . London , 198٠ , PP .
95 - 197 .

(٢٩) د . شاكر مصطفى ، المصدر نفسه ج ١ ، ص ٤٠ ، البراقبي ، تاريخ

« الكوفة في المصادر الجغرافية العربية »

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. د. بهجت كامل عبداللطيف
قسم التاريخ - كلية الآداب -
جامعة بغداد

الكوفة كنز الايمان وجمجمة الاسلام
وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء (١)
الامام علي بن ابي طالب (رض)

حظيت مدينة الكوفة بتقدير واهتمام العديد من المؤرخين والفقهاء واللغويين وغيرهم وتناولوها بالبحث والاستقصاء لما لها من أهمية سياسية باعتبارها عاصمة المسلمين الثانية بعد مدينة الرسول (ﷺ) وموطن كبار الصحابة ومركز حركة المعارضة للخلافتين الأموية والعباسية . وعسكرية تتمثل في كونها معسكراً متقدماً للقوات الإسلامية المتجمعة نحو الشرق في حركة الفتح والتحرير ، ولعبت الكوفة دورها الريادي في تحقيق الكثير من الانتصارات في جبهات القتال المتعددة وفي مراحل مختلفة من الزمن . فضلاً عن أهميتها الثقافية والفكرية فقد برز من بين الكوفة العديد من الفقهاء والعلماء واللغويين والنحويين والمؤرخين وغيرهم ، وأسهمت مدينة الكوفة اسهاماً واضحاً في تطور وانتشار العلوم والآداب والفنون الإسلامية ووضعت في أروقة مساجدها الأسس الصحيحة لكثير من العلوم الفقهية واللغوية .

تناولت العديد من الدراسات الحديثة مدينة الكوفة وأولتها الاهتمام الكبير ، وكان أول من اهتم بها حسين بن السيد احمد البراق في كتابه (تاريخ الكوفة)^(١) والذي استعرض فيه جوانب مهمة من تاريخ هذه المدينة وأشهر الأحداث التي مرت بها . وقدم المستشرق لويس ماسينيون دراسته التي تدور حول خطط المدينة وخريطتها^(٢) . والدكتور كاظم ابراهيم الجنابي اهتم بدراسة تخطيط المدينة ومقارنتها مع الأمصار الإسلامية الأخرى^(٣) . بينما تناول الدكتور يوسف خليف حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني الهجري^(٤) ، وتطرق الدكتور محمد حسين الزبيدي للحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة^(٥) والسيد كامل سلمان الجبوري تطرق لدراسة مساجد الكوفة^(٦) . أما الجانب العسكري ودور الكوفة في حرب التحرير والفتوح فقد حظى باهتمام السيد هشام جيخور الربيعي^(٧) والدراسة الشاملة والدقيقة التي انجزها الدكتور هشام جميع وتطرق فيها الى مختلف جوانب الحياة في هذه الحاضرة الإسلامية^(٨) .

فضلاً عن كل هذا فقد تناولت العديد من الدراسات الحديثة جانباً أو أكثر من جوانب الحياة في هذه المدينة ضمن دراسة عامة وشاملة للمدن العراقية والمدن والأمصار الإسلامية ومنها دراسة السيد عبدالرزاق حسن في كتابه نشأة المدن العراقية وتطورها^(٩) . ومصطفى عباس الموسوي في مؤلفه (العوامل

ونذكر أن فيها خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر وأربعا وعشرين ألف دار لسائر العرب وستة آلاف دار لليمن^(٢٦) . ونزل الكوفة جماعة من اصحاب رسول الله (ﷺ) مع علي بن ابي طالب وابنه الحسين رضي الله عنهما واهلها من صرح العرب^(٢٧) .

(٣) المناخ : وصف اليعقوبي الكوفة عامة مشيرا الى مناخها قائلا : (الكوفة من أطيب البلدان وأفسحها وأوسطها)^(٢٨) . أما الأصطخري فيقول : (هواؤها أصح وماؤها أعذب من ماء البصرة)^(٢٩) ، ووافقه في هذا الرأي ابن حوقل^(٣٠) . وذهب ابن الفقيه أبعد من ذلك في بيان مناخ الكوفة فقال : (سفلت عن برد الشام وارتفعت عن حر اليمن فطاب ليلها وكثر خيرها)^(٣١) ويضيف ياقوت الحموي الى هذا قائلا (سفلت عن الشام وبيائها وارتفعت عن البصرة وحرها فهي (برية) مريئة مريئة اذا اتتنا الشمال نهبت شهر على مثل رضراض الكافور ، واذا اصبت الجنوب جاعتنا ريح السواد وورده وياسمينه واترنجه ماؤنا عذب وعشبنا خصب)^(٣٢) .

(٤) أسباب اختيار الموقع :

من البديهي أن الأسباب الرئيسية التي حملت المسلمين على تمصير الكوفة تكمن في أهمية الموقع العسكري شأنها في ذلك شأن الامصار الاسلامية الاخرى (البصرة - الفسطاط - القيروان) فحاجة الجيش العربي الاسلامي المندفع من الجزيرة حاملاً لواء الاسلام الى مقرات متقدمة لتجمعه وحمايته وانطلاقه في تنفيذ رسالته السماوية المتمثلة بالمبادئ والقيم التي نادى بها الاسلام ، حثت على قادة هذه الجيوش بناء الامصار الاسلامية . وكان للخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رض) الدور البارز في اختيار مواقع الامصار .

فقد نكر أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أصدر أمره الى سعد بن أبي وقاص قائد القادسية أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا^(٣٣) ، تتوفر فيه الشروط والمستلزمات التي شدد عليها القادة العرب انذاك وهي أن تكون على اتصال سهل ووثيق بمركز الخلافة في المدينة المنورة لكي تصبح عملية وصول الامدادات ونقل الاخبار بينها وبين المركز سهلة ميسورة وكذلك لكي تطابق الاستراتيجية العربية في مسألة الانسحاب عندما يواجه العرب المقاتلون مصاعب عسكرية الى الصحراء^(٣٤) .

وهناك أكثر من رواية ترد في مصادرنا الجغرافية تدور حول الكيفية التي توصل بها العرب الى اختيار موقع الكوفة . فالمسمودي ت ٩٥٦/٣٤٥ حدد العامل الجغرافي وعده هو الأساس في اختيار الموقع (مصر سعد الكوفة في سنة خمسة عشرة وبلغهم على موضعها (ابن) نفيلة الغساني (الذي) قال

التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية)^(٣٥) . وقدم الدكتور عبد الجبار ناجي مؤلفه القيم الذي يعد من أحدث وأشمل الدراسات عن تاريخ المدن الاسلامية ، استعرض فيه مدينة الكوفة من جوانب متعددة مؤكداً على تخطيط المدينة وتطورها^(٣٦) . أما الدكتور شاكر مصطفى فقد تعرض لدراسة المدينة من خلال كتابه الموسوم (المدن في الاسلام حتى العصر العثماني)^(٣٧) . شكلت المعلومات التي بونها الجغرافيون العرب مصدراً أساسياً لمعظم هذه الدراسات وبالرغم من هذا فإننا لم نجد دراسة متخصصة تناولت بالمرض والتحليل مادة الجغرافيين ، لذا تحاول هذه الورقة أن تسلط الضوء على نواحي مهمة في تاريخ هذه المدينة الاسلامية من خلال معلومات الجغرافيين العرب المسلمين ويمكن تصنيف مادتهم حسب المحاور الآتية :-

أولاً : المحور الجغرافي والبيئي :-

(١) الموقع :-

أن موقع الكوفة كما ذكر ابن الفقيه الهمداني كان يسمى سورستان^(٣٨) ، ويذكر ياقوت الحموي أنها تقع في الاقليم الثالث على نهر الفرات^(٣٩) ، وهي اول مدينة اختطها المسلمون بالعراق في سنة أربع عشرة للهجرة^(٤٠) . ويرى أبو الفدا أن الكوفة تقع على نواع من نهر الفرات خارج في جنوبي الفرات وغربها^(٤١) ، وفي رواية اخرى يشير الى أنها تقع على شعبة من الفرات^(٤٢) .

(٢) المساحة والسكان :

ذكر الأصطخري أن مساحة الكوفة قريبة من البصرة في الكبر^(٤٣) . ويرى ياقوت الحموي أن مساحة الكوفة قدرت فكانت ستة عشر ميلاً وتلثي الميل وطولها تسع وستون درجة وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثان^(٤٤) .

ويشير أبو الفدا الى أن الكوفة في القدر كنصف بغداد^(٤٥) . نزلت الكوفة القبائل العربية التي خرجت من الجزيرة العربية وحقق انتصار الكبير على القوات الفارسية في معركة القادسية . اضافة الى توافد القبائل العربية على هذا المصير بعد التأسيس^(٤٦) كما انتقل اليها اهل الحيرة وبهذا الصدد يذكر الأصطخري (أن الحيرة خلت من الاهل بعد أن عمرت الكوفة)^(٤٧) .

ومن بين القبائل العربية التي نزلت الكوفة قوم من الأزد وجدوا (نزهة) على حد قول اليعقوبي فيما بين بجيلة وكندة وكذلك نزلت همدان في مناطق من الكوفة . أما الاطراف فقد نزلتها قبائل تميم ويكر واسد^(٤٨) بلغ عدد سكان الكوفة ثمانون الفا ومقاتلتهم اربعون الفا^(٤٩) .

لسعد : انك على ارض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة ، فله على موضع الكوفة اليوم...» (٢٥) ولم يتباعد الرواية الثانية عن العامل الجغرافي ولكنها توسعت وضمت العوامل التاريخية والدينية جنبا الى جنب مع العامل الجغرافي . فقد أكدت هذه الرواية على ان سعد بن ابي وقاص بعث اثنين من قادته لاختيار موقع لجندته حتى اتيا الانبار فصار أحدهما في غرب الفرات لا يرض شياً حتى وصل الكوفة ، ومار الاخر في جانب الشرقي حتى وصل الكوفة فأكبا عليها وفيها ديارات ثلاث (٢٦) . فاعجبتهمما البقعة فنزلا وصليا ودعا كل واحد منهما : « اللهم رب السماوات وما أظلت ، ورب الارضين وما أقلت ، ورب الرياح وما أذرت ، والنجوم وما هوت ، والبحار وما حوت بارك لنا في هذه الكوفة واجعله منزلاً ثبات » (٢٧) . ويؤكد ابو عبيد البكري ت ٤٨٧ / ١٠٩٤ على العامل الديني في اختياره الكوفة فقد قيل ان الموقع كان منزل نوح (ع) (٢٨) .

ثانياً : المحور اللغوي والادبي :-

(١) أصل التسمية :-

قدمت مصادرنا الجغرافية روايات متنوعة ومتعددة المصادر عن أصل تسمية الكوفة . فذكر ابن الفقيه الهمداني عن قطرب ت ٢٠٦ هـ - ٨٢١ م انها سميت الكوفة من قولهم (تكوف الرمل أي ركب بعضه بعضاً) وينقل أيضاً عن ابي حاتم السجستاني ت ٢٤٨ هـ - ٨٦٢ قوله (الكوفة رملة مستديرة يقال كانهم في كوفان والكوفان تعني الاستدارة) (٢٩) . وقد أخذ بهذا الرأي أبو الفداء و اضاف ايضاً انها سميت كوفة من اجتماع الناس أخذاً من قولهم تكوف الرمل إذا ركب بعضه بعضاً (٣٠) أما ابن عبدالحق البغدادي ت ٧٣٩ / ١٣٣٩ م فيرى انها سميت كوفة بموضعها من الارض وذلك أن كل رملة يخالطها حصى سمى الكوفة (٣١) .

ويقدم ياقوت الحموي عرضاً تفصلياً شاملاً لأصل التسمية معتمداً على آراء اللغويين والروايات التاريخية فالكوفة كما ذكر تعني الاستدارة وذلك من قول العرب : رايت كوفانا وكوفانا بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة ومنه قولهم : كانهم يدورون في كوفان بضم الكاف ويفتحها وقد تشدد الواو اي في شيء مستدير . والكوفة تعني التجمع وذلك لاجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل يتكوف تكوفاً إذا ركب بعضه بعضاً .

وتعني ايضاً القطعة : قيل سميت كوفة لانها قطعة من البلاد ، من قول العرب اعطيت فلاناً كيفة اي قطعة ويقال ايضاً كفت اكيف كيفا إذا قطعت ، فالكوفة قطعة من هذا انقلب الياء

فيها واوا لسكونها وانضمام ما قبلها وكوفان اسم ارض وبها سميت الكوفة وكوفان والكوفة واحد :

وقيل ان الاسم اشتق من الجبل الموجود في المنطقة وهو جبل ساتيما الذي يحيط بها كالكفاف عليها وهؤلاء يؤكدون قول ابن الكلبي ت ١٤٦ هـ - ٧٦٣ م انها « سميت كوفة بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان وعليه اختطت مهرة موضعها وكان هذا الجبل مرتفعاً فسميت به » واطلق عليها ايضاً كوفة الجند من قول الشاعر (٣٢) .

ان التي وضعت بيتاً مهاجرة
بكوفة الجند غالت ونها غول
(٢) ما قيل في مدح الكوفة واهلها -

روى عن الامام علي بن ابي طالب (رض) انه قال « الكوفة كنز الايمان وجمجمة الاسلام وسيف الله يضمنه حيث يشاء والذي نفسي بيده لينصرن الله جل وعز باهلها من شرق الارض وغربها كما انتصر بالحجاز وكان رضي الله عنه يقول (حبذا الكوفة ارض سهلة معروفة تعرفها جمالنا المعلوفة) وروى عن مالك بن دينار ت ١٣١ هـ - ٧٤٨ م انه قال (كان على بن ابي طالب اذا اشرف على الكوفة قال)

يا حبذا مقالنا بالكوفة
ارض سواء سهلة معروفة
تعرفها جمالنا المعلوفة

وقال الامام علي بن ابي طالب (رض) لياتين على الكوفة زمان وما من مؤمن ولا مؤمنة الا بها او قلبه يحن اليها وقال كرم الله وجهه مخاطباً الكوفة والبصرة « يحكيا كوفة واخحك البصرة كاني بكما تزدان مد الاديم وتعركان عرك العكاصي الا اني اعلم فيما اعلمني الله عز وجل انه ما اراد بكما جباراً سوءاً الا ابتلاه الله بشاغل » (٣٣) .

وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يكتب الى سيد الامصار وجمجمة العرب يعني الكوفة . يحرزون ثغورهم ويمنون اهل الامصار .

وكتب اليهم قائلاً (اني اختبرتكم فاحببت النزول بين اظهركم لما اعرف من حكم لله ولرسوله وقد بعثت اليكم عمار بن ياسر أميراً وعبدالله بن مسعود مؤثناً ووزيراً وهما من النجباء من اهل بدر فخذوا عنهما واقتدوا بهما وقد آثرتكم بمبدالله بن مسعود عن نفسي) (٣٤) . وكتب ايضاً الى اهل الكوفة رأس العرب وكذلك رأس الاسلام .

وقال الخليفة ابو العباس السفاح (١٣٢ - ٧٥٣ / ١٣٦) في جلسة افتخار بين الكوفيين والبصريين الكوفة بلاد الادب ووجه العراق ومبزع أهله وعليها

ويوم المدائن وجلولاء وحلوان وهذا كله قبل ان ينزلوا الكوفة ، وبما ان نزلوا الكوفة حرروا الموصل وفتحوا اذربيجان وتستر وما سيار ورامهرمز وجرجان والدينور وساهموا مع اهل البصرة في الفتوحات على الجبهة الشرقية في نهاوند وبعض الري وبعض اصبهان ولهم طمس وناحية من طبرستان .

وروى انه (اجتمع اهل العراق عند يزيد بن هبيرة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م فقال يزيد بن هبيرة اي البلدين اطيب ثمرة الكوفة ام البصرة فقال خالد بن صفوان ثمرتنا اطيب ايها الامير منها كذا ومنها كذا فقال عبدالرحمن بشير العجلي لست اشك ايها الامير الا وانكم قد اخترتم للخليفة ما تبعثون به اليه فقال اجل فقال قد رضينا بان تحكم لنا وعلينا . فاي الرطب تحملون اليه قال المشان قال فليس بالبصرة منه واحدة ، فاي التمر تحملون اليه قال (الثرسبان) قال وهذا فليس بالبصرة منه واحدة ، قال والهزير والازان قال وهذا فليس بالبصرة منهما واحدة . ثم قال فاي القسب تحملون قسب العنبر قال وهذا فليس بالبصرة منه واحدة قال افلست تعلم انها افضل من البصرة) (١١) .

ثالثا : المحور التنظيمي الانشائي :

يفهم من رواية اليعقوبي ان البناء في الكوفة تم بموجب خطة محكمة ويتوجيه مباشر من مركز الخلافة الاسلامية ومن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بالذات . فقد ذكر انه كتب الى سعد (ان يجعل شكل الكوفة خمسين ذراعا بالسواء) (١٢) وتناولت مصادرنا كيفية التخطيط والتقسيم ويشير الى ذلك البلاذري قائلا (لما انتهى سعد الى موضع مسجدنا امر رجلا فعلى بسهم قبل مهب القبلة فاعلم على موقفه ثم علا بسهم اخر قبل مهب الشمال واعلم على موقفه ثم علا بسهم قبل مهب الجنوب واعلم على موقفه ثم علا بسهم قبل مهب الصبا فاعلم على موقفه ، ثم وضع مسجدها ودار امارتها في مقام العالي وما حوله) (١٣) ثم اسهم لنزار واهل اليمن بسهمين على انه من خرج بسهمه اولا فله الجانب الشرقي وهو خيرها فخرج سهم اهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات وترك مادونها فناء للمسجد ودار الامارة (١٤) .

وكانت منازل اهل الكوفة قبل ان تبني اخضاضا من قصب اذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها فاذا عادوا بنوها فكانوا يقرنون ونسأؤهم معهم وفي ايام المغيرة بن شعبه ت ٥٠ هـ / ٦٧٠ م بنت القبائل بالبلن من غير ارتفاع ولم يكن لهم غرف وفي اماره زياد بنوا ابواب الاجر فلم يكن في الكوفة اكثر ابواب الاجر من مراد والخزرج (١٥) .

الجحاش وهي غاية الطالب ومنزل خيار الصحابة واهل الشرف (١٦) ، وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى (واسقيناكم ماء فراثا) (١٧) هي اربعة انهار سيحان وجيحان والفرات والنيل الذي بمضرفاما سيحان فدجله واما جيحان فنهر بلخ واما الفرات فبالكوفة وقال المختار (حب اهل الكوفة شرف بغضهم تلف) . وكان عبدالله بن عمر بن الخطاب ت ٧٣ هـ / ٦٩٢ م يقول : (يا اهل الكوفة انتم اسعد الناس بالمهدي) . وكان زياد ابن ابيه ت ٥٣ هـ / ٦٧٣ يقول (الكوفة جارية حسناء تصنع لزوجهها فكلما راها يسر بها) وتذكروا عنده في البصرة والكوفة فقال زياد (لو خلت البصرة لجعلت الكوفة لمن يدلني عليها) وقال الحجاج بن يوسف الثقفي ت ٩٥ هـ / ٧١٤ م لزيدان فروخ اخبرني عن العرب والاهصار ... قال اخبرني عن اهل الكوفة قال (نزلوا بحضرة اهل السواد فاخذوا من ضيافتهم وسماحتهم) ووفد الحجاج على عبدالملك بن مروان ت ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ومعه أشراف العراق فلما دخلوا عليه تذكروا امر الكوفة والبصرة فقال محمد بن عمير المطاردي نحو ت ٨٥ هـ / نحو ٧٠٥ م (ان ارض الكوفة ارض سفلت عن الشام وعملها وبيائها وارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها وهي مدينة مريحة) وقالوا (الكوفة سفلت عن برد الشام وارتفعت عن حر اليمن فطاب ليلها وكثر خيرها) (١٨) وذكر ان الكوفة مدينة العراق الكبرى والمصر الاعظم وقبة الاسلام ودار هجرة المسلمين ، وقيل (اهل الكوفة اهل الله وهي قبة الاسلام يحن اليه كل مسلم) وقالوا من نزل الكوفة فلم يقر لهم بفضل ثلاث فليست له بدار (بفضل ماء الفرات ورطب المشان وفضل امير المؤمنين علي (رض) وقالوا جميعا (اذا كان علم الرجل حجازيا وطاعته شاميا وسخاؤه كوفيا فقد كمل) (١٩) .

(٣) قول اهل الكوفة في مدينتهم وانفسهم : عن علي بن محمد المدائني ت ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م انه قال (وفد خالد بن صفوان ت ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م على عبدالملك بن مروان فوافق عنده وفد جمع الامصار وقد اتخذ مسلمة مصانع له فسأل عبدالملك ان ياذن لهم بالخروج من تلك المصانع فانن لهم ... ثم اقبل على وفد الكوفة فقال هل فيكم مثلها فقال لا الا ان فينا تلاوة القرآن) وقالوا عن مساهمتهم في حرب التحرير الاسلامية ان لهم فتوحا واياماً فمن فتوحهم الحيرة وبانقيا والفلوجيتين وتستر وبغداد وعين التمر وبومة الانبار ، وفتحوا مع خالد بن الوليد في مسيره نحو الشام المضيق وحصير وبشر وقراقر وسوى وارك وتدمر . ثم شاركوا اهل الشام في بصرى ودمشق وهذا كله في خلافة ابي بكر الصديق (رض) ومن اثارهم في خلافة عمر بن الخطاب (رض) يوم جسر ابي عبيد ، ويوم مهران ويوم القادسية

وفي ميدان البناء والتشييد فقد سار وفق الخطة التي اقطع بها عمر بن الخطاب رسول الله (رض) وكانت كالاتي حسب رواية اليعقوبي^(٤٤).

أ. قبيلة عيس واقطمها الى جانب المسجد ثم تحول قوم منهم الى اقصى الكوفة .

ب. واقطع جماعة من قيس وسلمان بن ربيعة الباهلي والمسيب ابن نجية الفزاري حيال دار ابن مسعود .

ج. واخطط بامر من الخليفة عبدالله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعمر بن حريت دورهم حول المسجد .

د. واقطع سعد بن قيس عند دار سلمان بن ربيعة يفصل بينهما الطريق .

هـ. اما جبير بن مطعم فبنى دارا ثم باعها من موسى .

و. واقطع خالد بن عرفطه وخباب بن الارت وعمرو بن الحارث بن ابي ضرار وعمارة بن ربيعة التميمي .

ز. واقطع ابا مسعود عقبة بن عمرو الانصاري .

ح. وكانت قطائع بني شمع بن فزارة مما يلي جبينة .

ط. اما هاشم بن عتبة بن ابي وقاص فقد اقطعة في شهارسوج حنيس .

ي. واقطع لشريع بن الحارث الطائي .

ك. واسامة بن زيد دار ما بين المسجد الى دار عمرو بن الحارث ابن ابي ضرار .

ل. ولابي موسى الاشعري نصف الارى وكان قضاء عند المسجد .

م. والنصف الاخر لحذيفة بن اليمان مع جماعة من عيس وهو قضاء كانت فيه خيل من المسلمين .

ن. اما الرحبة التي تعرف بعلي بن ابي طالب (رض) فقد كانت من نصيب عمرو بن ميمون الاودي .

س. واقطع ابا جبيره الانصاري وكان على ديوان الجند .

ع. وناحية جبانة بشر اصبحت من نصيب عدي بن حاتم وسائر طي .

ف. واقطع الزبير بن العوام .

ص. ولجبرير بن عبدالله البجلي وسائر بجيلة قطيعه واسعة كبيرة .

ق. وكانت قطائع الاشعث بن قيس الكندي وسائر كندة من ناحية جهينة الى بني اود .

ر. واخيرا اقطع ابا عبدالله الجذلي في بجيلة .

ش. واستقطع سعد بن ابي وقاص لنفسه الدار التي تعرف بدار عمر بن سعد .

وتنتشر في الكوفة العديد من المواقع والمحال والمقابر ذات الالهية التاريخية والدينية وقدم لنا جغرافيون قائمة مفصلة بهذه

المواقع نوردتها حسب تسلسلها في المصادر .

أ. قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض) ويقال انه بموضع يلي زاوية جامعها واخفي من اجل الا يعثر عليه بنو امية ، ويزعم اكثر ولده ان قبره بالمكان الذي ظهر فيه قبر على بعد فرسخين من الكوفة^(٤٥).

ب. دكان علاف : وهو يقع في موضع قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض) .

ج. الغريان : بناهما المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء وكان سبب ذلك انه كان له نديمان من بني أسد خالد بن نطله وعمرو بن مسعود وانهما تملأ من النبيذ ليلة فرادا الملك بعض الكلام فامر مخضر لها صغيرتان بجانب البئر بظهر الكوفة فدفا فيه حين وفيهما يقول الشاعر^(٤٦).

الا بكر الناعي بخيري بني اسد

بعمرو بن مسعود وبالسيد الضمد

د. الحيرة البيضاء : وهي بالكوفة وكانت الملوك تنزلها قيل ان تبني الكوفة لطيب هوائها وفضلها على سائر المواضع^(٤٧) وقيل فيها ان يوماً وليلة بالحيرة خير من دواء سنة ، وفي هذا الصدد يقول الشاعر :

فان بها لو تعلمين اصائلا

وليلاً رقيقاً مثل حاشية البرد

هـ. شهارسوج : ومعناه شهارطاق بجيلة بالكوفة نسب الى قبيلة بجيلة وهم ولد مالك بن ثعلبة .

و. زارة : نسب الى زارة بن يزيد بن عمرو بن عنس من بني اليكار وكانت منزله فاخذها معاوية بن ابي سفيان .

ز. دار حكيم : وهو بالكوفة في اصحاب الانماط نسبت الى حكيم ابن سعد بن ثور البكائي .

ح. السوارية : محلة بالكوفة نسبت الى سوار بن زيد العبدي الشاعر .

ط. قرية ابي صلابه : وهي على الفرات نسبت الى صلابة بن مالك ابن طارق العبدي .

ي. اقتباس مالك : تنسب الى مالك بن قيس .

ك. دار قمام : نسبت الى قمام بنت الحارث بن هاني الكندي وهو عند دار الاشعث بن قيس .

ل. بيعة عدي : نسبت الى بني عدي بن الديبل من لخم .

م. طير ناباذ : تدعى ايضا ضير ناباذ منسوبة الى ضيزن بن معاوية بن العبيد السليحي .

ن. محلة بني شيطان : منسوبة الى شيطان بن زهير بن زيد مناة من تميم .

س. رجا عمارة : محلة نسبت الى عمارة بن عقبة بن ابي مقيط .

ع . سكة البريد : وكانت بيعة لام خالد بن عبدالله القسري .
ف . المدينة الهاشمية : وهي التي بناها ابو العباس بحيان الكوفة
وكان قد نزلها ثم اختار نزول الانبار فبنى فيها مدينتها المعروفة
به ، فلما استخلف المنصور نزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم
بناؤها وزاد فيها ثم تحول الى بغداد .

ص . الرصافة : وبالكوفة الرصافة وهي التي امر ببنائها الخليفة
المنصور^(٥٨) .

ق . شوميا : وهو موضع بالكوفة نزله جيش مهران لمحاربة المثنى
والمسلمين^(٥٩) .

ر . الكناسة : وهي محلة بالكوفة عندها واقع يوسف بن عمر
الثقفي زيد بن علي بن ابي طالب^(٦٠) .

رابعا : المحور العمراني :

يتناول هذا المحور الجوانب العمرانية المتميزة التي اثارت
انتباه الجغرافيين العرب فاولوها اهتمامهم وقدموا مادة اساسية
ساعدت على رسم الصورة التي كانت عليها المدينة في مراحل
نموها وازدهار الحياة فيها . وتبين ايضا مدى اهتمام العرب
المسلمين بالجوانب العمرانية خاصة بناية المساجد والقصور
والاسواق التي تعين القارئ على فهم الحياة الثقافية
والاجتماعية والاقتصادية للمدينة الاسلامية .

١ . المساجد :-

انتشرت في مدينة الكوفة العديد من المساجد ، واذا علمنا
ان محور الحياة العامة للمسلمين تدور حول المسجد ادركننا الدور
الكبير الذي لعبته مساجد الكوفة في ازدهار الحركة الفكرية
والعلمية والسياسية وحتى العسكرية ، ومن بين المساجد التي
ذكرها الجغرافيون هي :-

أ . مسجد الكوفة : وهو الجامع العتيق وقد اختلف في مساحة
المسجد فمن قائل انه تسعة اجربة وقيل ستة اجربة واقفوه^(٦١) .
وقال عنه امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض) (هو احد
الـمساجد الاربعة التي تعظم ولان اصلي فيه ركعتين احب الي من
ان اصلي عشرة في غيره الا في المسجد الحرام ومسجد
الرسول (ﷺ) ، ومن الروايات في تعظيم هذا المسجد انه قيل
(ان المكتوبة في مسجد الكوفة تعدل حجة والتطوع يعدل
عمرة)^(٦٢) ومن فضائله ما روى انه بينما كان الامام علي (رض)
جالسا يوما اتاه رجل فقال : (يا امير المؤمنين هذه راحلتي
وزادي اريد هذا البيت بيت المقدس ، فقال عليه السلام كل زادك
وربح راحلتك وعليك بهذا المسجد يعني مسجد الكوفة فانه احد
المساجد الاربعة)^(٦٣) ركعتان فيه تعادلان عشرا في سواء من
المساجد والبركة منه الى اثني عشر ميلا من حيث ما اتيت به وهي

نازلة من كذا الى ذراع وفي زاويته فار التنور وعند الاسطوانة
الخامسة صلى ابراهيم (ع) وفيه صلى الف نبي والف وصي
وفيه عصا موسى والشجرة اليقطين وفيه هلك يفتوح ويعوق وهو
الغاروق ، وفيه مسير لجبل الاهواز ، وفيه صلى نوح (ع)
ويحشر منه يوم القيامة سبعون الفا ليس عليهم حساب ووسطه
روضة من رياض الجنة وفيه ثلاثة اعين من الجنة تذهب الرجس
وتظهر المؤمنين ولو علم الناس ما فيه من الفضل لاتوه حبوا^(٦٤)
وقال السيد اسماعيل بن محمد الحميري ت ١٧٣ / ٧٨٩ م يذكر
مسجد الكوفة^(٦٥) .

لعمر ك ما من مسجد بعد مسجد
بمكة ظهرا او مصلى يبشر
بشرق ولا غرب علمنا مكانه
من الارض معمورا ولا متجنب
بابين فضلا من مصلى مبارك
بكوفان رحب ذي اواسي ومخصب
مصلى به نوح تاتل وابتلى
به ذات جزوم وصدر محتسب
وقار به التنور ماء وعنده
له قيل ياتوح في الفلك فاركب
وباب امير المؤمنين الذي به

ممر امير المؤمنين المهنذب
ب . مسجد السهلة : او مسجد عبدالقيس او مسجد القرى او
مسجد بني الظفر ويسمى ايضا المسجد البري^(٦٦) .

ج . مسجد سماك : وهو مسجد منسوب الى سماك بن مخزومه بن
حسن الاسدي^(٦٧) .

د . مسجد بني عنتر : وينسب الى عنتر بن وائل بن قاسط ويقع
في الجنوب الغربي من مسجد الكوفة^(٦٨) .

هـ . مسجد بني جذيمة : وينسب الى جذيمة بن مالك بن نصر ،
ويقع جنوب غربي مسجد الكوفة^(٦٩) .

و . وروى عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض) انه قال
بالكوفة اربع بقاع قدس مقدسة فيها اربع مساجد قيل سمها
يا امير المؤمنين فسمى هذه المساجد على النحو الاتي :-

- مسجد ظفر وهو مسجد السهلة ان اطنابها لعل ياقوتة
خضراء ما بعث الله نبيا الا صورة وجهه فيها^(٧٠) .

- مسجد جعصى لا تذهب الايام والليالي حتى تنبع منه عين .

- مسجد غنى لا تذهب الايام والليالي حتى تنبع منه عين وله
جذينة^(٧١) .

- مسجد الحمراء وهو موضع بستان لا تذهب الليالي والايام
حتى تنبع عين تنظف ما حواليه وفيه قبر اخي يونس بن متي .

٢ . القصور : وفي الكوفة اضافة الى قصر الامارة عدد من القصور التي ذكرها الجغرافيون وهي :-

أ . قصر المدسين^(٧٧) ، يقع في طرف الحيرة ، وهو لبني عمار بن عبدالمسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عشير بن الرماح بن عامر المذمم بن عوف بن بكر ، نسبوا الى جدتهم عدسة بنت مالك ابن عوف الكلبي^(٧٨) .

ب . قصر يزيد بن عمر بن هبيرة : ويقع بالقرب من جسر شورا .
ج . قصر ابي الخصيب : بني من قبل ابو الخصيب مرزوق مولى الخليفة ابو جعفر المنصور .

د . قصر مقاتل : نسب الى مقاتل بن حسان بن ثعلبة .
هـ . قصر الكوفة : ينسب اليه عبدالخالق بن محمد بن المبارك الهاشمي^(٧٩) .

٣ . الاسواق : كانت اسواق الكوفة تمتد من القصر والمسجد الى دار الوليد بن عقبة من جهة الى القلايين ودور ثقيف واشجع من الجهة الاخرى ، وكانت سقوقها من الحصر والبواري الى زمن الوالي خالد بن عبدالله القسري^(٨٠) ومن اشهر هذه الاسواق .
أ . سوق اسد : ينسب الى اسد بن عبدالله القسري .

ب . سوى يوسف : نسب الى يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم ابن عتبة الثقفي ، ابن عم الحجاج^(٨١) .
ج . سوق حكمة : وهو موضع بنواحي الكوفة^(٨٢) .

٤ . الحمامات : تنتشر في ارض الكوفة عدد من الحمامات ومنها :
أ . حمام اعين : نسب الى اعين مولى سعد بن ابي وقاص^(٨٣) .
ب . حمام عمر : نسب الى عمر بن سعد بن ابي وقاص .
ج . حمام سعد : وهو بطريق الحاج بالكوفة^(٨٤) .

٥ . المقابر (الجبانات) : توجد في الكوفة العديد من المقابر وهي في الاصل الصحراء^(٨٥) واهل الكوفة يسمون المقابر جبانة كما يسميها اهل البصرة مقبرة^(٨٦) ، ويذكر لنا الجغرافيون عددا من هذه المقابر وهي :-

أ . جبانة كندة : وهي مشهورة وهي لكندة وربيعة^(٨٧) .
ب . جبانة السبيع : وكان بها قوم لمختار بن عبيد^(٨٨) .
ج . جبانة ميمون : تنسب الى ابي بشير ميمون مولى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس صاحب الطاقات^(٨٩) وتقع بالقرب من باب الشام^(٩٠) .

د . جبانة عرزوم : تنسب الى رجل كان يصنع اللبن ويجففه وكانت لبني عبس^(٩١) .

هـ . جبانة سالم : تنسب الى سالم بن عرار بن بكر^(٩٢) .
و . جبانة بشر « الخنعمي » بطن من طي - وتقع ناحية قطيعة عدي بن حاتم وسائر طي^(٩٣) .

٦ . الاديرة : الدير هو البيت الذي يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد

يكون في المدن ، انما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال ، فان كان في المدن والامصار كان كنيسة او بيعة^(٩٤) ، وتضم ارض الكوفة كثيراً من الاديرة وهي :-

أ . ديارات الاساقف : وهي بظاهر الكوفة وفي اول الحيرة وهي قباب وقصور تسمى ديارات الاساقف ويحضرتها نهر يعرف بالغدير عن يمينه قصر ابي الخصيب وعن شماله السدير^(٩٥) .

ب . دير سرجس : وهذا الدير كان بطيزناباذ ويقع بين القادسية والكوفة على حافة الطريق وبينه وبين القادسية ميل . وربما هو دير الزنوق الذي اشار اليه ياقوت الحموي^(٩٦) .

ج . دير هند : نسبة الى هند بنت النعمان بن المنذر^(٩٧) . وفيه يقول الشاعر :-

الا ليت شمري هل ابقت ليلة

لسدى دير هند والحبيب قريب
د . دير الاعور : وهذا الدير بظاهر الكوفة بناه رجل من اياد يقال له الاعور من بني حذافة بن زهر بن اياد^(٩٨) .

هـ . دير الجماجم : دير لاياد وكان بين حيين فيهم قتال فلما انتهى القتال دفنوا قتلاهم عند الدير فكان بعد ذلك اذا حفروا فيه لبعض امورهم وجدوا جماجم فيخرجونها فسمي دير الجماجم^(٩٩) .

و . دير قرة : بازاء دير الحمام وهو منسوب الى قرة رجل من بني حذافة من اياد^(١٠٠) .

ز . دير حنة : وهو دير قديم بظاهر الكوفة والحيرة وفيه يقول الشاعر^(١٠١) .

يا دير حنة عند القائم الساقى

الى الخورنق من دير ابن سراق
ج . دير الشاء : وهذا الدير يقع بارض الكوفة على بعد فرسخ وميل من النخيلة^(١٠٢) .

هـ . دير السوا : وهو بظاهر الكوفة ومعناه دير العدل وكان الناس يتحالفون عنده فيتناصفون ، وقال الكلبي : هو منسوب الى رجل من اياد ، وقيل : هو منسوب الى بني حذافة وقيل السوا امرأة من بني حذافة : وقيل السوا ارض نسب الدير اليها ، وقيل فيه^(١٠٣) .

بل تامسل وانت ابصر مني

قصود دير السوا بعين جليه
لمن الطعن بالضحى وارادت

جدول الماء ثم رحن عشييه

٧ . الصحارى : وهي عبارة عن افنية واسعة تنتشر في منطقة الكوفة^(١٠٤) ومنها :

أ . صحراء البردخت : نسبت الى البردخت الشاعر الطيبي^(١٠٥) .

ب . صحراء ام سلمه : نسبت الى ام سلمة بنت يعقوب بن سلمة

ابن عبدالله امرأة الخليفة ابي العباس السفاح .

ج . صحراء بني اثير نسبت الى رجل من بني اسد يقال له اثير بالكوفة .

د . صحراء بني عامر .

خامسا : المحور الاقتصادي :

سلطت المصادر الجغرافية الاضواء على العديد من القضايا التي يمكن من خلالها ان ندرك المستوى العالي للحياة الاقتصادية التي كان يحياها اهل الكوفة ، وتمثل ذلك في الجوانب الزراعة والصناعة والتجارة . فمثلا وصف الاصطخري الاراضي الواقعة بين بغداد في الشمال والكوفة في الجنوب ، ودجلة في الشرق والفرات في الغرب (انها كانت كثيفة الزرع لدرجة يصعب معها التمييز بين المزارع المختلفة)^(١١١) وقيل ان اهل الكوفة نزلوا بين الجنان الملققة والمياه الغزيرة والانهار المطرزة تأنهم ثمارهم غصة لم تخضد ولم تفسد^(١١٢) وقال الكوفيون (نزلنا ارضا هشاشة في طرف فلاة وطرف ملح اجاج في سبخة نشاشة لايجف ثراها ولا ينبت مرعاها ياتينا ما ياتينا في مثل مرىء النعامة)^(١١٣) ، وقد خص الله جل وعلا به اهل الكوفة خاصة من عمل الوشي والخز وغير ذلك ومن انواع الفواكه والتنمر والقسوب ما قد عدم مثله بالبصرة والاهواز وبغداد والحجاز مثل الهيرين والمشان وقصب العنبر والنرسيان ولهم الادهان الطيبة الكثيرة^(١١٤) ، كما اشتهرت باجود انواع العنب المسمى الزراوى^(١١٥) فضلا عن انتشار زراعة الحنطة والشعير وقصب السكر والقطن^(١١٦) . وينبت في ارض الكوفة من الورد والازهار الخزامي والاقحوان والشيع والقيصوم والشقائق^(١١٧) ، وقد ساعد على نمو الزراعة واتساعها كثرة الانهار والجداول والعيون العذبة والابار التي يزرع حولها بساتين النخيل والاعشاب ومن اشهر انهار الكوفة ، نهر الجامع^(١١٨) ، ونهر نرسي ، ونهر سوارا^(١١٩) ونهر الفدير^(١٢٠) التي ساهمت كثيرا في انتشار الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية .

وتلقى منسوجات الكوفة خاصة المناديل والثياب الحريرية والوشى والخز رواجاً كبيراً وواسعاً في البلاد الاسلامية . اضافة الى براعتهم في صناعة المنسوجات فقد عرفوا باستخراج العطور من الازهار كالبندفسج^(١٢١) . واشتهروا بصناعة الخزف والدهان الى درجة ان اليعقوبي اشار الى استعانة الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٣ هـ / ٨٢٣ - ٨٢٨) بصناع الخزف والدهان من اهل الكوفة في بناء عاصمته الجديدة سامراء^(١٢٢) . وقد ضم الى الكوفة عدد من الطساسيج منها الجبة والبداة وفرات باقلا والسالحين ونهر

يوسف^(١٢٣) ، ودخل خراج الكوفة في طساسيج خراج السواد ، علما ان خراج الكوفة يختلف عن خراج البصرة لان ضياع الكوفة قديمة ازلية وضياع البصرة احياء موات^(١٢٤) .

ونتيجة لازدهار الصناعة ووفرة المحاصيل الزراعية فقد نشطت الحركة التجارية بين الكوفة ومدن السواد الاخرى وبين الكوفة وبقية اقاليم الخلافة الاسلامية ومما ساعد نمو التجارة ايضا وقوع الكوفة على ملتقى الطرق القادمة من بغداد والذاهبة الى الحجاز والشام ومصر وغيرها من الاقاليم الاسلامية . وساعد ايضا وقوع الكوفة على حافات الصحراء من جهة ومجارتها لنهر الفرات من جهة ثانية على نمو حجم التبادل التجاري . ومن المعلوم ان الطرق المتعددة التي تربط الكوفة بغيرها من المدن والاقاليم الاسلامية جميعها في مركز المدينة وتتفرع منها الى مناطق مختلفة . وقد قدم لنا الجغرافيون قائمة باسماء هذه الطرق منها :-

أ . طريق الحج الى المدينة ومكة وفيه منازل عامرة ومناهل قائمة فيها قصور لخلفاء بني هاشم^(١٢٥) .

ب . طريق الحج الى مكة مباشرة^(١٢٦) .

ج . طريق الكوفة - دمشق - مصر - الاندلس^(١٢٧) .

د . طريق الكوفة - اليمامة واسمه مثقب^(١٢٨) .

وهناك طرق تقع ضمن السواد تربط الكوفة بالمدن العراقية الاخرى وتخرج اما من الكوفة او من هذه المدن الى خارج العراق متجهة شرقا وغربا ومنها :-

أ . طريق الكوفة - بغداد وهو بطول ثلاثين فرسخا ، وقسم الى ثلاثة مراحل يسلكه الحجاج والتجار^(١٢٩) .

ب . طريق الكوفة - واسط^(١٣٠) .

ج . طريق الكوفة - البصرة ويسمى العذار وهو الطريق البري^(١٣١) .

هـ . طريق الكوفة - كربلاء من ناحية الشمال النخيلة ، كربلاء^(١٣٢) .

واخيرا فقد تحدثت المصادر الجغرافية عن مشاهير اهل الكوفة في السخاء والحكم والشجاعة وعن اشهر حفاظها^(١٣٣) ، ولبيان اهميتها الدينية اشارت كذلك الى اشهر من نزل هذه المدينة من الخلفاء والائمة^(١٣٤) ، وعن اهميتها الادارية ذكرت المصادر ان عمال العراق اتخذوها قصرا وكانت الدعوة لهم في العطاء قبل اهل البصرة^(١٣٥) .

وهكذا لمسنا من خلال هذه الورقة التي تجولت في الميادين الجغرافية واللغة والمناخ والادارة والتجارة والصناعة والزراعة والاعمار الدور الكبير الذي لعبته الكوفة في الحياة الاسلامية انذاك .

الهوامش والاحالات

- (١٤) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٦٣ .
- (١٥) ياقوت الحموي : شهاب الدين ابو عبدالله ت ١٣٧٦ / ١٩٥٧ معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، ١٣٧٦ / ٤ ص ، ٤٩٠ ، قارن سهراب عجائب الاقاليم السبعة ، تحقيق هانس فون فريك فينا ١٣٤٧ / ١٩٢٩ ص ٢٨ حيث وضعها ضمن الاقليم الرابع .
- (١٦) احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكتاب اليعقوبي ت ٢٨٤ / ٨٩٧ كتاب البلدان ، منشور مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته / لين ١٨٩١ ، ص ٣٠٨ ، قارن البلاذري احمد بن يحيى ت ٢٧٩ / ٨٩٢ م ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان دار الكتاب العلمية ، بيروت - لبنان ١٣٩٨ / ١٩٧٨ ص ١٢٧٤ .
- (١٧) ابو الفدا : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٢٢ هـ ، تقويم البلدان ، لين ١٨٤٠ ، ص ٣٠١ -
- (١٨) الاصطخري : ابراهيم بن محمد الفارسي ابو اسحاق ت ٣٤٦ / ٩٥٧ م المسالك والممالك تحقيق الدكتور محمد جابر عبدالمالي وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهرة ١٣٨١ / ١٩٦١ ص ٥٨ .
- ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن علي النصيبي ت ٣٦٧ / ٩٧٨ م ، صورة الارض منشورات مكتبة الحياة بيروت - لبنان (د . ت) ص ٢١٥ .
- (١٩) ياقوت الحموي : نفسه ج ٤ ص ٤٩٢ .
- (٢٠) ابو الفدا : نفسه ص ٢٩٢ .
- (٢١) ياقوت الحموي : نفسه .
- (٢٢) الاصطخري : نفسه .
- (٢٣) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣١١ .
- (٢٤) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٦٥ .
- (٢٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩٢ .
- (٢٦) محمد بن عبدالمعتمد الصنهاجي الحميري : الروض الممطر تحقيق د . احسان عباس بيروت ١٩٨٤ ، ط ٢ ص ١٠٥ .
- (٢٧) اليعقوبي : نفسه ص ٣٠٩ .
- (٢٨) الاصطخري : المسالك والممالك ص ٥٨ .
- (٢٩) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢١٥ .
- (٣٠) ابن الفقيه : نفسه ص ٩٣ . انظر كذلك هامش رقم ٧٤ .
- (٣١) ياقوت الحموي : نفسه ج ٤ ص ٤٩٢ .
- (٣٢) البلاذري / فتوح البلدان ص ٨٣ .
- (٣٣) البلاذري : نفسه ، عبدالجبار ناجي دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ص ٨٣ .
- (٣٤) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسمودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٣٨٤ / ١٩٦٤ ط ٤ ج ٢ ص ٣٢٩ .
- (٣٥) الحميري : الروض الممطر ص ١٠٥ .
- (٣٦) المصدر نفسه ص ٥٠٢ .
- (١) ابن الفقيه : احمد بن محمد الهمداني ت ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م . مختصر كتاب البلدان تحقيق دي غويه ، لين . ابريل ١٣٠٢ هـ ص ١٦٣ .
- (٢) حسين بن علي البراقبي : ت ١٣٢٢ هـ تاريخ الكوفة ، المطبعة الحيدرية النجف ط ١٣٧٩ / ١٩٦٠ .
- (٣) لويس ماسنيون : خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة محمد المصمبي ، تحقيق كامل سلمان الجبوري النجف ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .
- (٤) كاظم ابراهيم الجنابي : تخطيط مدينة الكوفة ، دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٧ .
- (٥) يوسف خليف : حياة الشمر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨ / ١٩٦٨ .
- (٦) محمد حسين الزبيدي : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، القاهرة ١٩٧٠ .
- (٧) كامل سلمان الجبوري : مساجد الكوفة ، مطبعة النعمان ، النجف ١٣٩٧ / ١٩٧٧ .
- (٨) هاشم جيخو ميري الربيعي : جبهة الكوفة (دراسة في احوالها العسكرية خلال العصر الراشدي) ، رسالة ماجستير على الالة الكاتبة كلية الاداب / جامعة البصرة ١٤٠٩ / ١٩٨٩ .
- (٩) هشام جميط ، الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية ط ١ ، بيروت دار الطليعة ١٩٩٣ .
- (١٠) عبدالرزاق عباس حسين : نشأة مدن العراق وتطورها ، مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٧ .
- (١١) مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢ .
- (١٢) الدكتور عبدالجبار ناجي : دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ، جامعة البصرة ١٩٨٩ .
- (١٣) الدكتور شاكر مصطفى : المدن في الاسلام حتى العصر العثماني ، ذات السلاسل الكويت ١٩٨٦ .
- اضافة الى العديد من البحوث الاكاديمية حول جوانب مهمة من حياة المدينة وتاريخها منها على سبيل المثال .
- ا . ك . ق . زهرشيك : الكوفة دائرة المعارف الاسلامية لندن ١٩٢٧ « باللغة الانكليزية » .
- ب . الدكتور صالح احمد الملي : منطقة الكوفة دراسة طبوغرافية مستندة الى المصادر الادبية ، مجلة سومر مجلد ٢١ العدد ٢ سنة ١٩٦٥ .
- ج . الدكتور طاهر مظفر العميد : تأسيس مدينة الكوفة مجلة المؤرخ العربي العدد ٦ سنة ١٩٧٨ .
- د . الدكتور محمد حسين الزبيدي : هجرة القبائل العربية الى الكوفة في القرن الاول الهجري . مجلة المؤرخ العربي العدد ٩ سنة ١٩٧٨ .

- (٢٧) البلاذري : نفسه ص ٢٧٥ ، الحميري نفسه ، ص ٥٠٢ .
- (٢٨) ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الاندلسي : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧١ / ١٩٥١ ج ٤ ص ١١٤١ .
- (٢٩) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٦٢ .
- (٤٠) ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٣٠١ .
- (٤١) ابن عبدالحق البغدادي حقي الدين عبدالمؤمن ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ م مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع تحقيق علي محمد البجاوي - بيروت - لبنان ١٣٧٤ / ١٩٥٥ ط ٣ ج ٢ ص ١١٨٧ ، انظر كذلك ، المقدسي : شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد المقدسي البشاري ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٦ م احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم مطبعة بريل ، لينن ١٩٠٩ ، ص ١١٦ .
- (٤٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩٠ - ٤٩٣ .
- (٤٣) (٤٤) (٤٥) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ١٦٤ - ١٧٣ .
- (٤٦) المرسلات (آية ٧٧) .
- (٤٧) ابن الفقيه : ص ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٤ ، ١٦٢ ، ١٦٥ .
- (٤٨) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٠٩ .
- (٤٩) ابن الفقيه : ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .
- (٥٠) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣١١ ، قارن الطبري محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩١٢ م ، تاريخ الرسل والملوك ، لينن ١٩٦٤ ، ج ٥ ص ٢٤٨٨ .
- (٥١) البلاذري ص ٢٧٥ .
- (٥٢) (٥٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ : ٤٩١ - ٤٩٢ .
- (٥٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣١٠ .
- (٥٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢١٥ ، الاصلطخري : المسالك والممالك ص ٥٨ .
- (٥٦) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٧٩ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ١٩٦ .
- (٥٧) ابن الفقيه : نفسه ص ١٨١ ، ياقوت الحموي نفسه ج ٤ ص ٣٢٨ ، قارن المقدسي : احسن التقاسيم ص ١١٦ .
- (٥٨) ابن الفقيه المصدر نفسه . وامر الخليفة مولاه ابا الخصيب فبنى له القصر المعروف بابي الخصيب على اساس قديم له ويقال بل بناء لنفسه .
- (٥٩) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧٤ ، قارن لويس ماسنيون خطط الكوفة ص ٨٨ ، يطلق عليها الجرفين ولم نجد ذكرا لهذا الموضع في معجم البلدان .
- (٦٠) المصدر نفسه : ج ٤ ص ٤٨١ ، لويس ماسنيون ص ٧٨ - ٤ ، ويصفها المقدسي قائلا (محلة من قبل البادية وهو بلد مختل قد خرب اطرافه) احسن التقاسيم ص ١١٧ .
- (٦١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩٢ ، تفاصيل عن المسجد انظر كامل سلمان الجبوري مساجد الكوفة ص ٢٦ - ٤٥ .
- (٦٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٧٣ ، كامل سلمان الجبوري

نفسه ص ٢٩ .

- (٦٣) يقصد بالمساجد الاربعة (المسجد الحرام ، ومسجد الرسول (ﷺ) في المدينة والمسجد الاقصى في فلسطين ومسجد الكوفة . وعن سمة مسجد الكوفة ذكر ان عمر بن الخطاب (رض) امر سعداً ان يختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلته فخط على اربعين الف انسان ، فلما قدم زياد زاد فيه عشرين الف انسان وجاء بالاجر ، وجاء باساطينه من الاهواز ، ياقوت الحموي نفسه ج ٤ ص ٤٩١ ، كامل سلمان الجبوري نفسه ص ٦٢ .
- (٦٤) ياقوت الحموي : نفسه ج ٤ ص ٤٩٢ ، قارن ابن بطوطة محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي ت ٧٧٩ / ١٣٧٧ رحلة ابن بطوطة المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٣٧٧ / ١٩٥٨ ج ١ ص ١٣٧ .
- (٦٥) ياقوت الحموي : نفسه ج ٤ ص ٤٩٣ .
- (٦٦) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٧٤ ، لويس ماسنيون نفسه ص ١١٤ هامش ٦ ، ص ١١٩ ، كامل سلمان الجبوري نفسه ص ١٣٧ - ١٣٨ .
- انظر مكانة هذا المسجد الدينية ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٢٩٠ .
- (٦٧) البلاذري : ص ٢٨٣ ، ابن الفقيه ص ١٨٣ وفي سماك هذا وفي جامعة يقول الاخطل :
- ان سماكاً بني مسجداً لاسرته
حتى الممسات وفعل الخير يبتدر
قد كنت احسبه قيناً واخيره
فاليوم طيسر على اثوابه الشر
- (٦٨) ابن الفقيه : نفسه ص ١٨٣ ، ويقع في حي اسد ، روى ان الامام علي كرم الله وجهه صلى فيه ثم توجه لزيارة يونس بن متى ، البراقبي تاريخ الكوفة ص ٩٩ ، الجبوري مساجد الكوفة ، ص ١٨٨ .
- (٦٩) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٨٣ ، ابن الفقيه نفسه ص ١٨٣ ، البراقبي نفسه ص ٩٩ ، الجبوري نفسه ص ١٨٦ .
- (٧٠) ابن الفقيه : نفسه ص ١٧٤ ، الجبوري نفسه ص ١٣٨ .
- (٧١) قارن لويس ماسنيون خطط الكوفة ص ١١١ - ١٩٣ . ويذكره الجبوري ضمن المساجد المباركة ص ١٨٦ .
- (٧٢) ابن الفقيه : المصدر نفسه ص ١٨٤ ، الشاشتي ابو الحسن علي بن محمد ت ٩٩٨ / ٢٨٨ الديارات تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٧٦ / ١٩٦٦ ط ٢ ص ٢٢٨ ، ياقوت الحموي نفسه ج ٤ ص ٣٦٤ .
- (٧٣) ياقوت الحموي نفسه ج ٤ ص ٣٦١ .
- (٧٤) ابن الفقيه نفسه ص ١٨٤ ، ياقوت الحموي نفسه ج ٤ ص ٣٥٤ .
- (٧٥) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣١١ .
- (٧٦) ابن الفقيه : نفسه ص ١٨٢ ، قارن ياقوت الحموي نفسه ج ٤ ص ٣٦٤ .
- (٧٦) ابن الفقيه : نفسه ص ١٨٢ ، قارن ياقوت الحموي نفسه ج ٤ ص ٣٦٤ .
- (٧٧) ياقوت الحموي المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٦٣ .
- (٧٨) اليعقوبي كتاب البلدان ص ٧١١ ، لويس ماسنيون خطط الكوفة

ص ٩٤ - ٩٥ .

(٧٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٨٠ ، ياقوت الحموي نفسه ج ٢ ص ٢١٩ .

(٨٠) ياقوت الحموي : المصدر نفسه ج ٢ ، ٢٩٩ .

(٨١) عن دورها في الحياة السياسية . الدكتور محمد حسين الزبيدي الحياة الاجتماعية والاقتصادية ص ٣٤ .

(٨٢) ياقوت الحموي : المصدر نفسه ج ٢ ص ٩٩ .

(٨٣) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣١١ ، لويس ماسنيون نفسه ص ٧٢ .

(٨٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٨٠ ، ياقوت الحموي نفسه ج ٢ ص ٩٩ ، لويس ماسنيون نفسه ص ٧٤ ، كاظم ابراهيم الجنابي تخطيط الكوفة ص ٩٤ .

(٨٥) ابن الفقيه : نفسه ص ١٨٤ ، البلاذري نفسه ص ٢٨٦ ، لويس ماسنيون نفسه ص ٧٥ ، كاظم الجنابي نفسه ص ٩٤ .

(٨٦) لويس ماسنيون : نفسه ص ٧٥ .

(٨٧) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣١١ ، ابن الفقيه نفسه ص ١٨٢ .

(٨٨) البلاذري : نفسه ص ٢٨٣ ، ابن الفقيه نفسه ص ١٨٣ .

(٨٩) اليعقوبي : نفسه ص ٣١٠ .

(٩٠) ياقوت الحموي نفسه ج ٢ ص ٤٩٥ ، قارن مارسنيون نفسه ص ٧٥ - ٧٦ .

(٩١) ياقوت الحموي : نفسه ج ٢ ص ٤٩٨ ، الشابشتي الديارات ص ٢٢٦ .

(٩٢) ياقوت الحموي : نفسه ج ٢ ص ١٥٤ ، الشابشتي الديارات ص ٢٢٣ ويطلق عليه ايضا دير سرجس ويكنى وهو منسوب الى راهبين بنجران ، وكان محفوظا بالكرام والاشجار والحانات وقد ضرب ولم يبق منه الا خرابات على ظهر الطريق . يسميها الناس قباب ابي نواس ، وفيه يقول الشاعر :-

عودا لمادتنا صبيحة امنا

فالعود احسن مفتدى ومراحا

هل تعمران بدير سرجين صاحبا

بالصحو او تريان ذاك جناحا

(٩٣) البكري : معجم ما استعجم ج ٤ ص ٦٠٤ - ٦٠٥ ، ياقوت الحموي نفسه ج ٢ ص ٥٤١ - ٥٤٢ .

(٩٤) ابن الفقيه : المصدر نفسه ص ١٨٢ ، ياقوت الحموي نفسه ج ٢ ص ٤٩٩ ، قارن البلاذري نفسه ص ٢٨٢ .

(٩٥) ابن الفقيه المصدر نفسه ص ١٨٣ ، البكري نفسه ، ج ٤ ص ٥٧٢ .

(٩٦) ابن الفقيه : المصدر نفسه ص ١٨٢ ، ياقوت الحموي نفسه ج ٢ ص ٥٢٦ .

(٩٧) ياقوت الحموي : المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٠٧ .

(٩٨) المصدر نفسه ج ٢ ص ٥١٨ .

(٩٩) المصدر نفسه : ويذكر البكري في معجمه دير اللج الذي يقول فيه الشاعر :-

سقى الله دير اللج غيثا فانه

على بعمه دير الى حبيب

قريب الى قلبي بميد محله

وكم من بعمد الدار وهو قريب

نفسه ج ٢ ص ٥٧٣ ، ٥٩٢ ، ٥٩٤ .

(١٠٠) ياقوت الحموي : نفسه ج ٢ ص ٢٩٤ ، لويس ماسنيون نفسه ص ٧٥ .

(١٠١) ابن الفقيه : نفسه ص ١٨٤ ، ياقوت الحموي ، نفسه ج ٢ ص ٣٩٤ .

(١٠٢) الاصطخري : المسالك والممالك ص ٥٩ ، كاظم الجنابي ، ص ٤٨ -

(١٠٣) ابن الفقيه : نفسه ص ١٦١ .

(١٠٤) المصدر نفسه .

(١٠٥) المصدر نفسه ص ٢٥٢ .

(١٠٦) المصدر نفسه ص ١٢٥ .

(١٠٧) البلاذري المصدر نفسه ص ٢٥٢ .

(١٠٨) المصدر نفسه ص ٢٧٤ ، ابن الفقيه نفسه ص ٣٠ ، ١٧٦ ،

١٧٧ ، عبد الجبار ناجي دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية

ص ١٦٠ ، محمد حسين الزبيدي الحياة الاجتماعية والاقتصادية

ص ٢٢ .

(١٠٩) ابن الفقيه : المصدر نفسه ص ١٨٣ .

(١١٠) ابو الفدا : تقويم البلدان ص ١٩٢ ، البراقبي المراجع نفسه ص ١٨٩ - ١٩٧ .

(١١١) ياقوت الحموي : نفسه ج ٥ ص ٣٢١ .

(١١٢) المصدر نفسه ص ٢٥٢ ، ٢٧٦ .

(١١٣) اليعقوبي : المصدر نفسه ص ٢٦٤ .

(١١٤) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢١٥ .

(١١٥) اليعقوبي : المصدر نفسه ص ٣٠٩ .

(١١٦) المصدر نفسه : ص ٣١١ ، كاظم الجنابي ، نفسه ص ٤٨ .

(١١٧) وهو اقصر من الطريق الاول بنحو ثلاث مراحل ، ياقوت الحموي نفسه ج ٤ ص ٤٩٣ .

(١١٨) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٩٩ وهذا الطريق يسلكه التجار الروس القادمين من الاندلس او من الفرنجة . نفسه ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(١١٩) اليعقوبي : المصدر نفسه ص ٣٠٨ ابن خرداذبة نفسه ص ١٢٥ .

(١٢٠) اليعقوبي : المصدر نفسه ص ٣٠٩ .

(١٢١) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص ٥٥ : كاظم الجنابي المرجع نفسه ص ٤٨ .

(١٢٢) البكري : معجم ما استعجم ج ٤ ص ٩٢٦ : ابن رسته ابو علي احمد ابن عمرت ٢٩٠ هـ الاعلاق النفيسة ليدن ، ١٨٩١ ص ١٨٠ .

(١٢٣) كاظم الجنابي : المرجع نفسه ص ٤٨ نقلا عن ابي يوسف كتاب الخراج ص ٥٣ .

(١٢٤) ابن الفقيه : المصدر نفسه ص ١٦٧ (أ) من اسخياء الكوفة هلال ابن عتاب واسماء بن خارجة ، وعكرمة بن ريمي الفياض .

(ب) من فتيانها خالد بن عتاب ، ابو سفيان بن المفيرة بن شفيه وعمرو بن محمد بن حمزة .

(١٢٥) نزل من الخلفاء والائمة على والحسن رضا الله عنهما ومن الخلفاء والملوك معاوية وعبد الملك وابو العباس وابو جعفر المنصور وهارون الرشيد ابن الفقيه المصدر نفسه ص ١٦٥ .

(١٢٦) ابن الفقيه : المصدر نفسه والصفحة .

الحاضر ، اذ لم يبق من معالمه الا المنطقة المحصورة بين ناحية الحيدرية الى الكوفة ومن ثم الى الحيرة ، وقد زحفت الاكتاف الرملية المحيطة به نتيجة العواصف الترابية القادمة من البادية وبخاصة المناطق المواجهة للصحراء بصورة مباشرة ، ولعل الجغرافيين العرب كانوا قد حددوه بتعبير دقيق بالقول : انه في برية الكوفة (١٢) فقد ضيقت الرمال الزاحفة اليه من هذه البرية الشاسعة الى تحديد عمقه في بعض المناطق في الوقت الحاضر الى خمسة امتار ، وبعضها اقل من ذلك الى ان يصل في بعض المناطق الى مستوى الارض المجاورة (١٣) ويكون الخندق اكثر وضوحاً في المنطقة الواقعة بين النجف والكوفة ويطلق عليه الناس لفظ « كرى سعدة » ، ولعل هذا اللفظ نسبة الى جبل سعدة الذي كان يمر به خندق الكوفة ، او انه تصحيف من اسم سعد ، ويروي الاستاذ الامريكي جون بيترز حكاية عن اصل هذه التسمية وهي ان تاجراً غنياً من تجار مدينة البصرة احب امرأة جميلة اسمها « سعدة » من اهالي المنطقة الواقعة بين هيت وعانة ، وكانت هذه المرأة تهوي ضفاف الانهار ، فاشتربت عليه حينما خطبها من اهله ان تنقل الى البصرة في طريق النهر الذي يمر بالاماكن التي يجلبها الظل ، فما كان الا ان يحفر لها هذا النهر ويغرس الاشجار على ضفافه (١٤) ومما يضعف من صحة هذه الحكاية ، ان خندق الكوفة لم يستخدم للارواء في تاريخه الا لتصريف مياه تهر الفرات اليه في اثناء الفيضان في بعض الاحيان ولم نجد اثار الاشجار على جانبيه ، وربما كانت حكاية « سعدة » هذه قد انتشرت بين الناس فاطلقوا على الخندق لفظ « كرى سعدة » . ويبدو ان الاستاذ جون بيترز كان معتقداً ان الخندق هذا كان نهراً يعود الى ازمة قديمة فيقول : انه الجدول الكبير الذي حفره نبوخذ نصر ، فحده من موقع يقرب من هيت الى الخليج العربي ليحيي به مساحات شاسعة من الارض الموات (١٥) ولكن النصوص التاريخية لا تؤكد هذا الرأي ، كما سوف نوضحه في البعد التاريخي .

البعد التاريخي :

اطلقت المصادر التاريخية على خندق الكوفة لفظ « خندق سابور » نسبة الى الملك الساساني سابور ذي الاكتاف (٣٠٩ - ٣٧٩ م) الذي امر بحفره ، ويعود الى سبب سياسي ليكون حاجزاً بينه وبين العرب في الجزيرة ، ولذا يقول ياقوت الحموي : (انما حفره خوفاً من العرب) (١٦) على حد تعبير ياقوت ، لانه كان يعتقد ان العرب سوف يقتحمون عليه ملكه ، ولذا صب غضبه عليهم وقتل الكثير منهم ، ونزع اكتاف رؤسائهم ، وقد لقب « بذئ الاكتاف » ونفي جماعة الى منطقة بقة والعقير ، وبني مدينة هفة واسكنها قبيلة اياد (١٧) ويقول قدامة بن جعفر : ان سابوراً حفر الخندق بين العرب والفرس ، واقطع الاراضي من غير ان يلزم الناس خراجاً لها (١٨) ومما يؤيد حذر الفرس من العرب ، هو ان كسرى لما بلغه ظهور الرسول الكريم عليه افضل الصلاة

والسلام في الجزيرة العربية ، وتلقى الناس رسالته بالقبول ، وضع على الخندق المراصد والصوامع المعززة بالحرس (١٩) كما بنيت على الخندق المناظر والجواسق والمسالح (٢٠) ومما يؤكد ان الخندق هذا قد حفر لاغراض عسكرية بحتة هو ان الملك انوشروان (٥٣١ - ٥٧٩ م) لما تولى زمام الحكم امر بتحديد سور مدينة النسر التي بناها سابور ذو الاكتاف ، وجعلها مسلحة تحفظ مايقرب من البادية (٢١) وقد لعب الجانب العسكري لخندق الكوفة دوراً في عمليات الفتوح العربية الاسلامية للعراق في المدة بين ١٢ - ١٥ هـ ، ففي موقعة القادسية صف القائد سعد بن ابي وقاص المسلمين على حائط القديس ، وكان الخندق من ورائهم ، وقد وقف المسلمون والفرس بين الخندق والعتيق (٢٢) وورد ذكر الخندق في رسالة بعثها سعد الى الخليفة عمر (رض) جاء فيها : « ان القادسية بين الخندق والعتيق ، وان ما عن يسار القادسية بحر اخضر في جوف لاح الى الحيرة بين طريقين ، فاما احدهما فعلى الظهر ، واما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الحوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة . وما عن يمين القادسية الى الولجة فيض من فيوض مياههم » (٢٣) ويوضح هذا النص المساحة التي وقعت فيها موقعة القادسية ، فقد ورد فيه اسم « الخندق » و « الخورنق » و « الظهر » و « البحر » والمقصود به بحر النجف ، وتشير بعض النصوص انه دفن في الخندق ستة الاف بعد موقعة القادسية (٢٤) وهذا له دلالة على ان الخندق كان حفيراً لا ماء فيه ، وقد قام سعد بن ابي وقاص بكريه بعد تخطيط مدينة الكوفة عام ١٧ هـ وذلك للحفاظ على أمنها ويكون كالسور المحيط بها من جهة البادية . وبقي مدينة الكوفة في العصور الاسلامية من الاخطار ، يقول ابو عبيدة : لما كانت فتنة ابن الاشعث حفر عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة الخندق ، فقال له خميد الارقط (٢٥)

يا أعور العين قديت العورا

لا تحسبن الخندق المحفورا

يرد عنك القدر المقدورا

وفي عهد الخليفة العباسي الثاني ابي جعفر المنصور جدد حفر خندق الكوفة عام ١٤٥ هـ ، وقيل عام ١٥٥ هـ (٢٦) ويقول البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) ان المنصور اخذ اهل الكوفة بحفر الخندق ، والزم كل فرد للنفقة عليه اربعين درهماً ، وذلك عقوبة لهم نتيجة ميلهم للطالبين وارجافهم بالسلطة العباسية (٢٧) ويشير الطبري (ت ٣١٠ هـ) : انه في عام ١٥٥ هـ حفر الخندق والي الكوفة عمرو بن زهير الضبي ، لما عزم المنصور على بناء سور الكوفة ، فامر بقسمة خمسة دراهم على جميع الناس ، وذلك لضبط اعدادهم ، ولما نجح في مهمته ، امر بجبايتهم اربعين درهماً ، فاخذ المبالغ هذه وانفقها في بناء السور ، وقد قال احدهم (٢٨)

يا لقومي ما ارانيسا

في أمير المؤمنين

قسم الخمسة فينـا

وجبـا نـا الاربعينـا

ويقول المحدث يحيى بن معين (ت ٢٢٣ هـ) : ان عبيد الله بن اياد بن لقيط ، كان من ثقات الناس ، وعريف قومه ، قد صيروا اليه حفر الخندق بالكوفة (٢٩) ويشكك الدكتور كاظم الجنابي في ان خندق الكوفة قد حفر في عهد سابور ذي الاكتاف او قبله ، وانما الذي حفره هو ابو جعفر المنصور ، فان التنقيبات قد كشفت عن منخفض يمتد بموازاة كرى سعدة ، ويقترئ من ابنية الكوفة الحديثة (٣٠) ولكن الذي نذهب اليه ان ابا جعفر المنصور قد قام باجراءات جديدة في الخندق ، فاعاد حفره او كربه ، ومن ثم اجري الماء فيه ، وقد ذهب العميد طه الهاشمي الى ان جدولاً من الفرات قد شق الى الحيرة عبر الخندق (٣١) ويقول الحاج عبد المحسن شلاش : ان المنطقة الواقعة في القسم الغربي من الحيرة ، وبحيرة النجف كانت تستقي من كرى سعد الذي يتصل بنهر الملقم القديم الذي يقوم مقامه جدول الحسينية في كربلاء و جدول بني حسن (٣٢) ولم يجد الباحثون تاريخ استخدام خندق الكوفة او كرى سعدة للارواء ، سوى انه استخدم في بعض العصور كمحاولة لايصال الماء الى مدينة النجف الاشرف ، ففي العصر المغولي ، حاول صاحب علاء الدين جويني اىصال الماء للنجف عن طريق الخندق (٣٣) وحاول امين الدولة اىصال الماء من منطقة « ابو فشيقة » الى الخندق ، وقد اقام قنطرة من الاجر عليه (٣٤) وما زالت هذه القنطرة قائمة حتى الوقت الحاضر ، وفي عام ١١٣٢ هـ / ١٧١٩ م حاول الشاه عباس الصفوي حفر جدول في خندق الكوفة ، وقد جدد هذا المشروع الملك فيصل الاول بعد اعتلائه عرش العراق عام ١٩٢١ م في محاولة لايصال الماء الى مدينة النجف عن طريق الخندق ، وقد رصدت المبالغ لهذا المشروع ، ولكنه لم ينفذ على الرغم من اهميته الاقتصادية الكبيرة (٣٥) وهذه المحاولات تؤكد على عدم جريان الماء في خندق الكوفة بصورة دائمية ، اذ يغلب على الظن انه استخدم لدرء اخطار الفيضان ، وتخفيف المياه في نهر الفرات حماية للمدن الواقعة عليه من الفرق (٣٦) .

ويستفاد من الاحداث التاريخية التي اشارت الى خندق الكوفة الى وجود مواقع مجاورة اليه سواء في المنطقة المعروفة بالظهر او المنطقة الواقعة في الكوفة ، ففي عام ٣١٥ هـ كان

القرامطة بقيادة ابي طاهر الهجري قد نزلوا في النجف ، وأعدوا العدة للهجوم على الكوفة ، ولما علم يوسف بن ابي الساج بخبرهم تقدم لقتالهم ، وقد نزل في دير هند الواقع بحضرة خندق الكوفة (٣٧) ويحدد المؤرخون والبلدانيون موقع دير هند هذا بأنه يقارب خطة بني عبد الله بن دارم بالكوفة ممايلي الخندق (٣٨) . ويبدو ان المقصود بدير هند هذا ، هو « دير هند الصفري » وهو نسبة لهند بنت النعمان بن المنذر التي بنته بعد ان ترهبت ، وسكنته دهرأ طويلاً ثم عميت (٣٩) وعند الفتح العربي الاسلامي للعراق ، دخل خالد بن الوليد دير هند والتقى بصاحبه وقد عرض عليها الزواج بعد اسلامها فرفضت (٤٠) ويقول قدامة بن جعفر : انه في عام ١٤ هـ ، اجتمع المسلمون بدير هند وقد بعث القرس اليهم مهران بن مهر بنداد الهمداني في اثني عشر الفا (٤١) وفي احداث عام ١٧ هـ يقول ابو محمد موسى بن اسحاق بن طلحة : كنت اجلس في المسجد الاعظم قبل ان يبنيه زياد ، وليست له مجنبات ولا مواخير فارى منه دير هند وباب الجسر (٤٢) فان المسافة بين مسجد الكوفة والخندق ليست بعيدة ، فلا بد ان يكون للدير سور وبناء مرتفع يرى من مسافة وكان المختار بن ابي عبيد الثقفي قد نزل هذا الدير عام ٦٦ هـ ، وخرج ابو عثمان الفهري وهو ينادي : يا لثارات الحسين ، الا ان امير ال محمد قد خرج ، فنزل دير هند ، ويعتني اليكم داعياً فاخرجوا رحمكم الله (٤٣) وقد عسكر المختار في ظهر دير هند ممايلي بستان زائد في السبخة (٤٤) وفي احداث عام ١٠٥ هـ دخل الشعبي على الحجاج بن يوسف الثقفي وقال : كنا مع المغيرة بن شعبة في ظهر الكوفة ، فقيل له : هذا دير هند ، فقال : لو دخلناه ، فدخلنا فاذا هند واختها جالستان وعليهما ثياب صوف سود (٤٥) وقد استخدم الضحاک بن قيس الشيباني الخارجي هذا الدير عام ١٢٧ هـ مقراً لانصاره ، ومنه تقدم نحو الكوفة (٤٦) وبقي دير هند الصفري يتابع الاحداث التاريخية طيلة العصر الاموي . والعصر العباسي ، اما في العصر المغولي فيذكر السيد ابن طاووس (ت ٦٩٣ هـ) في احداث القرن السابع الهجري : ان ايلغازي امير الحلة ارسل سرية لمطاردة العرب ، وقد وصلت هذه السرية الى خندق الكوفة (٤٧) وبعد هذا التاريخ يختفي ذكر الخندق بعد ان اخذت الكوفة تفقد اهميتها الادارية والسياسية ، وتأخذ مدينة النجف بالبروز على الصعيدين الاجتماعي والديني .

مصادر البحث وهوامشه

- ١ - احمد محمد شاکر ، ط ٢ ، مطبعة دار الكتب ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ١٧٩ - ١٨٠ : المنذري : زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦ هـ) : التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق د . بشار عواد معروف ، النجف الاشرف ، مطبعة الاداب ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ٥ / ٣٥٥ : فنسك : دائرة المعارف الاسلامية (مادة) الخندق ، ٤٦٣ / ٨ .
- ٢ (٤) الجواليقي : المغرب ص ١٧٩ - ١٨٠ .
- ٣ (٥) الحكيم : د . حسن عيسى : التوبة موقعها وتاريخها ، بحث في مجلة

- (١) أدبي سير : الالفاظ الفارسية المعربة ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية للباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م ، ص ٥٧ .
- (٢) البستاني : بطرس ، دائرة المعارف ، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان ٤٧٩ / ٧ .
- (٣) الجواليقي : ابو منصور موهوب بن ابي طاهر احمد البغدادي (ت ٥٤٠ هـ) ، المغرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، تحقيق :

كلية الفقه، العدد الثاني لسنة ١٩٨٢ م

(٦) البراقبي: حسين بن السيد احمد النجفي (ت ١٣٢٢ هـ): تاريخ الكوفة، ط ٣، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م، ص ١٤٧: الجنابي: د. كاظم: تخطيط الكوفة، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م، ص ٤١

(٧) ياقوت: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م، ٢ / ٣٩٢.

(٨) احمد عادل كمال: فتوح الشرق بعد القانسية، بيروت، دار الفكر، ص ٢١٩.

(٩) جامعة الدول العربية: المعالم الاثرية في البلاد العربية، القاهرة، مطابع مذكور واولاده، ١٩٧١، ١ / ١٧٨.

(١٠) الهاشمي: طه، (خالد بن الوليد في العراق)، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الاول، المجلد الثالث، ص ٨٢.

(١١) صالح مهدي عماش: من ذي قار الى القانسية، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م، ص ١٦٨.

(١٢) ياقوت: معجم البلدان ٢ / ٣٩٢: البغدادي: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ): مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، مطبعة دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م، ١ / ٤٨٤: المنذري: التكملة ٥ / ٣٥٥.

(١٣) الجبوري، كامل سليمان: تاريخ الكوفة الحديث، ط ١، النجف الاشرف، مطبعة الغري، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م، ١ / ١١٨.

(١٤) الخياط، جعفر: النجف في المراجع، بحث في موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف ١٠ / ٢٤٤.

(١٥) م. ن.

(١٦) ياقوت: معجم البلدان ٢ / ٣٩٢.

(١٧) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ): التاريخ (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٢، مصر، مطابع دار المعارف، ١٩٦٨، ٢ / ٦٠.

(١٨) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق: د. محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨١ م، ص ٣٦٩.

(١٩) ابو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي (ت ٢١٠ هـ): مجاز القرآن، ط ٢، مصر مطبعة السعادة، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م، ١ / ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٢٠) البلاذري، ابو الحسن احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ): مفتوح البلدان مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ص ٢٩٦: مراصد الاطلاع ١ / ٤٨٤.

(٢١) سعاد ماهر: مشهد الامام علي في النجف ومآبه من الهدايا والتحف، مصر، دار المعارف، ١٩٦٩ م، ص ٩٠.

(٢٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ): التاريخ (العبر وديوان المبتدأ والخبر) بيروت، طبع اوفست، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م، ٢ / ٩٦.

(٢٣) الطبري ٣ / ٤٩٢.

(٢٤) ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ): الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

(٢٥) ابو عبيدة: مجاز القرآن ١ / ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٢٦) تاريخ الطبري ٨ / ٤٧: الازدي، ابو زكريا يزيد بن محمد (ت:

٣٣٤ هـ): تاريخ الموصل، تحقيق: د. علي حبيبة، القاهرة، دار التحرير، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م: ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والامم (مخطوط) في مكتبة المجمع العلمي العراقي / بغداد، ٨ / ورقة ٨٢ أ: ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤ هـ): البداية والنهاية في التاريخ، ط ١، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٣٢ م، ٩ / ١١٣: الاريلي، عبد الرحمن سفيط قنيق (ت ٧١٧ هـ): خلاصة الذهب المسبوك، مختصر سير الملوك، ط ٢، ١٩٦٤ م، ص ٨٨.

(٢٧) البلاذري ٢٨٧.

(٢٨) الطبري ٨ / ٤٦ - ٤٧، الازدي ٢٢٣.

(٢٩) يحيى بن معين، ابو زكريا البغدادي (ت ٢٢٣ هـ): التاريخ، تحقيق: د. احمد محمد نور سيف الدين، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ٢ / ٢٨١.

(٣٠) الجنابي: تخطيط الكوفة ص ١٧٠.

(٣١) الهاشمي: خالد بن الوليد، مجلة المجمع العلمي العراقي، ص ٧٩.

(٣٢) عبد المحسن شلاش: (فيصل والعتبات المقدسة) مجلة الاعتدال، العدد التاسع، السنة الاولى، ص ٤٦٨.

(٣٣) المزوي: تاريخ العراق بين احتلالين الجزء ٢١٠.

(٣٤) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١ / ١٩٧.

(٣٥) عبد المحسن شلاش: فيصل والعتبات المقدسة، مجلة الاعتدال ص ٤٦٨.

(٣٦) الجنابي: تخطيط الكوفة ٤١.

(٣٧) ابن الجوزي ٦ / ٢٠٨.

(٣٨) الشافعي، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ): الديارات تحقيق: كوركيس عواد ط ٢، بغداد، مطبعة المعارف، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م، ص ٢٤٤: ياقوت: معجم البلدان ٢ / ٥٤٢: البغدادي: مراصد الاطلاع ٢ / ٥٧٩: العمري: ابن فضل، احمد بن يحيى: مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: احمد زكي، مصر، دار الكتب، ١٩٢٤، ١ / ٢٤٤: ياقوت: معجم البلدان ٢ / ٥٤٢: البغدادي: مراصد الاطلاع ٢ / ٥٧٩: العمري: مسالك الابصار ١ / ٢٤٤.

(٣٩) الشافعي، الديارات ص ٢٤٤: البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت: ١٠٩٣ هـ): خزنة الادب ولب لباب لسان العرب، ١٢٩٩ هـ، ٢ / ١٨٢.

(٤٠) ياقوت: معجم البلدان ٢ / ٢٤١ - ٥٤٢: البكري، ابو عبيد عبد الله ابن عبد العزيز الاندلسي (ت ٤٨٧ هـ): معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط ١، القاهرة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥ - ١٩٥١ م، ٢ / ٦٠٤.

(٤١) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ص ٣٥٨.

(٤٢) الطبري: التاريخ ٤ / ٤٧.

(٤٣) ابن الجوزي: ٦ / ورقة ٢٣ ب.

(٤٤) الطبري ٦ / ٢٢: ابن الاثير: الكامل ٤ / ٢١٩.

(٤٥) الياقسي: ابو محمد عبد الله بن اسمعيل المكي (ت ٧٧٨ هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يمتدح من حوادث الزمان، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٨ هـ، ١ / ٢١٨.

(٤٦) الطبري ٧ / ٣٢٠: ابن الاثير: الكامل ٥ / ٣٢٥.

(٤٧) ابن طاووس، غياث الدين عبد الكريم (ت ٦٩٣ هـ): فرحة الغري في تعيين قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب في النجف، ط ٢، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٨ هـ، ص ١٢٥.

الصحابة الكرام في الكوفة

■ أ. د. حسين أمين
جامعة بغداد

الكوفة من اهم المراكز الاسلامية التي أنشأها العرب الفاتحون ، اسسها القائد العربي سعد بن ابي وقاص سنة ١٧ هـ / ٦٣٨ م بأمر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بعد انتصار المسلمين على الفرس في معركة القادسية . وما من شك فان الكوفة ثغر من ثغور البادية واصبحت مركزاً من مراكز العرب المهمة ، وهي منذ انشائها موطن المجاهدين العرب ومركز القوة الاسلامية ، وبمرور الزمن ازدهرت هذه المدينة واصبحت من امهات المدن وتقدمت عمرانياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً .

وأول مؤسساتها التي شيدت هو المسجد العتيق ودار الامارة ، وثوافذ على المدينة عدد كبير من القبائل العربية اضافة الى العرب المسلمين الفاتحين ، ويبدو ان اغلب سكان الكوفة في بداية امرها من عرب الجنوب من اليمن ، ومعظمهم من قضاة وبجيلة وختعم وكنده والازد ومذحج وحمير وهمدان والنخع ، كما سكنت الكوفة قبائل عدنانية من تميم ومن بكر (بنو اسد) وغطفان ومحارب ونمير وغيرها من القبائل الاخرين

وتشير الاخبار التاريخية الموثوقة ان سبعة صحابياً ممن شهدوا بدرأ وتلثمائه من اصحاب الشجرة نزلوا الكوفة واتخذوها سكناً^(١)

وما من شك فان ارض الكوفة ومناخها كانت ملائمة لحياة العرب القادمين من الحجاز ونجد واليمن ، وهو ما دعا العديد من الصحابة الكرام الذين شاركوا في الفتح وبناء الكوفة الى اتخاذها وطناً والمعيش فيها . وفي مقدمة الصحابة الذين نزلوا الكوفة

الصحابيان الجليلان عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وقد اوفدهما الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى الكوفة ، كان عمار ابن ياسر والياً وعبد الله ابن مسعود مرشداً ومعلماً ، وكتب الخليفة الى اهل الكوفة : هما من النجباء من اهل بدر فخذوا عنهما واقتدوا بهما وقد اترتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي^(٢) . ونزل الامام علي بن ابي طالب (ع) مدينة الكوفة واتخذها مقر خلافته اثر وقعة الجمل وفي محراب مسجد طعنه الخارجي عبد الرحمن بن ملجم طعنة أدت الى استشهاده (ع) .

اكتسبت الكوفة مكانة مرموقة وأصبحت من اهم امصار العالم الاسلامي وصار لها دور كبير في الامور السياسية والفكرية في ايام الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الامويين والعباسيين . وحظيت هذه المدينة العريقة بعدد غير قليل من الصحابة الكرام فيها اولئك الذين كان لهم النصيب الاوفر في بناء صرح الامة العربية الاسلامية ، صحابة رسول الله من المجاهدين البررة

الاسلامي وانه حقاً المثل الاعلى للصحابي الجليل الذي نذر نفسه للمبادئ الشريفة فاستحق كل هذا الثناء العاطر، وكل هذا الجلال والاحترام.

ومن مشاهير من سكن الكوفة من الصحابة الاجلاء ومات بها الاشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي، امير كندة في الجاهلية والاسلام، كانت اقامته في حضرموت، ووفد على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الاسلام، فاسلم، وشهد اليرموك فاصيبت عينه واسهم مع سعد بن ابي وقاص في فتوح العراق، وكان بعد ذلك من انصار الامام علي بن ابي طالب (ع) وحضر معه في صفين على راية كندة وحضر مع الامام علي (ع) وقعة النهروان، واستقر بعد ذلك في مدينة الكوفة وتوفي فيها سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ م، والاشعث ابن قيس اخباره كثيرة في الفتوح الاسلامية، وكان من ذوي الرأي والاقدام، موصوفاً بالهيبة، وهو اول راكب في الاسلام مشى معه الرجال يحملون الاعمدة بين يديه ومن خلفه وسمي بالاشعث لتلبد شعره، وكان الاشعث قد ابتنى بالكوفة داراً، وذكر الثعالبي في لطائف المعارف ان الاشعث اول من دفن في داره، وصلى عليه الامام الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) (١).

ومن كبار الصحابة الذين شرفت الكوفة بهم. الصحابي الجليل خباب بن الارث بن جذلة التميمي، وكان قد اسلم على يد النبي (ص) وهو في حدود العشرين من عمره، ويذكر المؤرخون انه سادس من اسلم من الشباب، واول من اظهر اسلامه منهم، وهذا يدل على كمال شجاعته وجراته لانه لم يكن له عشيرة تحميه بمكة. وكانت شجاعته سبباً في تعذيبه واضطهاده من قبل المشركين، فقد بلغ من تعذيبهم له، انهم كانوا يلصقون ظهره بالرضف، والرضف هي الحجارة المحماة، ويلبسونه درعاً من الحديد ثم يسهرونه في الشمس، وكان المشركون يأخذون الحديد المحماة ويضعونها على رأسه ليكفر بدينه فلا يطاوعهم، ثابتاً على عقيدته، متمسكاً بمبادئ الاسلام السامية. وظل هكذا يلقي العذاب الشديد حتى هاجر الى المدينة.

وشهد خباب بن الارث جميع غزوات الرسول (ص) وأبلى في تلك المعارك بكل شجاعة واقدام، وسكن خباب مدينة الكوفة واتخذها سكناً له وكان من انصار الامام علي في الخلاف الذي نشب بين الامام علي ومعاوية بن ابي سفيان، وتوفي خباب بن الارث في الكوفة واوصى قبل موته ان يدفن بظاهر الكوفة، وكان اهل الكوفة يدفنون موتاهم في داخل بيوتهم او على ابوابها، وبذلك يكون خباب بن الارث قد سن سنة حسنة في دفن الموتى، توفي خباب سنة ٣٧ هـ وله من العمر ثلاث وستون سنة. ويذكر المؤرخون ان الامام علي (ع) عند رجوعه من صفين مر على قبر خباب بن الارث فقال: رحم الله خباباً، قد اسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتنى في جسمه احوالاً، ولن يضيع الله اجر من احسن عملاً (٢). ويذكر بعض المؤرخين ان قبر خباب بن

الذين فتحوا الدنيا للاسلام وكانوا الامثلة الخالدة لكل حر نبيل وقوة لكل مجاهد اصيل، وهم الذين اتخذوا من مدينة الكوفة منزلاً وموطناً وبذلك كان لهم الفضل الكبير في غرس المبادئ الاسلامية السامية في نفوس سكان هذه المدينة ومنحها المكانة المرموقة بين امصار العالم الاسلامي.

ان الصحابة الكرام الذين خرجوا لفتوح العراق منذ سنة ١٢ هـ / ٦٣٣ م صحبة القائد العربي خالد بن الوليد، والذين جازوا الفرس مع القائد ابي عبيد بن مسعود الثقفي في معركة الجسر، ومع القائد المثنى في معركة البويب، ومع القائد سعد بن ابي وقاص في القادسية، والمدائن، وجلولاء، وخانقين وغيرها من المعارك التي خاضها المسلمون من أجل تحرير العراق، قد سقط الكثير من هؤلاء الصحابة شهداء على ارض العراق من كاظمه الى الابلّة وحتى خانقين، ممن لا نعرف اسماءهم، اولئك الذين سجلوا اروع البطولات في صفحات الجهاد الاسلامي، الا اننا نحفظ باسماء عدد من اولئك المجاهدين الابرار، اذ حفظ لنا التاريخ امكنة قبورهم شاهداً، واصبحت تلك الشواهد امكنة مباركة يقصدها المسلمون تبركاً وتكريماً.

وجدير بالذكر ان الكثير من المعارك الاسلامية ضد الفرس المحتلين دارت قرب مكان الكوفة الحالية، فمعارك الجسر، والبويب، والقادسية، دارت رحاها عند مكان الكوفة، او قريباً منها، وسقط في تلك المعارك المئات من المجاهدين العرب المسلمين ولم يحفظ التاريخ لنا الا اسماء الاعلام من اولئك المجاهدين، وبذلك تكون ارض الكوفة قد روتها دماء اولئك الصحابة الكرام الذين جاهدوا الجهاد العظيم لاعلاء كلمة الله، وتحرير العراق من ريقه السيطرة الفارسية.

وما من شك فان ابرز الصحابة الذين نزلوا الكوفة واتخذوها مقراً وسكناً هو الامام علي بن ابي طالب (ع) اول العرب اسلاماً وأشدهم على المشركين جهاداً، ناصر الرسول ودافع عن المبادئ الاسلامية السامية بقوة وعزيمة ثابتة، وأسهم في بدر، واحد، والخندق، وخيبر وغيرها من معارك الاسلام وله في جميعها القدر الممل، وبلغ من العلم مبلغاً لا يكاد يدانيه فيه احد من المسلمين ولا سيما علم القضاء، وروى عن الرسول محمد (ص) انه قال: « اقضاكم علي ». وكان اقدر الصحابة على الخطابة، وقد جمعت خطبه في كتاب نهج البلاغة، وهو يدل على ما وصل اليه من علم غزير، وحكمة عالية، وبلاغة رائعة. ولم يقتصر امره على علوم الدين، بل تجاوزها الى علوم العربية، فوضع اساسها، ومهد طريقها لمن اتى بعده.

تولى الخلافة فظهر تواضعه لرغبته، وبره باهله ورعيته، وأمتاز حكمه بالعدل والانصاف، وبالنزاهة، والاخلاص، واستشهد في محراب مسجد الكوفة، ومرقده اليوم مقصد كل المسلمين لما للامام علي (ع) من المكانة المرموقة في المجتمع

ومن الصحابة الذين اتخذوا الكوفة موطناً الصحابي حذيفة ابن اسيد الغفاري ، شارك هذا الصحابي الجليل مع رسول الله (ص) يوم الحديبية في السنة السادسة للهجرة ومن الذين بايعوا الرسول (ص) تحت الشجرة ، ولمكانته السامية ولاء الخليفة عمر بن الخطاب (رض) خراج المدائن^(٨) .

سكن حذيفة بن اسيد الكوفة وتوفي بها سنة ٤٢ هـ وصلى عليه الصحابي الجليل زيد بن ارقم .

وممن شرفت الكوفة بهم الصحابي الجليل زيد بن ارقم الانصاري الخزرجي ، ذكر المؤرخون ان زيد بن ارقم كان يتيماً تربى في حجر الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة وصاحبه الى موته لقتال الروم هناك ، وعاد بعد انتهاء المعركة الى المدينة المنورة ، وخاض زيد بن ارقم مع الرسول صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة .

ويعد زيد بن ارقم من رواة الحديث الموثوقين ، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله صدقك يا زيد ، وكان زيد قد نقل الى الرسول (ص) ، ان ابن ام اوفى ، قال : في غزوة تبوك ، لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاثل ، ونزلت الآية الكريمة مصدقة قول زيد بن ارقم في قوله تعالى : (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاثل والله العزة لورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)^(٩) .

اتخذ زيد بن ارقم مدينة الكوفة سكناً وابتنى بها داراً في احد احيائها المعروف بحي كندة ، وتوفي سنة ثمان وستين للهجرة بعد حياة حافلة بالجهاد والعمل من اجل اعلاء كلمة الله سبحانه^(١٠) .

ان مدينة الكوفة العربية الاسلامية حفلت بنخبة كريمة من الصحابة الاجلاء الذين اضافوا الى ما امتازت به من اصالة عربية وجهاد من اجل عز الاسلام ، ورفع علم العروبة عالياً لان الصحابة الكرام كانوا مشاعل مضيئة تنير الدرب الفسيح الى السيادة والحرية والكرامة وكانوا الدافع الكبير لانتشار العلم والآداب في هذه المدينة العريقة ، فطوى لكوفة الجند هذه الكرامة الخالدة والشرف العظيم .

الارث في مكان بالكوفة يعرف بالثوية ، التي تضم اليوم قبر احد انصار الامام علي (ع) ، كميل بن زياد النخعي^(١١) .

ومن الصحابة الكبار الذي سكنوا الكوفة ، ابو قتادة الحارث ابن ربعي ، قال الذهبي في تاريخ الاسلام انه كان من فضلاء الصحابة وشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم معركة بدر وأحد وما بعدها من المشاهد ، وروى عن الرسول (ص) قوله : خير فرساننا ابو قتادة وخير رجالنا سلمة بن الاكوع ، له احاديث رواها عن الرسول (ص) وعن بعض الصحابة ، كما روى عنه بعض الصحابة امثال انس بن مالك ومن التابعين سعيد بن المسيب وولده عبد الله بن ابي قتادة .

توفي ابو قتادة بالكوفة سنة اربعين للهجرة وصلى عليه الامام علي بن ابي طالب (ع)^(١٢) .

واستوطن الكوفة الصحابي سهل بن حنيف ، الذي اشتهر بالحلم والعقل والفضل ، وهو من المسلمين الذين شاركوا في موقعة بدر وأحد ، ويشهد له التاريخ انه كان من الذين تدوا يوم احد دفاعاً عن الاسلام وذوداً عن رسول الله (ص) ، ولمكانته العالية عند الرسول (ص) فقد اعطاه من اموال بني النضير ، وكذلك الصحابي الجليل ابن دجانه سماك بن خرشة لانهما كانا من الفقراء ولم يعط (ص) غيرهما من المسلمين .

وفي معركة صفين حصل الامام علي (ع) سهل بن حنيف على الفرسان من اهل البصرة ، وكان سهل بن حنيف احد الشهود الذين شهدوا بكتاب التحكيم بعد رفع المصاحف يوم صفين . والصحابي سهل بن حنيف هو الذي قام خطيباً امام الامام علي (ع) قبل خروجه الى صفين فقال : بعد ان حمد الله واثني عليه ، « يا امير المؤمنين ، نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت ، وراينا رأيك ونحن كف بيمك » .

توفي سهل بن حنيف بالكوفة سنة ثمان وثلاثين للهجرة ، وصلى عليه الامام علي (ع) وكبر عليه خمس تكبيرات ثم سار مسافة وصلى عليه بخمس تكبيرات حتى بلغ خمساً وعشرين تكبيرة ، فقال له الناس ما هذا ؟ فقال لاهل بدر فضل علي غيرهم ، فارتدت ان اعلمكم فضله^(١٣) .

■ الهوامش والمصادر ■

- ٥ - البراقي - تاريخ الكوفة ص ٣٢٤
- ٦ - ابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ١٥٧
- الذهبي - تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٣٢١
- ٧ - الذهبي / سير اعلام النبلاء ٢٣٠ - ٢٣٣
- ابن حجر العسقلاني / الاصابة ج ٢ ص ٨٦
- ٨ - ابن حجر العسقلاني ج ١ ص ٣١٦
- ٩ - المناقبون الآية (٨) .
- ١٠ - ابن حجر العسقلاني / الاصابة ج ١ ص ٥٤٢ .

- ١ - ابن الفقيه / البلدان ص ١٦٤ البلاذري / فتوح البلدان ص ٢٨٧ ابن سعد / الطبقات ج ٦ قسم ١ ص ٤٠١
- ٢ - ابن الفقيه / البلدان ص ١٦٤ ابن عبد البر / الاستيعاب في معرفة الاصحاب ج ٢ ص ٣٠٨
- ابن حجر العسقلاني / الاصابة ج ٢ ص ٣٦٠
- ٣ - ابن حجر العسقلاني / الاصابة ج ١ ص ٦٦
- ابن الاثير / الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٠٢
- ٤ - ابن حجر العسقلاني / الاصابة ج ١ ص ٤١٦

صفحة مغفلة من تاريخ الطب العربي :

السبب في قلة اخبار الطب في تلك الفترة :

ان العناية بالكتابة في تاريخ رجال الطب جاءت متأخرة ، بالمقارنة بغيرهم من رجال العلوم الاخرى ، مثل رجال : اللغة ، والتفسير ، والفقه ، والكلام ، وسواهم . اما العناية بتاريخ علم الطب نفسه فشيء جديد .

هذا ، وقد كانت الكوفة اولى حواضر الخلافة الاسلامية خارج الحجاز ، ولم تطل مدة الخلافة فيها ، اذ انتقلت منها الى دمشق بعد صلح الإمام الحسن (ع) ، ولم يكن عهد التدوين قد بدأ بعد ، ولما عادت الخلافة الى العراق ثانية ، كانت ايامها في الكوفة - هذه المرة - اقصر مما هي في المرة الاولى ، اذ انتقلت منها - مرة اخرى - الى الهاشمية ببغداد .

وقد حظيت بغداد بالرعاية ، فعلاً شأنها وذاع صيتها ، واجتذبت اليها رجال العلم من : الكوفة ، والبصرة ، وغيرهما من مراكز العلم قبل تشييد بغداد ، فنافستها ثم فاقتها في الذكر والصيت . فانشغل الناس عنها ، وانصرفت العناية الى الاهتمام باخبار بغداد ورجالها وتدوينها ، دون الكوفة والبصرة ، اذ جمعت بين كونها حاضرة الخلافة وكونها دار العلم عصراً طويلاً .

اثير السكوني :

ذكر اكثر من واحد : انه بعد ان ضرب ابن ملجم الإمام علياً (ع) بالسيف [على رأسه] ، جُمع له اطباء الكوفة ، فلم يكن منهم احد أعلم بجرحه من اثير بن عمرو السكوني ، وكان متطبباً ، صاحب كرسي ، يعالج الجراحات ، وكان ابصرهم بالطب .

وان اثيراً لما نظر الى جرح امير المؤمنين (ع) دعا برئة شاة حادة ، فتتبّع عرقها فيها ، فاستخرجه وادخله في الجرح ، ثم نفخ العرق واستخرجه ، فاذا عليه بياض الدماغ ، واذا الضربة قد وصلت الى ام رأسه ، فقال له : « يا امير المؤمنين ، اعهده عهدك ، فان عدو الله قد وصلت ضربته الى أم رأسك » (١) .

يتبين لنا من هذا الخبر عدة امور :

■ الاول - انه كان في الكوفة - انذاك - جماعة من الاطباء ، وليس اثير السكوني وحده ، الا ان الخبر لم يذكر عددهم ، وقد كانت هذه الواقعة في رمضان سنة (٤٠) للهجرة (٢) كما هو معروف .

وبعد ثلاث عشرة سنة من ذلك . كانت حادثة اخرى في الكوفة ، وقد ذكر فيها عدد الاطباء . ففي سنة ثلاث وخمسين طعن

ناجي محفوظ

هيئة الوقار وسكينة الاخيار ، وهو جالس على كرسي ، والناس يأتونه بقوارير من الماء^(٩) وهو ينظر في دليل المرضى^(١٠) ويصف لكل واحد منهم ما يوافقه من انواع الدواء^(١١) .

ج - هذا وقد تلجئ بعض الظروف حتى كبار الاطباء الى القعود في الاماكن العامة ، او الدوران على المرضى ، كما يفعل صفارهم ، للتخلص من العوز الذي اصابهم ، فالطبيب اسحاق بن عمران ، كان طبيب الامير زيادة الله بن الاغلب ، وله منه رزق ، ولما حصلت جفوة بينهما ، قطع الامير رزقه . فاضطر اسحاق الى الخروج « الى موضع فسيح من رحاب القيروان ، ووضع هناك كرسيًا ودواة وقراطيس » . فكان المرضى يذهبون اليه ، فيفحصهم ويكتب لهم الصفات^(١٢) - كل يوم - بدنانير ...^(١٣)

■ الامر الثالث - هو الطريقة التي اتبعها اثير في سبر غور الضربة في الجمجمة ، فانه لم يستعمل محرافاً^(١٤) او اية آلة معدنية او قوية ، لكنه وضع فيه عرقا اخذه من رقة ذبيحة شاة لا تزال حارة ، ثم نفخ فيه وهو في الجرح ، ثم اخرجته ولاحظ ما علق به^(١٥) .

ولعله اخذ العرق من رقة حارة ، لكونه لا يزال طرياً ليناً لم يبيس بعد ، فيمكن ان ينزل في الجرح كيفما كان حاله ، فلا ينكسر فيه او يؤذي . وقد استعاض بنفخة - وهو لا يزال في الجرح - عن ضغطه . وعرف مما علق به ان الضربة قد نفذت الى الدماغ .

أين كان مجلس اثير في الكوفة ؟

يقول البكري : « والمشهور في صحراء اثير : ضم الهمزة ، وفتح الثاء ، على التصغير^(١٦) . منسوبة الى اثير بن عمرو السكوني المتطبب : وهو الذي استخرج من رثة شاه عرقاً ... الخ »^(١٧) . ويقول الحموي : « صحراء اثير بالكوفة » . وانها تنسب الى اثير بن عمرو السكوني الطبيب الكوفي ، ويذكر خبر فحصه جرح الامام (ع) ، ثم يقول : « وفي صحراء اثير حرق علي الطائفة الغلاة فيه^(١٨) » . وقد ذكر الامرين كليهما صفى الدين البغدادي ايضاً^(١٩) .

واحسب ان هذه الصحراء سميت باثير السكوني لا غيره^(٢٠) ، وان داره كانت على طرف منها مشرفة عليها . ولعله كان يضع كرسيه امام داره ، ويأتي اليه الناس هناك ، يتطبلون عنده ، ولذلك عرفت الصحراء به .

والمراد بالصحراء هنا : الارض الجرداء ، التي ليس بها شجر ولا اكام ولا جبال . وكان بالكوفة عدة مواضع تعرف بالصحراء . كما كان بالبصرة عدة مواضع تعرف بالجفر ، والمعنى واحد^(٢١) .

زياد بن ابيه في اصبه ، وكان والياً على الكوفة^(٢٢) فجاءه موله سليم بمائة وخمسين طبيباً . ذكر هذا غرسي النعمة الصابي ، عن عوانة بن الحكم الكلبي^(٢٣) المؤرخ الكوفي^(٢٤) وأشار اليه ايضاً ابن كثير^(٢٥) ، لكنه لم يذكر سند الخبر ، وهل هو عن عوانة ام عن غيره . ان هؤلاء الاطباء ان لم يكن جميعهم من الكوفة ، والا فاکثرهم منها ، ثم من الاماكن القريبة منها ، وليس من المقبول القول : ان هذا العدد ، جمع من الاقاليم الاخرى او المدن البعيدة ، ولا سيما ان اصابته مخوفة ، وتستوجب التعجيل في علاجه .

■ الامر الثاني - ان اثيراً كان ابصرهم بالطب ، متميزاً عليهم ، وانه كان صاحب كرسي . فما المراد بصاحب الكرسي ؟ كان الاطباء قديماً - من حيث ممارستهم صنعة الطب - على صنفين :

■ الصنف الاول : طبيب دؤار - يدور في الطرقات ليعالج المرضى في بيوتهم واماكنهم وغالباً ما كان يفعل هذا الطبيب الناشيء ، في بدء اشتغاله بصناعة الطب^(٢٦) ، ليكسب معاشه ، ويعرف شأنه ويشتهر امره ، ويزيده دورانه على المرضى معرفة بعلم الطب ، ويكسبه خبرة بصنعتة ، ويصبح - ولا شك - اكثر تجربة ممن لا يفعل ذلك .

■ الصنف الثاني : طبيب يقعد في مكان معين ، قد يكون : داره ، او دكانا ، او غيرهما ، ولا يقعد فيه - عادة - على الارض ، بل على الكرسي ، ويأتيه المرضى ليفحصهم ، ويصف لهم الدواء . ويكون هذا - على الاكثر - بعد تقدمه في العلم وتمرسه في الصنعة ، واشتهاره ، ويؤيد هذا :

أ - ما جاء في صفة الواعظ الصالح ، في احدى خطب الملاحم للإمام علي (ع) ، ان قال عنه : « طبيب دؤار بطبه ، قد احكم مراهمه ، وأحمى مواسمه ، يضع ذلك حيث الحاجة اليه من : قلوب غفّي ، وأذان ضمّ ، والسنة بكم . متبّع بدوانه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة » .

وقد قال ابن ابي الحديد في شرح ذلك : « إنما قال دؤار بطبه ، لان الطبيب الدوار اكثر تجربة ، او يكون على به : انه يدور على من يعالجه ، لان الصالحين يدورون على مرضى القلوب فيعالجونهم . ويقال : « ان المسيح (ع) رُوي خارجاً من بيت ، فقيل له : يا سيدنا ، امثلك يكون ها هنا ؟ فقال : انما يأتي الطبيب المرضى »^(٢٧) .

ب - وقد قيل ايضاً : ان الامام علياً (ع) مرّ « في بعض شوارع البصرة ، فاذا هو بحلقة كبيرة ، والناس حولها يمدّون اليها الاعناق ، ويشخصون اليها بالاحداق ، فمضى اليهم لينظر سبب اجتماعهم ، فاذا فيهم شاب حسن الشباب نقي الثياب ، عليه

الذي ينقل عن ابن عبد البر نفسه : « كان صاحب كسرى يتطبيب له »^(٢١) ، اي يداويه ويعالجه . فاصبحت العبارة بهذه الزيادة واضحة قديمة .

ولكن : هل ان كلمة « له » في نص النويري ، كانت في الاصل الذي نقل عنه ام انه اضافها من عنده ليستقيم بها المعنى ؟

ولا بد - هنا - من ان نذكر : ان المؤرخ الكوفي عوانة بن الحكم الكلبي ، قد ذكر : ان الاطباء المئة والخمسين الذين جاء بهم سليم الى زياد ابن ابيه لما طعن ، كان « منهم ثلاثة قد ادركوا كسرى »^(٢٢) ، والذي يفهم من قوله هذا : انهم ادركوه اطباء لا اطفالاً . والا فما مزية ان يدركوه اطفالاً ، ثم هناك الكثيرون الذين ادركوا ايامه ، اطفالاً او صبياناً واكبر من ذلك .

يؤكد ما ذهبنا اليه ، قول ابن كثير : ان « منهم ثلاثة ممن كانوا يطب كسرى بن هرمز ، فمجزوا عن رد القدر المحتوم والامر المحموم »^(٢٣) . ولم يذكر - كما قلنا - سند خبره ، وهل هو عن عوانة ام غيره ؟ لانه اذا كان عن اخر ، ازداد وثوقاً .

فاذا اخذنا بقول القرطبي والنويري من بعده ، فمعنى ذلك : ان اثيراً لم يكن غلاماً عندما فتح خالد بن الوليد عين التمر ، وانما كان قد جاوز مرحلة الشباب ، لانه كان طبيب كسرى ، ولا يعقل ان طبيباً ناشئاً مبتدئاً يصير طبيب كسرى .

وهذا يفسر لنا عدم ذكره فيمن ذكر من اولئك الغلمان الاربعة ، لانه لم يكن بينهم اصلاً .

بقي امر آخر ، وهو : الا يجوز ان تكون كلمة « كسرى » عند القرطبي مصحفة عن كلمة « كرسي » التي يستقيم بها المعنى عبارته ايضاً ، خاصة وانها خالية من كلمة « له » التي وجدناها في عبارة النويري ؟

لهذا يرجح ما قاله الاصبهاني عن اثير السكوني

■ عامة :

وهكذا ، يكشف لنا هذان الخبران : (خبر مقتل الامام علي (ع)) و (خبر مرض زياد بن ابيه) عن وجود عدد كبير من الاطباء في تلك الفترة ، كان بينهم اطباء كبار جداً ، ذكر من اسمائهم (اثير السكوني) في حين ان الكتب التي ارخت للاطباء لم تذكره لا هو ولا غيره ، بل انها لا تنبئ عن وجود اطباء آنذاك في الكوفة وما حولها .

ان تدقيق كتب التاريخ العامة وأمثالها ، يبرز - من ثناياها - اسماء عدد غير قليل من الاطباء ، غير الذين عرفناهم وتتردد اسمائهم في تواريخهم ، ويرسم صورة لحالة الطب والاطباء انق من الصورة التي ارتسمت في الازمان ، فنرى الجانب الاخر منها الذي خفي علينا .

قال العديد ممن ذكر اثيراً انه : « ابن عمرو السكوني »^(٢٤) وقد زاد الاصبهاني : ابن عمرو بن هاني السكوني^(٢٥) وقال ابن عبد البر القرطبي والنويري والحموي : ان اثيراً يعرف « بابن عمريا »^(٢٦)

وقال الاصبهاني : « انه من الاربعة غلاماً الذين كان خالد بن الوليد اصابهم في عين التمر فسابهم »^(٢٧) . وذلك انه لما فرغ من الانبار ، سار الى عين التمر ، وبعد ان سبى كل من كان في حصنها ، « وجد في بيعتهم اربعين غلاماً يتعلمون الانجيل ، عليهم باب مفلق فكسره عنهم ، وقال : ما انتم ؟ قالوا : زُفَن فقتلهم في اهل البلاء »^(٢٨)

وقد ذكر بعض المؤرخين - في كلامهم على فتح عين تمر - اسماء عدد منهم - ممن صار لهم اولادهم - بعد ذلك - شأن ، مثل

- نصير : ابي موسى بن نصير

- وابي عمرة : جد الشاعر عبد الله بن عبد الاعلى ،

- وسيرين : ابي محمد بن سيرين ،

- واخرين ،^(٢٩)

ولكنهم لم يذكروا اثيراً ، مع بلوغه في تلك المرتبة في الطب ، ثم ارتباط ذكره بمقتل الامام علي (ع) فلم لم يذكروه إذا كان منهم حقاً ؟

اما السكوني :

« السُكُونِي : بفتح السين المهملة ، وضم الكاف ، وسكون الواو ، وفي آخرها نون ، هذه النسبة الى السكون ، وهو بطن من كندة ، وهو السكون بن اشرس بن ثور ، وهو كندة . ينسب اليه خلق كثير »^(٣٠)

وعلى هذا ، فإن اثيراً عربي من كندة ، وانه كان نصرانياً في صفه .

قول اخر :

قال ابن عبد البر القرطبي في كلامه عن مقتل الامام علي (ع) : ان اثيراً « كان يقال له : اثير بن عمريا ، وكان صاحب كسرى يتطبيب ، وهو الذي ينسب اليه صحراء اثير »^(٣١) .

لقد جاءت عبارة القرطبي هكذا ، في سائر طبعات كتابه « الاستيعاب »^(٣٢) ، وقوله : « كان صاحب كسرى يتطبيب » لا يخلو من غموض بنصه هذا . وقد جاء في كتاب « نهاية الارب »

الهوامش والمصادر

- اساس البلاغة، الزمخشري، ط ١ مصر (ق ي س) ٢ : ٢٨٨
(١٥) المراجع المذكورة في الهامش الاول .
(١٦) معجم ما استعجم ١ : ١٠٩ .
وفي معجم البلدان « كانه تصغير اثر » ١ : ١١١ .
وفي مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، صفي الدين
البغدادي، ط ١ مصر ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م : « اثير تصغير اثر » ١ :
٢٧ .
(١٧) معجم ما استعجم المشار اليه سابقاً .
(١٨) معجم البلدان المشار اليه سابقاً .
(١٩) مراصد الاطلاع المشار اليه سابقاً .
(٢٠) فقد جاء في كتاب : فتوح البلدان للبلاذري، القاهرة
١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م : « ... وصحراء اثير : نسبت الى رجل من بني
اسد، يقال له : اثير » ص : ٢٨٩ . وفي معجم البلدان (في كلامه
على صحراء ام سلمة) : « ... فبالكوفة صحراء بني اثير : نسبت الى
رجل من بني اسد، يقال له : اثير بالكوفة ... » ٥ : ٣٤٠ . فهل كان في
الكوفة : صحراء اثير الاسدي وصحراء اثير السكوني وصحراء بني
اثير ؟ ام انها صحراء واحدة ؟
(٢١) معجم البلدان ٥ : ٣٤٠ .
(٢٢) مقاتل الطالبين، والاستيعاب في معرفة الاصحاب، ومعجم
ما استعجم، ومعجم البلدان ١ : ١١١ . ونهاية الارب في فنون الادب،
النويري، مصر ١٩٧٥ م ٢٠ : ٢١٤ .
(٢٣) مقاتل الطالبين ص : ٣٨ .
(٢٤) الاستيعاب ٣ : ١١٢٨ . نهاية الارب ٢٠ : ٢١٤ . معجم
البلدان ١ : ١١١ .
(٢٥) مقاتل الطالبين ص : ٣٨ .
(٢٦) تاريخ الامم والملوك، الطبري، مصر ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٩ م ٢ :
٥٧٧ . الكامل في التاريخ ٢ : ٣٩٥ . البداية والنهاية، وفيه
« وفرقهم في الامراء واهل الفناء » . نهاية الارب، وفيه : « فقسهم
في اهل البلاد » بدل « « البلاء » » وهي تصحيف ١٩ : ٤ / ١١٣ .
(٢٧) تاريخ الامم والملوك ٢ : ٥٧٧ . الكامل في التاريخ ٢ : ٣٩٥ .
البداية والنهاية ٦ : ٣٥٠ . نهاية الارب ١٩ : ٤ / ١١٣ .
(٢٨) اللباب في تهذيب الانساب، ابن الاثير، القاهرة ١٣٥٧ هـ .
١ : ٥٥٠ . ولاحظ ايضاً نهاية الارب ٢ : ٣٠٣ / ٤ .
(٢٩) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٣ : ١١٢٨ .
(٣٠) وهي ثلاث، الاولى - في مطبعة السعادة في القاهرة سنة
١٣٢٨ هـ، على حواشي كتاب « الاصابة في تمييز الصحابة »،
وهي مقابلة على عدة نسخ مغربية، عليها خطوط العلماء الاعيان،
وعلى نسخ المكتبة الخديوية المصرية ايضاً .
والثانية - صورة لتلك بالاوفست، قامت بذلك مكتبة المثنى في
بغداد، بدون ذكر التاريخ، والثالثة - بتحقيق علي محمد البجاوي،
وهي المشار اليها في الهامش الاول .
(٣١) نهاية الارب ٢٠ : ٢١٤ .
(٣٢) الهفوات النادرة ص : ٨٢ .
(٣٣) البداية والنهاية ٨ : ٦٣ .

- اثير : بضم الهمزة، وفتح الناء [وسكون الياء]، على التصغير،
هكذا جاء في المصادر التي ضبطت الاسم .
(١) يجمع هذا الخبر ما جاء في :
١ - مقاتل الطالبين، الاصفهاني، القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م
ص ٣٨
ب - الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ابن عبد البر القرطبي، مصر،
١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م ٣ : ١١٢٨
ج - معجم البلدان، الحموي، مصر ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م ١ :
١١١
د - معجم ما استعجم من اسماء البلدان والمواضع، البكري، مصر
١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م ١ : ١٠٩ .
(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر. المسعودي، ط ٣ مصر
١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ٢ : ٤٢٣ / ٥
والكامل في التاريخ، ابن الاثير، بيروت، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ٣ :
٣٨٧
(٣) مروج الذهب ٣ : ٢٥ / ٦
والهفوات النادرة، غرس النعمة الصابي، دمشق ١٣٨٧ هـ /
١٩٦٧ م ص : ٨٢ / ٣ .
(٤) الهفوات النادرة ص : ٨٢
والبداية والنهاية، ابن كثير، ط ١ بيروت ١٩٦٦ م ٨ : ٦٣ .
(٥) الاعلام، الزركلي، ط ٣ بيروت ٥ : ٢٧٢
(٦) البداية والنهاية ٨ : ٦٣
(٧) يبدو ان ذلك استمر في بغداد - حتى اوائل القرن الحالي،
فيذكر (ماسينيون) من (نداءات الدروب) التي سمعها وسجلها بين
عامي (١٩٠٧ - ١٩٠٨) من منزله في محلة الحيدر خانة، هذا
النداء :
« عيون الطيب، انا (حكيم)، انا طيب .. انا طيب عيون »
تعليقات على لهجة بغداد العربية، لويس ماسينيون، ترجمة : د .
اكرم فاضل بغداد ١٩٦٢ م .
(٨) هي الخطبة التي اولها : « الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه،
والظاهر لقلوبهم بحجته، خلق الخلق من غير زوية ... »
شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، مصر ١٣٢٨ هـ ٢ : ٢٢٢ / ٣
(٩) قوارير من الماء : اي قوارير من البول، وهذا من كنايات اطباء
العرب القدامى استكراهاً للتلفظ بكلمة (بول) وقد يكتفى بكلمة
« القارورة » فحسب .
(١٠) دليل المرضى : اي بول المرضى، وهذه كناية اخرى من
كتاباتهم، وهي اخص بهم من « الماء » . وقد كان البول من الادلة
المهمة في معرفة المرض، وفق اساس مفصلة في كتبهم .
(١١) روض الراحين في حكايات الصالحين، اليافعي، مصر
١٣٠٢ هـ ص : ٤٨ / ٩
(١٢) الصفات : وصفات الادوية .
(١٣) عيون الانبياء في طبقات اطباء، ابن ابي اصيبعة بيروت
١٩٦٥ م ص : ٤٧٨ / ٩ .
(١٤) المحراف : « آلة قياس مقدار غور الشجة »

أ. د. محمود عبدالله الجادر
كلية الآداب - جامعة بغداد

الهوية القومية

● // في كتب الأدب العربي

بزغ نور الاسلام والعرب تتناقل علومها ومعارفها بالرواية والسماع ، فلم يؤثر عنهم انهم دونوا علومهم في كتاب ، وكان أجل علومهم وأشرفها الشعر^(١) ، ولم يؤثر عنهم انهم دونوه^(٢) انما كانوا يروونه رواية ويسمعونه سماعاً ، فلما نزل القرآن الكريم وأمر النبي ﷺ بكتابته عرف العرب أول كتاب مدون تتداوله وتضمن تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، فهو كتاب الله الذي نزل بلسان عربي مبين^(٣) وهو الكتاب الذي قرن خلوده بخلود لغة هذه الامة وقرن خلودها بخلوده .

ولم يكن الاسلام ديناً للعرب وحدهم ، فالقرآن الكريم ينص على ان الرسول الكريم ﷺ انما بعث للبشرية كافة ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » (سبا ٢٨) ويقول : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الانبياء ١٠٧) .

بيد ان ذلك لا يثلب من حقيقة تاريخية شاخصة وهي ان العرب ، كانوا هم مادة الاسلام^(٤) فالرسول ﷺ منهم والقرآن الكريم نزل بلغتهم ، والاسلام باعتباره العقيدة احياء لعقيدة ابيهم ابراهيم عليه السلام ، « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » (الحج ٧٨) .

وكان على العرب - مادة الاسلام - ان ينقلوا هذا النور السماوي الى الناس كافة ، فكان ان بدأ الرسول ﷺ المهمة المقدسة فجند أول كتبية ازمع إرسالها الى الشام قبل انتقاله الى جوار ربه ، ثم تابع الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم الشوط فأعدوا العدة .

ان رحلة العالم الانسانية عند العرب انبثقت لخدمة الاسلام ، وان ارادة الله سبحانه سبقت ان تكون العروبة مادة الاسلام قرآناً ورسولاً وتاريخاً وقيماً ورجالاً فإنه يصح لنا ان نقرر أن كل جهد علمي بذل في سبيل خدمة الاسلام هو جهد انصب بشكل مباشر او غير مباشر في اطار خدمة العروبة ، فهو بهذا المعنى جهد عقيدي اسلامي في مطلقه واهدافه ، وهو بالمعنى نفسه جهد قومي عربي في تفاصيله ومنجزاته .

على انه ينبغي لنا هنا ان نقرر حقيقة اخرى وهي ان الرسالة الاسلامية السمحة على الرغم من كون العرب مادتها ومعدنها - لم ندعُ الى اي نمط من انماط العصبية القومية قال عز من قائل : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (الحجرات ١٣) ، اما احاديث الرسول ﷺ ومواقفه التطبيقية واحاديث الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ومواقفهم التطبيقية التي تقع في اطار هذا الميدان فهي اكثر من ان تحصى .

ولقد تقبل العرب هذا التوجيه الالهي بنفوس راضية مرضية ، فهم لم يمارسوا في تاريخهم الذي سبق بزوغ نور الاسلام اي موقف من مواقف الاستعلاء القومي على الامم الاخرى وان كانوا قد عبروا عن صلابتهم في مواجهتهم مواقف الاستعلاء والعصبية التي جابههم بها بعض خصومهم الأجانب في مواقف سجلتها اسفار التاريخ^(١) على ان خروج العرب من جزيرتهم ونشرهم ألوية الاسلام من أقصى الأرض الى أقصى الأرض وتوليهم زمام قيادة مسيرة الدولة الاسلامية لم يرق لأولئك الذين دخلوا الاسلام مكرهين لاسيما مسيحيي الفرس الذين قوض الاسلام اركان دولتهم والغى ما وقر في نفوسهم من عبادة أكاسترتهم^(٢) فظلوا يتحينون الفرص للانقضاض على الدولة واستعادة ماطوته يد الأيام ، بيد ان المرحلة المبكرة من تاريخ الدولة العربية الاسلامية لم تتح لهم فرصة ممارسة اي نمط من انماط الاعلان عن هذا الهاجس او العمل على تحقيقه ، ذلك ان عملية دخول الفرس في الاسلام كانت قد تمت في وجهها الاعم الأغلب عن طريق معارك حربية لم تكن لتتيح لهم فرصة إعادة تنظيم خنادق الصراع الاخرى في المدى الزماني المنظور^(٣) على ان استقرار الامور نسبياً في ظل الدولة الاموية واكتساب هؤلاء المتريسين حقوق المواطنة واندماجهم في المجتمع العربي الاسلامي منحهم فرصة إعادة تنظيم الصفوف والبدء بتنفيذ مخطط محاولات النصف من الداخل وافتتاح شوط طويل

وجيشوا الجيوش ، وبدأت ملاحم التحرير والفتح التي امتدت على مدى القرون اللاحقة حتى وصل نور الاسلام الى حدود آسيا الوسطى شرقاً وإلى بحر الظلمات غرباً ، ودخل في الاسلام ادم شقته ذات السنة مختلفة وكان دخولها في الاسلام يقتضي منها ان تتعلم لغة القرآن وان تتكلم العربية كاهلها ليكون اتصالها بدستور عقيدتها - القرآن الكريم - مباشراً وبلا وساطة ، وهكذا كان على الذين حملوا السيف ليحرروا الانسان من جاهليته ان يبادروا فور وضع السيف جانباً الى رفع القلم ليرسوا الاسس البكر لعلم العربية ، وليشهد التاريخ العربي بواكير حركة التأليف التي بدأت تنمو وتتسع وتتشعب حتى بلغت ذروتها في العصر العباسي الذي يمثل بحق العصر المعبر عن حضارة الفكر العربي الذي ظل ابدانه قروناً طويلة قبل الاسلام جمرأ يتراكم فوقه رماد بدواة الحياة وشظف العيش وتمزق الشمل وفقدان القيادة القادرة على توحيد الصف تحت لواء عقيدة تجمع الامة وتمنحها هوية وجودها القومي الموحد^(٤) .

والمتتبع لتاريخ التأليف عند العرب المسلمين لابد ان يقف على حقيقة تاريخية شاخصة وهي ان بواكير المؤلفات التي أرسى اسس العلوم الانسانية برمتها انبثقت اسلاً في ميدان خدمة العقيدة الاسلامية ، فالحقائق التاريخية تشير الى ان سبب وضع علم النحو والتأليف فيه انبثق من ان واضعه ابا الاسود الدؤلي سمع قارئاً يخطيء في ضبط آية قرآنية فاقبل على وضع علم النحو بعد طول امتناع^(٥) ، وان سبب عناية العلماء بجمع الشعر وتدوين دواوينه كان منبثقاً من إدراكهم اهمية الشعر في تفسير كتاب الله فقديماً قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما « انا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب »^(٦) ، وأن سبب وضع علم نقد الشعر وتأليف اول كتاب ضخيم فيه انبثق من قناعة مؤلفه محمد بن سلام الجمحي بضرورة تنقية السيرة النبوية لابن اسحق مما رواه فيها من شعر موضوع^(٧) .

اما على صعيد العلوم الانسانية الاخرى فإننا نستطيع ان نلاحظ مثلاً ان الرغبة في تسجيل سيرة الرسول ﷺ وسير الانبياء صلوات الله عليهم كانت البذرة البكر لعلم التاريخ ، وان الرغبة في تحديد اتجاه القبلة في مختلف الاصقاع كان اللبنة الاساس لعلم الجغرافيا ، وان الرغبة في تحديد مواقيت الفرائض كانت الارضية التي قام عليها علم الفلك ، اما علوم التفسير والحديث والفقه ثم المنطق والكلام والفلسفة فلسنا بحاجة الى البحث عن وشيجة تربطها بخدمة العقيدة ، فهي منها في الصميم . وحين يصح لدينا

من الصراع الذي تطور واشتد عبر السنين حتى غدا واحداً من
أخطر التحديات التي واجهت المسيرة العربية الإسلامية .

ولعل أخطر الميادين التي شهدت آثار هذا الصراع - بعد
الميدان العقيدي والسياسي - هو ميدان اللغة والأدب .

أما على صعيد اللغة ، فعلى الرغم من أن الاسفار لا تنقل لنا
ملامح واضحة لحركة داعية الى مواجهة مضادة لزحف اللغة
العربية على خارطة العالم الاسلامي أيام الأمويين ، فإن ثمة

محاولات بدت غير منظمة واجهها العلماء العرب والغيورون على
لغة القرآن بصلابة في المرحلة المبكرة من العصر العباسي ، فلما
كشفت الشعوبية عن وجهها الكالح أواخر القرن الثاني وأوائل

القرن الثالث الهجريين كان لعلماء العربية أن يواجهوا الهجمة
مواجهة صريحة وكان أولهم الجاحظ الذي كان عصره يشهد

محاولات خبيثة للفض من قيمة اللغة العربية وتراثها الإبداعي
فما كان منه إلا أن أطلق صيحته المشهورة التي قرر فيها أن
الإساءة الى اللغة العربية إساءة الى الإسلام إذ قال : « فإنما عامة

من ارتاب بالإسلام إنما كان ذلك أول رأي الشعوبية والتمادي فيه
وطول الجدل المؤدي الى القتال ، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله ،

وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة وإذا أبغض تلك الجزيرة
أحب من أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى
ينسلخ من الإسلام ، إذ كانت العرب هي التي جاءت به ، وكانوا

السلف والقادة^(١١) وكان لتساهل الخلفاء العباسيين ومن ثم دخول
البويهيين بغداد وظهور الدول المنفصلة في المشرق الاسلامي أن

يمنح التيار الشعبي حرية أوسع في محاربة لغة القرآن الكريم
ومحاولة طمس آثارها ، فقد كلف السلطان الغزنوي محمود بن

سبكتكين الشاعر بكتابة الشاهنامة باللغة الفارسية ،
وكانت تلك خطوة هالت العلماء الغيورين على اللغة العربية فهبوا

للدفاع ومواجهة المحاولة الشعوبية وكان أولهم أبو الريحان
البيروني (وهو من العلماء الذين كانوا يرتادون بلاط السلطان
محمود الغزنوي) فقد انبرى بجرأة نادرة ليقول في كتابه

(الصيدنة) : « والهجو بالعربية أحب الي من المدح بالفارسية ،
ويعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسية كيف
ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع منه ، إذ

لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية^(١٢) .
ثم انبرى عالم مشرقى آخر هو أبو منصور الثعالبي ليقول في
مقدمة كتابه (فقه اللغة وسر العربية) : « إن من أحب الله أحب

رسوله المصطفى ﷺ ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب ، ومن
أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على
أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عني بها وتابى عليها
وصرف همه اليها ، ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإيمان ،
وأثابه حسن سريرة : به اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل ، والإسلام
خير الملل ، والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة
والإقبال على تفهمها من الديانة^(١٣) .

وعلى هذا النهج جرى علماء مشاركة آخرون هداهم الله الى
أن يؤمنوا أن العربية جوهر الإسلام وأن الانسلاخ عنها انسلاخ

عن الإسلام وأشهرهم جبار الله محمود بن عمر الزمخشري الذي لم
يكن معاصراً للسلطان محمود الغزنوي كالبيروني والثعالبي ولكنه

لم يقل عنهما جرأة وحماسة فقد قال في مقدمة كتابه المفصل في
علم العربية : « الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية
وجعلني على الغضب للعرب والعصبية ، وأبى لي أن انفرد عن

صميم انصارهم وأمتاز وانضوي الى لفيف الشعوبية وأنحاز ،
وعصمني عن مذهبه الذي لم يجد عليهم إلا الرشق بالسنة

للاعنين والمشق بأسنة الطاعنين ، ولعل الذين يغضون من العربية
ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها
حيث لم يجعل خاتمة رسله وخير كتبه في عجم خلقه ولكن في عربه
لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج وزيفاً عن سبيل

المنهج .
والذي يقضي من العجب حال هؤلاء في قلة انصافهم وفرط
جورهم في اعتسافهم ذلك أنهم لا يجدون علماء من العلوم

الاسلامية فقهها وكلامها وعلم تفسيرها وأخبارها إلا واقتناره الى
العربية بآب لا يدفع ومكشوف لا يتقنع^(١٤) . ولنا أن نسجل بعد

ذلك أن مواقف الغيورين على اللغة العربية من أبناء المشرق
الاسلامي لم تنحصر في زاوية المواجهة المباشرة للهجمة

الشعوبية على لغة القرآن الكريم ، فنحن نستطيع أن نضم الى
دائرة المواجهة كل جهد تأليفي طمح الى خدمة اللغة العربية
والقرنان الرابع والخامس الهجريان اللذان شهدا محاولات

الشعوبية احياء اللغة الفارسية في تلك الاصقاع شهدا ايضاً
انجازات لغوية عربية رائعة انجزها أبناء المشرق الاسلامي

انفسهم كالصالح لاسماعيل بن حماد الجوهري ، وفقه اللغة
لاحمد بن فارس ، وفقه اللغة وسر العربية لأبي منصور عبد الملك بن
محمد بن اسماعيل الثعالبي ، والمفصل في علم العربية لجبار الله
محمود بن عمر الزمخشري ، ثم قد يطول امر استقصاء تلك

المؤلفات التي ان بدت متجهة لخدمة لغة القرآن فإنها اكتسبت هويتها القومية من خلال التزامها بالهوية العربية للمسيرة الحضارية الاسلامية ويتساوى بعد ذلك ان يكون هدفها الموضوعي علمياً صرفاً او عقدياً صرفاً فهي بمنحرجها النهائي راخذ اصيل من روافد تعزيز الطبيعة القومية العربية لمسيرة الحضارة الاسلامية .

كل هذا على صعيد الانجاز اللغوي ، أما على صعيد الانجاز الادبي فإن ظهور الصوت الشعري فيه كان اسرع من ظهوره على الصعيد اللغوي ، فقد شهد العصر الأموي بواكير التذرك الشعري الشعري ، دخل الشاعر اسماعيل بن يسار - وهو من الموالي على هشام بن عبد الملك فأنشده قصيدة قال في بعض أبياتها :

أصلي كريم ومجدي لا يُقاسر به
ولي لسان كحد السيف مسموم
أحمي به مجد أقوام ذوي حسب
من كل قرم يتاج المملك علموم
من مثل كسرى وسابور الجنود محاً
والهـرمـزان لغـضـر أو لتعظيم
هـنـسـاك ان تسـالـي تـنبـي بان لنـسا
جرثومة قهرت عز الجراثيم

فغضب هشام وقال له : أعلي تغر وأياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك ؟ وأمر به فغطوه في الماء حتى كادت نفسه تخرج ، وأمر بنفيه من وقته الى الحجاز^(١٦) .

على ان العصر الأموي شهد أنماطاً أخرى من محاولات الشعوبية للكيد للشعر العربي إذ كان بعضها يتخذ أحياناً صيغة الدس والتشويه التي برع فيها رواة الشعر المنحدرون من أصول غير عربية ، ولنا ان نرصد ذلك في شخصية حماد الراوية الذي قلم للآب العربي خدمات كثيرة ولكنه دس الكثير من الروايات حتى شوه وجه التراث ، ولكن العلماء العرب كانوا بالمرصاد لحماض وأمثاله فضلاً عن العلماء الغيورين على العربية من غير العرب .

ولعل أنق ما قيل في حماد ما قاله المفضل الضبي : « سلط على الشعر من حماد ما أفسده فلا يصلح ابداً فليل له : فكيف ذلك اىخطىء في روايته ام يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك فإن اهل العلم يريدون من أخطأ الى الصواب ، لا ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب الرجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، واين ذلك ؟ »^(١٧) .

وكانت محاولات التشويه الشعبي تتجه أحياناً أخرى الى الشعر العربي الذي كان يبدعه الشعراء الأمويون العرب ، ويتمثل ذلك في نزمت بعض النحويين المنحدرين من اصول فارسية تزمناً طمع الى ان يقيّد على الشعراء العرب حريتهم ويفض من قدراتهم على منح اللغة الشعرية آفاقها الابداعية المتجددة .

روى ابن الانباري ان الفرزدق قال لعبد الملك بن مروان من قصيدة .

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
من الناس الا فسختاً او مجلف
فقال له عبدالله بن أبي اسحق الحضرمي (وهو من الموالي النحويين وكان يرد كثيراً على الفرزدق ويتكلم في شعره) على اي شيء ترفع (او مجلف) ؟ فقال له : على ما يسوءك وينوءك . قال أبو عمرو بن العلاء : قلت للفرزدق : أصبت ، وهو جائز على المعنى ، اي انه لم يبق سواه^(١٨) .

وتتكرر هذه الحوادث ، وينبهي العلماء العرب والغيورون على العربية للدفاع عن الشعراء وعن اللغة العربية التي لا ينبغي للقياس الذخوي ان يحد من تطورها وازدهارها ويقف في طليعة هؤلاء العلماء ابو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد الفراهيدي ويونس بن حبيب والأصمعي^(١٩) .

وإن كان تشدد الخلفاء الأمويين لم يسمح لامثال اسماعيل ابن يسار ان يعيدوا الكرة فإن المشرق الاسلامي كان يشهد تحركات مناهضة لوجود العربي ، ويبدو ان هذه التحركات استقطبت اعداداً كبرى من الانصار في ايام بني أمية حتى غدت ذات شان خطير يمتد الغيارى على المسيرة العربية للدولة الاسلامية على التنبيه على هذا الخطر والحث على اجتثاثه ، ومن أروع ما حفظته المظان أبيات القائد العربي نصر بن سيار التي يقول فيها :

أبلغ ربيعة في مسرو واخوتهم
فليغضبوا قبل آلا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا
حرباً يحرق في حافات الحطب
ما يسالكم تلقحون الحرب بينكم
كان أهل الحجا عن رأيهم عزبوا
وتسركون عدواً قد أظلكم
مما تـأشـب لادين ولا حسب
قدماً يدينون ديناً ما سمعت به
عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلي عن أصل دينهم
فإن دينهم ان تقتل العسرب^(٢٠)

وعلى الرغم من صلابه مواقف الخلافة الأموية في مواجهة هذه الحركات التي كانت اللبنة الأساس للحركة الشعبية فإن انشغال الدولة بالفتوحات وبمواجهة الاضطرابات الداخلية في اواخر أيامها ثم سقوطها على أيدي العباسيين الذين استأنوا في ثورتهم ببعض الشخصيات الفارسية ، كل ذلك فتح أفقاً ريفياً للمتعصبين الفرس الذين بدأوا يكشفون هويتهم العنصرية بلا مواربة ، ثم يكشفون عن هدفهم الذي ظلوا يخفونه طويلاً وهو إعادة بناء دولة الأكاسرة وتقويض أركان الدولة العربية الإسلامية وارجاع العرب الى باديتهم التي كانوا يعيشون فيها قبل بزوغ نور الاسلام ، وهكذا شهد المسرح السياسي في العصر العباسي فتناً وحركات بدأت بفتنة ابي مسلم الخراساني وبلغت ذمتها بدخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤ هـ .

لقد كان لهذا الواقع الجديد ان يشمل كل ، يادين الحياة ومنها ميدان الادب الذي بدأ التيار الشعبي ينفذ ، سمومه على ساحته التي شهدت ازدهاراً عجيباً في ظل الدولة العباسية ، فديوان الشعر العربي الذي لم يستقبل في عصر بني أمية غير أبيات اسماعيل بن يسار الا القليل النادر بدأ يستأنل فيضاً من هذا النتاج الشعري الشعبي الطاعن على العرب والمتبجح بالفخر بالاصول الفارسية ، فبشار بن برد الشاعر الذي عاصر الدولتين لم يجرؤ على ان يقول شيئاً في العصر الأموي يتيح له المصر العباسي ان ينفث كل حقه على العرب في قصائد ومقطوعات كثيرة منها على سبيل المثال قوله :

أنا ابن الاكرمين اباً واماً
تنأزعني المزارب من طخار
تفاخر يا ابن راعية وراة
بني الاحرار؟ حسبك من خسار^(٢١)
ولا ينفرد بشار بهذا النعما من الفخر بالاصل الفارسي والطنع على العرب ، بل يتابعه رطب من الشعراء منهم ابو نواس الذي يقول .

دع الالبان يشربها رجلاً
رقيق العيش بينهم غريب
فهذا العيش لا خيم البسوادى
وهذا العيش لا اللبن الحليب
فماين البسود من إيسوان كسرى
واين من الميصادين السزوب؟^(٢٢)

وتتوالى الاصوات الشعبية في ميدان الشعر ، وترتفع اصوات ابن ميادة وأبان بن عبد الحميد اللاحقي وابي يعقوب الخريمي وسهل بن هرون وعلان بن الحسن الوري ، لتزيج براقع

طالما سترت الوجه القبيح للشعبوية أيام دولة بني أمية ، ولكن مزورث الشعر العباسي نفسه يقرر ان الصوت العربي كان يدايس دوره في مواجهة الهجمة الشعبية ، فحين فخر ابن ميادة بأحواله الفرس في قصيدة قال فيها :

أنا ابن أبي سلمى وجذّي ظالم
وأمي حصانٌ أخلصتها الاعاجم
رد عليه الحكم الخضري بقصيدة قال فيها :
وسالك فيهم من اب ذي سعيّة
ولا ولدتك المحصنات الكرائم
وهما انت الا عبيدهم ان تُرثوهم
من الدهر يوماً تسترثك المقاسم^(٢٣)
وحين افتخر عبدالله بن طاهر بقومه الفرس في قصيدة قال فيها :

وأني من لا كفاء لـــــــ
من يساوي مجده ، قولوا
ناقضه ابن سلمة بقصيدة قال فيها :
يسا ابن بنت النار موقدها
مالحاذيه سراويل
من حسين؟ من ابيـــــوه؟ ومن
مصعب؟ غـــــالتم غـــــول^(٢٤)
وحين وقف شاعر فارسي بين يدي صاحب بن عباد لم يحدح بقصيدة دس فيها ابياتاً افتخر فيها بأصله الفارسي . غضب صاحب وطلب الى بديع الزمان الهمداني - وكان حاضراً - ان يرد عليه فناقضه بابيات منها قوله :
أسننا الضاربين جزئى عليكم
وإن الجزري اولى بالانذليل
حتى قـرع المنابر فارسي؟
متى عرف الاغمر من الحجلول؟
فعلق صاحب بقوله ، لا أرى احداً يفضل العجم على العرب الا وفيه عرق من المجوسية ينزع اليه^(٢٥) .

ويطول امر استقصاء ما حفظته أسفار الشعر العباسي من نصوص شعرية شعبية وردود عليها . بيد أن لنا ان نلاحظ ان صوت الشعر العربي لم يقتصر على الرد بل كان يمارس مهمته في التنبيه على الخطر الشعبي وتحريض الخلفاء ولاة الامر على استئصال شافته ، فقد حرص الشاعر اعلاء بن الحداد الخليفة موسى الهادي على الزنادقة في شخص يزدان بن باذان الذي قال في حجاج بيت الله الحرام (ما أشبههم الا ببقر تنوس البيدر) فقال العلاء :

أيها أمين الله في خلقه
 ووارث الكعبة والمنبر
 ماذا تسرى في رجل كافر
 يشبه الكعبة بالبيدر^(٢٦)
 وحرى الأصمعي الخليفة هرون الرشيد على البراءة حين
 قال فيهم :

إذا نكسر الشوك في مجلس
 أضاعت وجوه بني برمك
 ولو تليت بينهم آية
 أتوا بالأحاديث عن مزدك^(٢٧)
 وحين قتل المعتصم الأفشين (حيدر بن كاوس) انبرى أبو
 تمام ليذكر بمجوسية الأفشين ويحرض المعتصم على الحاق
 اتباعه به في قصيدة منها :

مما زال سر الكفر بين ضلوعه
 حتى اصطلى سر الزناد السواري
 نارا يساور جسمه من حرها
 لهب كما عصفرت ثوب إزار
 صلى لها حيا وكان وقودها
 ميتا ويصلاها مع الفجار
 وكذلك اهل النار في الدنيا هم
 يوم القياسمة جل اهل النار
 ياقابضاً يد آل كاوس عادلاً
 أتبع يميناً منهم بيسار^(٢٨)

فإذا غادرنا ردود الفعل المباشرة على صعيد الشعر واتجهنا
 الى الجهد التأليفي في الكتب لنستجلي ملامح الهوية القومية في
 المنجزات الأدبية كان لنا ان نتأمل جهد العلماء الذين حرصوا
 على التراث الأدبي العربي وتنقيته مما ألحقته به الأيدي العابثة
 وذلك من خلال تبني مناهج علمية كان ابتكارها إشارة حاسمة الى
 قدرة العقل العربي على إرساء أسس الحضارة بعد طول بدو
 فرضتها ظروف الحياة التي سبقت بزوغ نور الاسلام .

لقد شمر العلماء لجمع ما حفظته ذاكرة الرواة من نصوص
 الشعر العربي القديم ، وكان أكثر هؤلاء العلماء ممن اشتغل أولاً
 بعلم الحديث الذي أرسوا له اسساً منهجية لا موضع للحديث
 عنها هنا ، فكان لهم ان يستعينوا بتلك الأسس في جمع الشعر
 وتصحيح صحيحه واسقاط زائفه ومنحوله ، واستعانوا فوق ذلك
 كله بانواقهم الأدبية وملكاتهم النقدية ومعارفهم اللغوية حتى

غدوا مصادر موثقة يؤخذ عنها ولا يؤخذ عن سواها ، قال ابن
 سلام :

« قال قائل لخلف : اذا سمعت انا بالشعر أستحسنه فما
 أبالي ما قلت انت فيه وأصحابك . قال ، اذا أخذت درهما
 فاستحسنته فقال لك الصراف إنه رديء فهل ينفعك استحسانك
 اياه^(٢٩) .

وكان من أوائل العلماء الذين جندوا انفسهم لمهمة جمع
 التراث الأدبي العربي وتنقيته أبو عمرو بن الملاء والأصمعي
 وشلف الأحمر وابن سلام ثم تلاهم علماء كثيرون .

وقد حفظت يد الأيام عدداً من مؤلفات الرعيل الأول ثم
 اعداداً هائلة من مؤلفات الأجيال المتعاقبة من العلماء ، وكان كل
 مؤلف من هذه المؤلفات وثيقة علمية تمتلك هويتها القومية
 بوصفها كنزاً من كنوز تراث الأمة ومصدراً من مصادر ذخيرتها
 الفكرية والإبداعية وأهم تلك المؤلفات دواوين الشعراء الجاهليين
 والاسلاميين فضلاً عن كتب تراجم الشعراء وأخبارهم وطبقاتهم
 كفحولة الشعراء للأصمعي وطبقات فحول الشعراء لابن سلام
 والشعر والشعراء لابن قتيبة والاعاني لأبي الفرج الأصفهاني
 والمفضليات للمفضل الضبي والأصمعيات للأصمعي والحامسة
 لأبي تمام فضلاً عن ديولها للبحراني وابن الشجري والبصري
 وجمهرة أنعار العرب لأبي زيد القرشي .

لقد أرسى الرعيل الأول من العلماء أسس العمل لجمع هذا
 التراث والغيرة عليه ومنحه ما يستحق من العناية والرعاية
 والاحلال ، فهو سبيل أبناء الأمة لاستجلاء قيم الآباء والاجداد ،
 وقد رأينا ما كان من مواقفهم بوجه محاولات الشموعية المتجهة

الى الدس على التراث والحق ما ليس منه به وفضحهم الرواة
 الوضاعين ، اما على صعيد المواجهة المباشرة لدس الشموعية
 فثمة مواقف كثيرة شارك فيها العلماء ورجال الدولة وتناقلتها
 الاسفار العربية التي حرص أصحابها على جلاء الوجه القومي
 للمسيرة العربية الإسلامية ذكر منها مثلاً ما رواه ابن عبد ربه في
 العقد الفريد بأسناده من ان الأصمعي دخل على الرشيد وكان
 عنده الفضل بن يحيى البرمكي فاستنشد الرشيد للمعاج ورؤية
 فكان مما أنشده قصيدة مديح للمعاج في المنصور فلما بلغ مقطع
 وصف الجاهل من القصيدة قال الفضل للأصمعي : مالك تضيق
 علينا كل ما اتسع لنا من مساعدة السهر في ليلتنا هذه بذكر جمل
 اجرب ؟ سر الى امتداح المنصور حتى تأتي الى آخره فقال
 الرشيد : اسكت يا فضل ، فالأبلي هي التي أخرجتك قبل من دارك
 وأزعجتك عن قرارك وسلبتك تاج ملكك : ثم ماتت فعملت جلودها

سياطاً يضرب بها قومك ضرب العبيد ، ثم قال : لا تدع نفسك والتعرض لما تكره . فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله . قال الرشيد : أخطأت في كلامك يرحمك الله ، لو قلت وأستغفر الله قلت صواباً ، انما يُحمد الله على النعم»^(٢٠) .

إن احياء هذا التراث الادبي كان بحد ذاته وقفة قومية بوجه الشعوبية التي حاولت طمس معالمه او تشويهها ، فقد لجأ الشعوبيون الى وسائل خبيثة في محاولتهم تلك ، إذ راحوا يزعمون ان العمل في علوم الدين والعقيدة اجدى من الانشغال بالشعر واحياء نصوصه ، روى ابن رشيقي انه قيل لسعيد بن المسيب : ان قوماً بالعراق يكرهون الشعر . فقال : نسكوا نسكاً اعجمياً»^(٢١) .

ولم يكن سعيد بن المسيب الوحيد في ميدان الرد على هذه المحاولات والاشارة الى اصحابها الاعاجم ، فقد انبرى عدد غير يسير من العلماء للزود عن تراث الشعر العربي ، فعقد ابن عدي مبحثاً مطولاً في كتابه (العقد الفريد) تناول فيه فضائل الشعر العربي افتتحه بقوله : « كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها والمقيد لايامها والشاهد على احكامها .. »^(٢٢) ثم راح يحتج باقوال الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والمصاحبة رضوان الله عليهم وأقوال السلف التي تمنح الشعر موقعه الطبيعي من تراث الأمة ليؤكد أن الاشتغال بعلم الشعر لا يناقض الاشتغال بعلوم الدين ولا يمس بالعقيدة .

وقد كان لابن رشيقي أن يقف الموقف نفسه في كتابه (العمدة) الذي عقده برمته لخدمة التراث الشعري العربي وافتتحه بفصل عنوانه (باب في فضل الشعر) قال في أوله : « العرب أفضل الأمم ، وحكمتها أشرف الحكم ، لفضل لسان على اليد ، والبعد عن امتهان الجسد ، اذ خروج الحكمة من الذات بمشاركة الآلات » وأربف هذا الفصل بفصل آخر عنوانه « باب في الرد على من يكره الشعر »^(٢٣) جمع فيه أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء والسلف الصالح رضوان الله عليهم في الشعر والحض على روايته وحفظه فكانه جرى فيما ساقه على سنن ابن عبد ربه ليحقق الغاية نفسها وهي إبطال حجة من زعم من الشعوبيين أن الاشتغال بالشعر انشغال عن العقيدة . ثم كان كتاب ابن رشيقي برمته توثيقاً لهذا التراث ودراسة لاصوله وقواعده وفنونه فكانه كان بمجمعه رداً عملياً على المنطلق الشعري الذي طمح إلى طمس هذا الأثر القومي العريق .

وإذا اعتمد ابن عبد ربه وابن رشيقي على النصوص الإسلامية المبكرة لرسم الخنلق الذي حاولت الشعوبية ان تصطنعه بين علم

الشعر وعلوم الدين فإن أبا هلال العسكري واجه المحاولة الشعوبية مواجهة من نمط أكثر حسماً فجعل (الاشتغال بعلم الآداب والبلاغة العربيين هو الوسيلة لمعرفة كتاب الله حق معرفته ويجعل الانصراف عن الأدب العربي وبلاغته انصرافاً عن القرآن الكريم نفسه حين قال « اعلم - علمك الله الخير وذلك عليه وفيضه لك وجعلك من أهله - أن أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ ، بعد المعرفة بالله جل ثناؤه ، علم البلاغة ومعرفة النصيحة الذي به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى .. وقد علمنا ان الانسان اذا أغفل ، علم البلاغة واخُل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ماخصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب »^(٢٤) .

على ان محاولات الشعوبية لم تقف عند حدود هذه الحجج التي وقف لها العلماء بالمرصاد فقد عمد بعض الشعوبيين الى النظم على الأدب العربي الموروث فزعموا ان العرب اذ كانوا يتولون الشعر ، الذي كانت تمارسه امم اخرى ، لم يكن لهم خطابة كما كان للفرس واليونان ، فإن خطباء العرب استعانوا بالمصا او بالقوس ليداروا عجزهم عن التدفق بالكلام ، وذلك زعم تصدى له العلماء العرب ، فعقد الجاحظ فصلاً في كتابه (البيان والتبيين) فند فيه زعم الشعوبيين وقال في أوله : « ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ، ومن يتحلى باسم التنسية ويمطاعهم على خطباء العرب .. »^(٢٥) ومضى يناقش الشعوبيين في مسائل مختلفة ومنها مسألة اتخاذ الخطباء العرب المعصي والتبسي عند الخطابة ، ومنها مسألة جهل العرب ببعض فنون الحرب ، ثم وقف طويلاً عند زعم الشعوبية ان مصادر البلاغة وأدواتها كلها أعجمية ليس للعرب فيها نصيب فقال : « قالوا : ومن اسب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتبحر في الدقة فليقرأ كتابه (كازؤند) ومن احتاج الى العقل والأدب والعلم بالمراتب والعبر والمثلات والألفاظ الكريمة والمعاني الشريفة فليُنظر في (سير الملوك) فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها وهذه يونان ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها ، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة والخطأ من الصواب ، وهذه كتب الهند في حذقتها وأسرارها وسيرها وغللها ، فمن قرأ هذه الكتب وعرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم عرف اين البيان والبلاغة ، وأين تكاملت تلك الصناعة »^(٢٦) .

وكان له بعد ذلك انه يريد على هذا كله فقال : « وجملة القول أنا لا نعرف الخطيب إلا للعرب والفرس ، فاما الهند فإنما لهم معان

مدونة وكتب مخلدة .. ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق « وكان صاحب المنطق نفسه بكفي اللسان غير موصوف بالبيان .. وفي الفرس خطباء ، الا ان كل كلام للفرس وكل معنى للمجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي وطول خلوة وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب وحكاية الثاني علم الاول وزيادة الثالث في علم الثاني حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم .

وكل شيء للعرب فإنما هو بديهية وارتجال وكأنه الهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إحالة فكر ولا استمسانة ، وإنما هو ان يصرف همه الى الكلام والى رجز يوم الخصام او حين يمتح على رأس بئر او يحدو ببمير او عند المقارعة او المناقلة او عند صراع او في حرب ، فما هو الا ان يصرف همه الى جملة المذهب والى العمود الذي اليه يقصد فتاتيه المعاني ارسالاً وتنتال عليه الالفاظ انثيالاً ثم لا يقبده على نفسه ولا يدرسه احداً من ولده ، وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وله أقهر ، وكل واحد في نفسه أطلق ومكانه من البيان ارفع ، وخطباؤهم للكلام اوجد والكلام ذلهم أسهل « (٢٧) .

ويبدو ان الشعوبية التي أفحمتها حجج الجاحظ ومن تابع الجاحظ من العلماء اضطرت الى التسليم بصور الابداع الأدبي العربي القديم عن فطرة أصحابه لا اكتسابهم ، ولكنها عمدت الى طعن من نمط آخر ، فراحت ترجع ابداع الشعراء العباسيين الى اصول يهودانية وتلج في ذلك حتى ألفت الكتب فيه ، فهب العلماء

العرب والافيرزون على العربية لتفنيد هذا الافتراء وكان ابن الاثير اشدّهم جرأة وحسماً في المسألة حين قال « فان قلت ان هؤلاء وقفوا على ما ذكره علماء اليونان وتعلموا منه قلت لك في الجواب : هذا شيء لم يكن ولا علم ابو نواس شيئاً منه ولا مسلم ابن الوليد ، لا ابو تمام ولا البحتري ولا ابو الطيب المتنبّي ولا غيرهم .

وكذلك - رى الحكم في أهل الكتابة كمعبد الحميد وابن العميد والصابي وغيرهم . فان ادعيت ان هؤلاء تعلموا ذلك من كتب علماء اليونان قلت لك في الجواب : هذا باطل بي أنا ، فاني لم أعلم شيئاً مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته .. ومع هذا فانظر الى كلامي فقد اوردت لك منه نبذة في هذا الكتاب ، وإذا وقفت على رسائلي ومكاتبي - وهي عدة مجلدات - وعرفت أنني لم أتعرض لشيء ، مما ذكره حكماء اليونان في حصر المعاني علمت حينئذ ان صاحب هذا العلم من النظم والنثر بنجوة من ذلك كله ، وأنه لا يحتاج اليه ابتداءً ، وفي كتابي هذا ما يغنيك ، وهو كاف « (٢٨) .

ولم يكن الشعر والبلاغة العربيان وحدهما ميدان عبث الشعوبية ومحاولتها ارجاعهما الى اصول غير عربية فقد كان علم النحو الذي ارساه العقل العربي متهماً بأنه مشتق من علم المنطق الذي يضرب بجذره في علوم اليونان ، ولكن العلماء العرب انبروا لدفع هذه التهمة ومحاربة القائلين بها حواراً عقلياً رصيناً . روى ياقوت الحموي بإسناده مناظرة عقدتها الوزير ابن الفرات بين ابي سعيد السيرافي النحوي ومتى بن يونس القناني الفيلسوف ، وهي مناظرة طويلة مسهبة حسبنا ان نجتزئ منها ما يوضح محور الصراع ويكشف عن الهوية العربية لعلم النحو ، قال ابو سعيد مخاطباً متى :

« حدثني عن المنطق ما تعني به ؟ فانا اذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطئه على سنن مرضي وعلى طريقة معروفة . قال متى : أعني به أنه آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من سقيمه وفاسد المعنى من صالحه كالميزان ، فإني أعرف به الرجحان من النقصان والشائل من الجانح . فقال له أبو سعيد : أخطأت ، لان صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل ان كنا نبحث بالعقل ، هبك عرفت الراجح من الناقص عن طريق الوزن من لك بمعرفة الموزون اهو حديد او ذهب او شبه او رصاص ، وأراك بعد معرفة الوزن فقيراً الى معرفة جوهر الموزون والى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدّها ، فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك ، وفي تحقيقه كان اجتهداك الا نفعاً يسيراً » .

ويمضي ابو سعيد في مناظرته حتى يقول : « فانت فلو : فرغت بالك وصرفت عنايتك الى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها وتجارينا فيها وندرس بمفهوم اهلها وتشرح كتب يونان بعامة أصحابها لعلمت أنك غني عن معاني يونان كما انك غني عن لغة يونان » (٢٩) ثم تستغرق المناظرة تفاصيل متشعبة يثبت خلالها السيرافي ان علوم العربية - لاسيما النحو - يغني عن ميزان المنطق وعن علوم اليونان .

وثمة ميادين أخرى ارتادتها الشعوبية ونفثت سمومها فيها فانبرى العلماء العرب للدفاع عن الهوية القومية بمواجهتها وتفنيد مزاعم الشعوبيين وقرع حججهم بحجج تجلو أصالة الحس القومي لدى أبناء الأمة في مسيرة ازهى حلقة من حلقات رسالتهم الحضارية لقد انبرى عدد من الشعوبيين في المرحلة المبكرة من عمر الدولة العباسية الى التقاط حالات سلبية نادرة من التاريخ العربي لفق الرواة الكثير منها فزادوا عليها وضخموها وألفوا كتباً الحقوا فيها كل مثلبة بالتاريخ العربي وكان من أقدمهم ابو عبيدة

معمر بن المثنى الذي روى ابن النديم ان رجلاً قال له : « يا ابا عبيدة قد ذكرت الناس فطعنت في أنسابهم ، فبالله الا تعرفني من كان أبوك ؟ وما أصله ؟ »

قال : حدثني ابي انه كان يهودياً بباجردان^(٤٠) . وقد ذكر ابن النديم من كتب أبي عبيدة كتاب مثالب باهلة وكتاب العققة وكتاب أدعياء العرب وكتاب نصوص العرب وكتاب فضائل الفرس وكتاب المثالب الذي طعن فيه على بعض اسباب النبي ﷺ^(٤١) .

ومنهم الهيثم بن عدي الذي قال فيه ابن النديم : « وكان يُطعن في نسبه » وذكر له من الكتب كتاب تاريخ العجم وبني امية وكتاب المثالب الصغير وكتاب المثالب الكبير وكتاب مثالب ربيعة وكتاب اسماء بغايا قريش في الجاهلية وكتاب اخبار الفرس^(٤٢) . ومنهم علان الشعوبي الذي ذكر ابن النديم انه كان منقطعاً الى البرامكة وانه عمل كتاب الميدان في المثالب هتك فيه العرب وذكر انه اودعه مثالب نيف وسبعين قبيلة عربية^(٤٣) .

ومنهم سهل بن هرون الذي قال فيه ابن النديم : « فارسي الاصل شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب وله في ذلك كتب كثيرة »^(٤٤) .

ويطول امر استقصاء كتاب الشعوبية الذين ألفوا كتباً في ثم العرب واحياء مناقب الفرس كابان بن عبد الحميد اللاحقي وسعيد ابن حميد البختكان واسحق بن سلمة^(٤٥) وليس لنا ان نتوقع ان يتصدى العلماء العرب لكل كتاب من هذه الكتب الشعوبية ليردوا عليه ويفضحوا ما تنفته الشعوبية فيه من سموم وأكاذيب ، ذلك ان كتب الشعوبية لم تكن تحدياً يقتضي المواجهة قدر ما كانت مواجهة لتحدي الوجود العربي ونتاجه الفكري وتاريخه القومي والمقيدي الذي دونته الأسفار وجعلته الرافد الرئيس لتقافة العصر وسحبت بذلك البساط من تحت اقدام العنصر الفارسي واضطرته الى الانصهار في المسيرة العربية الاسلامية فكانت محاولات الشعوبيين احياء التاريخ الفارسي والغض من التاريخ العربي محض رد فعل امام هذا الفيض العربي الذي بهرهم وأغاظ صدورهم .

وقد أدرك العلماء العرب هذه الحقيقة تماماً ، فلم يعنوا كثيراً بالرد على كل نعقة ينعتها شعوبي بل وفروا جهدهم لخدمة تراث الأمة وتاريخها وعقيدتها ومنجزاتها اللغوية والأدبية ووجدوا في هذا الجهد خير رد على الشعوبية فهم يضعونها من خلاله امام الحقائق الكبرى التي تغني عن بذل الجهد في الرد على نعيمها المتوثر .

وعلى الرغم من ذلك فقد افرد بعض العلماء الغيورين على التاريخ والفكر العربيين مؤلفات برأسها لمواجهة الهجمة الشعوبية فضلاً عما سبقت الاشارة اليه من مؤلفات افردت بعض

فصولها لمواجهة تلك الهجمة .

ومن أقدم هذه المؤلفات كتاب (العرب) او (الرد على الشعوبية) لابن قتيبة الذي بنى فكرته في الرد على فضح الواقع التاريخي الذي انطلقت منه الشعوبية في طعنها على العرب وهو حسدها للعرب على ما خصها الله به من فضائل اولها الاسلام ، اما في اطار الرد المباشر فقد اتخذ ابن قتيبة من أبي عبيدة معمر ابن المثنى أنموذجاً للفكر الشعوبي وراح يدحض مزاعمه التي افترها على العرب ثم عاد الى التاريخ العربي القديم يجلو أحداثه وحوادثه ويذكرها ما التزمت به الأمة من كرم الخصال ونبل القيم فيقول : « فإنها لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء والتدب والتعابير باليخل والغدر والسفه وتتذرع عن الدناءة وتتدرب بالحدة والصبر والبسالة وتوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق التوجب للحميم والشفيق »^(٤٦) .

وحين كتب ابن غرسية في الاندلس رسالته في تفضيل العجم على العرب وعدد فيها مفاخر الروم والفرس وغض من قدر العرب انبرى له جملة من العلماء وربوا عليه ريدوا مباشرة دافعوا فيها عن الهوية القومية للمسيرة العربية الاسلامية منهم ابو يحيى بن مسعدة وأبو جعفر احمد بن البودين البلنسي وأبو الطيب ابن من الله القروي^(٤٧) .

ولنا ان نسجل ملاحظه جولدتسيهر من ان الشعوبية الاندلسية لم تزد كثيراً على ما سبقت اليه الشعوبية المشرقية وان تميزت بحرصها على الانسجام مع العقيدة الاسلامية والاكتفاء بالظعن على العرب بينما كانت الشعوبية المشرقية تقوم اصلاً على أرضية الإلحاد والزندقة^(٤٨) .

والحقيقة ان الشعوبية المشرقية كانت تحارب على الجبهتين العقيدية والقومية وقد تناولنا اهم مانفتته من سموم على الصعيد القومي ثم تناولنا نماذج مما انجزه العلماء العرب والغيورون على العربية في مواجهتهم لهجمتها من خلال جلاء الوجه الناصع للهوية القومية لمسيرة الحضارة العربية الاسلامية ، اما على الصعيد العقيدي وفي ميدان مواجهة مؤلفات الزنادقة والمانيونية والمزدكية والعقائد اللاحادية الأخرى فقد كان للعلماء العرب والمسلمين من غير العرب انجازات غزيرة ورائعة تابعها الباحثون^(٤٩) ولكنها مما لا يقع في اطار الهدف المرسوم لهذا البحث الذي قصر جهده على متابعة الجهود التي حرصت على ارساء الهوية القومية في كتب الادب واللغة وطمحت الى ان تكون اسهاماً جاداً في خدمة تراث خير امة اخرجت للناس ولغة اشرف كتاب شاعت ارادة الله ان ينزل بهذه اللغة فيقرن خلوده بخلودها وخلودها بخلوده الى ان يرث الله الأرض وما عليها ومن عليها .

الهوامش والمصادر

- (١٥) الفصل في علم العربية - للزمخشري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر (د . هـ) ١٤٠٢ ، ٤٠٢٠١ .
- (١٦) الأغاني ، طبعة دار الكتب ، ٤٢٣/٤ - ٤٢٤ .
- (١٧) الأغاني ٨٩/٦ .
- (١٨) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لابن الأنباري ، تحقيق إبراهيم السامرائي بغداد ١٩٧٠ م ، ٢٧ - ٢٨ .
- (١٩) ينظر ما قاله ابن الأنباري في هؤلاء العلماء في نزهة الألباء ، ٣٣ .
- (٢٠) العقد الفريد ٢٠٧/٥ .
- (٢١) ديوان بشار بن برد ، تحقيق محمد الطاهر عاشور ٢٢٩/٣ ، وينظر هذا النمط من فقره باصله في ديوان ٣٧٧/١ .
- (٢٢) ديوان أبي نواس ، تحقيق د . بهجت الحديثي ، بغداد ١٩٨٠ م ، ١٠٢ - ١٠٤ والأبيات منتقاة من قصيدة ، وينظر مواضع كثيرة أخرى في ديوانه .
- (٢٣) الأغاني ، طبعة دار الكتب ٢٦١/٢ - ٢٦٢ .
- (٢٤) العقد الفريد ٥٧/٢ - ٥٩ .
- (٢٥) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الألوسي ، شرح وتصحيح محمد بهجت الأثري بغداد ١٩٢٩ م ، ١٦٠/١ .
- (٢٦) ضحى الاسلام ، أحمد أمين ، مصر ١٩٥٦ م ، ٦٧/١ .
- (٢٧) الوزراء والكتاب للجيشياري ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مصر ١٩٢٨ م ، ٢٠٦ .
- (٢٨) ديوان أبي تمام ، تحقيق محمد عبده عزام ، مصر ١٩٦٩ م ، ٢٠٣ - ٢٠٦ والأبيات منتقاة من القصيدة .
- (٢٩) طبقات فحول الشعراء ، ٧ .
- (٣٠) العقد الفريد ١٤٠/٦ - ١٤٠ (٣١) المصنف ٢٩/١ .
- (٣٢) العقد الفريد ١٠٣/٦ - ١٠٣ (٣٣) المصنف ١٩/١ و ٢٧ .
- (٣٤) كتاب الصنائع لابن هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي وزميله ، مصر ١٩٧١ م ، ٧ .
- (٣٥) البيان والتبيين ٥/٣ .
- (٣٦) م ن ١٤/٣ - ١٤ (٣٧) م ن ٢٧/٣ - ٢٨ .
- (٣٨) المثل السائر ، لابن الأثير : تحقيق أحمد الحوفي وزميله ، مصر ١٩٦٠ م ، ٤/٢ - ٥ .
- (٣٩) معجم الأدباء ، لياقوت - الحموي ، تحقيق مرجليوت ، مصر ١٩٢٧ م ، ١٠٩/٣ - ١١٠ .
- (٤٠) الفهرست ٥٠٩ .
- (٤١) م ن ١١٢ - ١١٢ (٤٢) م ن ١١٨ .
- (٤٣) م ن ١٤٢ - ١٤٢ (٤٤) م ن ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٢ .
- (٤٥) كتاب العرب ، لابن قتيبة ، ضمن رسائل البلغاء تصنيف محمد كرد علي ، مصر ١٩٤٦ م ، ٣٦١ .
- (٤٦) تنظر رسالة ابن غرسية وردود العلماء العرب عليه في نواثر المخطوطات تحقيق عبدالسلام هرون مصر ١٩٧٢ م ، ٢٤٦/١ - ٢٣٠ .
- (٤٧) ينظر تقديم عبدالسلام هرون لرسالة ابن غرسية في نواثر المخطوطات ٢٤١/١ - ٢٤٢ .
- (٤٨) لمقابلة ذلك يمكن الرجوع الى الكتب الآتية : الجذور التاريخية للشعبوية ، للدكتور عبدالمعز الدوري ، بيروت ١٩٦٢ م . الشعبوية حركة مضادة للاسلام والامة العربية ، د . عبدالله سلوم السامرائي بغداد ١٩٨١ م ، اثر الشعبوية في الأدب العربي وتاريخه د . نعمة رحيم المزاري بغداد ١٩٨٣ م ، مباحث في الحركة الشعبوية ، د . فاروق عمر فوزي ، بغداد ١٩٨٦ م .

- (١) روى ابن سلام ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه » طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود محمد شاكر ، مصر ١٩٧٤ م ، ٢٤ وينظر المصنف ابن رشيقي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٧٢ م ، ٢٧/١ .
- (٢) عالج الدكتور ناصر الدين الأسد مسألة كتابة الشعر في العصر الجاهلي بأسهاب شديد وكان له في ذلك آراء فيها نظر ، ينظر كتاب مصادر الشعر الجاهلي ، مصر ١٩٥٦ م .
- (٣) وصف القرآن الكريم نفسه بأنه (لسان عربي) في ثلاثة مواضع هي : النحل ١٠٣ ، والشعراء ١٩٥ والأحقاف ١٢ ، وبأنه (قرآن عربي) في ستة مواضع هي : يوسف ٢ ، وطه ١١٣ ، والزمر ٢٨ ، وفصلت ٣ والشورى ٧ ، والزخرف ٣ وبأنه (حكم عربي) في موضع واحد هو الرعد ١٧ - وأوما الى عريبته بالنص على انه نزل بلسان الرسول الكريم ﷺ في موضعين هما مريم ٩٧ والنحان ٥٨ .
- (٤) قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الحقيقة وخصها بأهل البادية في وصيته للخليفة من بعده إذ أوصاه بأهل البادية ووصلهم بأنهم (أصل العرب ومادة الاسلام) ينظر البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هرون ، مصر (د . ت) ٤/٦ ، وللإستزادة ينظر الفصل الثاني . من كتاب الأستاذ شبلي الميسمي (عروبة الاسلام وعالمية) بغداد ١٩٨٥ م .
- (٥) قرر كثير من الباحثين المعاصرين - لاسيما المستشرقين - حقيقة عراقية الفكر الحضاري عند العرب ، ينظر مقابعات الأستاذ سامي الكيالي للنصوص العربية والاستشراقية في كتابه (الفكر العربي بين ماضيه وحاضره) مصر ١٩٤٣ م .
- (٦) ينظر الفهرست القديم تحقيق رضا تجدد ، طهران ١٩٧١ م ، ٤٥ - ٤٦ ، ينظر اخبار الذهبين البصريين للسيراقي تحقيق طه محمد الزيني وزميله ، مصر ١٩٥٥ م ، ١٠ - ١٥ حيث ذكر المؤلف اسباباً أخرى ذكرتها روايات مختلفة .
- (٧) المصنف ٣٠/١ .
- (٨) تكاد مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء كلها تدور حول هذه المسألة .
- (٩) تنظر محاوره كسرى والنعمان بن المنذر ، ثم محاوره كسرى والوفد العربي الذي جهزه النعمان للرد على كسرى في العقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق محمد سعيد العريان مصر (د . ت) ٢٢٨/١ ، وما بعدها هذا فضلاً عن مواقف العرب القتالية لمرء الخطر الفارسي في يوم ذي قار ودره الخطر الحبشي في يوم خزاز واخبار هذين اليومين أشهر من أن تفصل فيها .
- (١٠) ينظر البحث القيم الذي كتبه الدكتور عبدالله سلوم السامرائي في الفصل الاول من كتابه (الشعبوية حركة مضادة للاسلام والامة العربية) بغداد ١٩٨١ م .
- (١١) ينظر بحوث المؤتمر العام الخامس عشر للاتحاد العام للأدباء العرب بغداد ١٩٨٦ م .
- بحث (التحدي المضاد في التاريخ الثقافي العربي) ، ٢٢٣ .
- (١٢) المصنف للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هرون ، مصر ١٩٦٨ م ، ٢٢٠/٧ .
- (١٣) المصنف للبيريوتي تحقيق د . هادي الحكيم محمد سعيد ، باكستان ١٩٧٣ م ، ١٢ .
- (١٤) فقه اللغة وسرئانية ، انتاهرة (د . ت) ٢ - ٧ .

الاقتراض اللغوي ...

د. حاكم مالك

الزبادي

كلية الآداب /

جامعة القادسية

علي جاسم سلمان

كلية التربية /

جامعة القادسية

الاقتراض اللغوي من الظواهر الحية والمهمة التي تمرض للغات في حياتها وتطورها . وقد تنبه اليها العلماء والباحثون من القدامى والمحدثين ، واستأثرت باهتمامهم ، فكانت لهم آراء ومواقف متباينة بشأنها ، مصنفيين فيها العديد من الكتب والرسائل التي قصروها في الغالب على جمع الالفاظ المعربة والدخيلة ، دون مزيد عناية بأسباب ودوافع هذه الظاهرة ، وبيان آثارها .

ان الاقتراض اللغوي أمر ملازم للغات في مختلف العصور ، لا يكاد يختلف في وقوعه اثنان ، بيد ان البحث اللغوي المعاصر . في حدود علمنا — لم يفرد له دراسة خاصة ، تستوعب أسبابه ودوافعه ، وتبين انماطه ومظاهره ، وتكشف عن آثاره ، فكل ما قيل فيه هو مباحث صغيرة مبنوثة في بعض الكتب اللغوية ، لا تكاد تسد رمق الباحث وتحقق ضالته . لهذا وجد الباحثان ان هذا الموضوع القديم الجديد ، جدير بالبحث والدراسة وفيه حاجة الى إعادة نظر وتامل ، والى معالجة لغوية جديدة . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان موضوع بحثنا هذا حري لأن يكون مدار دراية علمية جادة على مستوى الدراسات الجامعية العليا ، لخطورة شأنه وسعة مادته وتعدد آثاره في حياة اللغة وسلامتها . بيد ان الصعوبة في تناول موضوع كهذا تكمن في أن من يتصدى لدراسته ومعالجته ، ينبغي له ان يكون على معرفة والملم ببعض اللغات العالمية القديمة والحديثة .

والغريب عليها وتمسكوا به ، وكان هذا الغريب عندهم لباس عصري لا بديل له وهو أفضل من اللباس العربي الموروث ، فتجدهم يتشددون بهذا الغريب الدخيل في الحديث والكتابة بدافع من التقليد والمحاكاة . ويحسبون هذا الصنيع نوعاً من التحضر والثقافة ، ويجدون فيه ضرباً من التباهي . وقد يفعلون اكثر من ذلك ، حين يصطنعون مثلاً ، لفظة بلسان أجنبي دون وعي ومعرفة باصلها ، فيستعملون العربي الاصيل على أنه اعجمي دخيل وفد على العربية من لغات أخرى . ومثال ذلك كلمة « كوافير » التي يستعملها اهل هذا العصر بكثرة للدلالة على آلة لتجفيف شعر النساء . أو محال تجميل شعر النساء في حين ان اصل هذه الكلمة عربي محض مأخوذ من كلمة « الكوفية » المستعملة لغطاء الرأس .

لهذه الاسباب مجتمعة شرع الباحثان في دراسة هذه الظاهرة ، ليؤكدوا وقوعها في كل زمان ومكان لتداخل اللغات ، وليبينوا الموقف السليم ازاء قضية تداخل اللغات واختلاطها . ولكن هذا لا يعني أن أبواب اللغة مفتوحة على مصراعها لقبول كل لفظ يأتي به التقدم الحضاري والتقني ، أما ما تمس الحاجة إليه عند الضرورة القصوى من ألفاظ اللغات الاخرى . فامر مسوغ ، ولا يسوغ سواه .

ومن هنا يبدو ان دراسة هذا الموضوع لا تخلو من مخاطرة علمية ، أو مغامرة لغوية ، قد يرتكبها الباحث ، ولا يحسد عليها . وهو ما اختاره الباحثان ، وارتضياه لنفسيهما ، وعقدا العزم على الخوض فيه دونما تردد . وفي هذا كله دلالة اكيدة على اهمية الموضوع وخطورة شأنه وكبر جدواه . وبهذا يكون هذا البحث الذي نتقدم به . مدخلاً مناسباً وتمهيداً ناقعاً لدراسة ظاهرة الاقتراض اللغوي دراسة جامعية وافية شاملة .

كذلك تبدو اهمية هذا البحث في علاقته الوطيدة بعملية التعريب الحديثة التي اصبحت لذاتها ، ظاهرة لغوية بارزة تشغل بال المعنيين بسلامة اللغة العربية ، والمهتمين بسبل الحفاظ عليها ، فهم في عمل دؤوب ، وشغل شاغل بشأن إيجاد الالفاظ والمصطلحات العربية التي تقابل المفردات الاجنبية التي شاع استعمالها في هذا العصر على السنة العامة والخاصة ، وفي كتاباتهم ، بل بين المتخصصين بعلوم العربية . كما شاعت هذه المفردات والمصطلحات في المؤسسات العلمية والتربوية .

إن العربية اليوم تواجه امتحاناً صعباً إزاء الجديد من الالفاظ الاجنبية التي تقذف بها الحضارة العالمية في كل يوم ، لا لانها قاصرة عن الوفاء بالمتطلبات اللغوية للحياة الجديدة ، وعدم مواكبتها للتطور الحديث . وانما أبنائها غموطها حقها ، حين آثروا

وعلى هدى مما تقدم ، جاء البحث مقسماً على ثلاثة صغرى ، تتناسب وطبيعة الموضوع ، فكان أن افتتح في مقدمة ، وأربعة مباحث .

الأول بعنوان : في الاصطلاح على ظاهرة الاقتراض اللغوي ، ثم تلاه المبحث الثاني ، وعنوانه : اختلاط اللغات وتداخلها ، ثم مبحث ثالث ، بعنوان : الدوافع إلى الاقتراض وآثاره في اللغة وكان المبحث الرابع بعنوان : التعريب في العصر الحديث .

نأمل أن تكون قد وفقنا في معالجة هذا الموضوع معالجة وافية ، هادفين من ذلك كله إلى خدمة العربية وأعلاء شأنها والحفاظ على سلامتها ومكانتها المعهودة .
والله نسأل التوفيق والسداد .

« في الاصطلاح على ظاهرة الاقتراض اللغوي » .

إن مصطلح « الاقتراض » كما أراد الباحثان أن يوسما بحثهما به ، هو مصطلح حديث ولده بعض المحدثين المختصين بدراسة اللغة العربية ، لا سيما الذين اطلعوا على البحث اللغوي في اللغات العالمية الحديثة ، إذ لم يعرف هذا المصطلح لدى العرب القدماء ، ولم يستعملوه بالمعنى الاصطلاحي الفني الذي عناء المحدثون .

لقد استعمل المحدثون هذا المصطلح منذ أمد قريب ، وهو ضرب من التجوز ، يقول أحدهم : « واستعمال لفظ الاقتراض ... ليس إلا من قبيل التجوز ، أو مجازة لاصطلاح اللغويين المحدثين ، فليس اقتراض الالفاظ اقتراضاً بمعناه الدقيق ، ذلك لأن اللغة المستعيرة لا تحرم الالة المستعارة منها تلك الالفاظ المستعارة ، بل يتفح بها كلا اللغتين . وليست اللغة المستعيرة عطالية برد ما اقترضته من ألفاظ اللغات الأخرى » (١) .

وعلى وفق هذا فإن استعمال مصطلح الاقتراض إنما هو نوع من التجوز الذي تسمح به سنن العربية وقواعدها ، وهي معروفة بذلك ، بل إن المجاز فيها ظاهرة يشار إليها بالبنان . وقد يكون اصطلاح المحدثين لهذا المصطلح ترجمة للمصطلح الأعجمي « Emprunt » الذي يعني الاستعارة أو الاقتراض اللغوي .

وحين نتبع تاريخ ظاهرة الاقتراض في العربية ، وما صنفه العلماء القدماء ، والمحدثون بشأنها ، نجدهم غير متفقين على مصطلح يصفه يسمون به هذه الظاهرة . بل إننا نجد عند نفر منهم خلطاً في الاستعمال الاصطلاحي ، يصل عند بعضهم حد اللبس والخلاف في تعريف هذه الظاهرة فهم تارة يستعملون كلمة « إعراب » كما ورد عند سيبويه (٢) في حين أطلق عليها الجوهري كلمة « تعريب » وعرفها بقوله : « تعريب الاسم الأعجمي : أن

تقفوه به العرب على منهاجها ، تقول عربته العرب وأعربته أيضاً » (٣) ، وبعضهم سماها « المعرب » كما ورد عند الجواليقي الذي اتخذ منه عنواناً لكتاب له في هذا الشأن . وقد تابع الشهاب الخفاجي الجوهري فسماها « تعريباً » أيضاً ، قال في حدها : « وأعلم أن التعريب نقل اللفظ من العجمية إلى العربية » (٤) . وقد سماها آخرون (٥) بـ « الدخيل » ، على حين تفرق جماعة منهم بين المعرب والدخيل ، فالمعرب عندهم هو الذي لحقه تغيير في النطق والوزن والبنية ، فابتعد عن صورته الأصلية ، وأما الدخيل فهو الذي ترك على حاله ولم يغيروا فيه شيئاً (٦) ، وتارة نجدهم يعدونها أمراً واحداً ، فقد ذكر السيوطي (٧) أنه يطلق على المعرب دخيل . ونعت الخفاجي (٨) وغيره الكلمات المعربة بالدخيل .

وثمة لغويون آخرون أطلقوا اسم « المولد » على الالفاظ الأعجمية التي دخلت العربية بعد عصور الاحتجاج والنصاحة ، فخصوها بهذه التسمية تمييزاً لها من تلك الالفاظ التي اقتبستها العربية من لغات أخرى إبان عصور الاحتجاج . ناظرين إليها نظرة لا تخلو من قبح وانتقاص ، فهم يصفون المولد بأنه : « ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم » (٩) ، أو هو ما عربه المتأخرون على حد قول الخفاجي (١٠) . ومن هذا كله يتضح لنا أن القدماء والمتأخرين يختلفون في تسمية هذه الظاهرة والاصطلاح عليها ، كما يختلفون في حدها وبيان مفهومها . وقد أدى هذا الخلاف إلى عدة نتائج ، تتمثل في إطلاق عدة مصطلحات على هذه الظاهرة اللغوية ، وخلاف في تعريفها وتحديدها ، وتفاوت في النظر إليها ، وما شرطوه من شروط وضوابط لها ، فكان أن اتسع مفهوم التعريب حيناً ، وضاق حيناً آخر .

وحين نخرج بالحديث عن هذا المصطلح ومفهومه لدى المحدثين (١١) نجد معظمهم قد جارى القدماء في تسمية هذه الظاهرة . ولكننا لا نعدم الدقة والتحديد عند بعضهم ، من الذين عتوا بتحديد مصطلحات التبادل اللغوي . فقد حد جرجي زيدان مصطلح الأعجمي بما « خالط اللغة من الالفاظ والتراكيب الأعجمية ، بعد انقضاء دولة العرب ، وانقضاء الملك إلى السلاطين والأمراء من الفرس والديلم والترك » (١٢) . وقال في المصطلحات أو الالفاظ المولدة : « هي التي أحدثها المولدون بعد أن دونت اللغة وضبطت ألفاظها في أوائل الاسلام » (١٣) . ويبدو من قوله هذا أنه يطلق مصطلح المولد على الالفاظ التي ولدها العرب بعد انقضاء عصور الاحتجاج اللغوي .

وقد وجدنا مصطفى العقاد يستعمل مصطلح « الدخيل »

عوضاً عن مصطلح المعرب ، فهو يقول في الدخيل : « هو الفاظ داخلت لغة العرب من كلام الامم التي خالطتها ، فتقوّهت بها العرب على مناهجها لتدل في العبارة على ما ليس من مألوفها »^(١٤) . في حين سمي عبد القادر المغربي^(١٥) ما داخل كلام العرب من ألفاظ أجنبية قبل الاسلام « معرباً » أما ما أدخله المولدون فقد سماه « مولداً » وسمى ما أدخله المحدثون بـ « المحدث أو العامي » . ولم يرتض الدكتور ابراهيم السامرائي مصطلح الدخيل لان يكون مصطلحاً فنياً مثل المعرب ، « الذي ألحق بلغة العرب فكان شيئاً منها ، ولكنه في الاعم والاغلب ما استعمله الكتاب وذوو الحاجة ... من الكلم الاعجمي »^(١٦) . وكان حسن ظافاً قد خص مصطلح المعرب بالالفاظ « الاجنبية التي استعملها العرب الذين يحتج بكلامهم ، وتعد من المعرب حتى ولو لم تكن من حيث بناؤها ووزنها الصرفي مما يدخل في ابنية كلام العرب »^(١٧) . لذلك عدّ كلمتي الديباج والسجّجل معربتين على الرغم من ندرة البنى الصرفية العربية ، التي تتفق مع مائتين اللفظتين في الصيغة ، كما عد الباحث ما دخل العربية ، بعد عصور الاحتجاج اللغوي « دخيلاً » ، لذلك وجدناه قد عدّ كلمة « الطبنجة » دخيلة ، لانها دخلت العربية بعد عصور الاحتجاج ، وكذلك لفظة « القرصان » على الرغم من مجيئها على وفق الاوزان العربية ، فهما دخيلتان عنده وما ذلك إلا لان العرب المحتج بكلامهم لم يستعملوها^(١٨) .

وأما أحمد أمين في كتابه ضحى الاسلام فقد عدّ المعرب مصطلحاً يدل على ما أدخله العرب في لسانهم من لغات الاقوام الاخرى قبل الاسلام وبعده في مختلف العصور ، وعنده ان اللفظ الاعجمي الذي دخل لسان العرب سواء وافق اوزانهم الصرفية أم لم يوافقها ، فهو « معرب »^(١٩) . وكان ابراهيم أنيس دقيقاً في تحديد مصطلحي المعرب والدخيل والمكشّف عن المعنى الاصطلاحي الدقيق لهما ، فهو يقول : « عمد العرب الى بعض تلك الالفاظ فحوروا من بنيتها ، وجعلوها على نسج الكلمات العربية وسموها بالمعربة ، وتركوا البعض الاخر على صورته ، وسموه الدخيل »^(٢٠) .

واما الدكتور احمد مطلوب فقد حدّ مصطلح التعريب بأنه « نقل الكلمة الاعجمية بما يتفق وابنية العربية وصيغها ، سواء وقع فيها تغيير ام لم يقع ، وقد يسمى اقتباساً ، لان المعرب بمعناه الجديد وضع مصطلح عربي غير مقتبس أو مقترض من لغات اخرى »^(٢١) . وقد عرف الدكتور علي عبد الواحد وافي الدخيل بما « دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية سواء ما استعمله العرب

الفصحاء في جاهليتهم واسلامهم ، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين »^(٢٢) .

ومن هذا يقضح لنا أن الخبب المحدثين قد تابع القدامى فيما قرروه من دكان ودلالات لهذه المصطلحات التي أطلقوها على ظاهرة الاقتراض اللغوي . والمراد بهذه المصطلحات ، وان تعددت ، شيء واحد ، هو الاقتراض أو الاقتباس اللغوي . ولكن مفهوم الاقتراض لديهم تارة يكون واسعاً ، وتارة يكون ضيقاً . وهذا التعدد الذي نلاحظه في تسمية هذه الظاهرة والاصطلاح عليها ، انما مبينه النظر اليها من عدة اعتبارات مختلفة . فالكلمة الاعجمية في الاصل ، عدوها معرباً لان العرب قد تصرفت بها وشيرت فيها وجرى بها الاستعمال ، فصارت ألصق بكلامهم . وجزءاً من لغتهم . وهي دخيلة باعتبار أنها دخلت العربية من لغات اخرى ، ولم يشير عنها شيء ، فبقيت على صورتها الاعجمية . وهي مؤنّدة بسبب من أنها استحدثت في عصر المولدين الذين لا يحتج بالفاظهم ، وهكذا ، على أن الجديد في هذه التسمية ، دلالة ومفهوماً ، هو ما ذكره بعض المحدثين بأن التعريب بمعناه الجديد هو ايجاد لفظ او مصطلح عربي يقابل الاعجمي في المعنى . وهو رأي وجيه سديد ، يعبر عن حاجة العربية الماسة في العصر الحديث الى مثل هذا الامر . ولكنه يمثل نمطاً من عملية التعريب التي شهدتها العربية بمعناها الواسع إبان عصورها الطويلة . وهو ما سنفصل القول فيه في المبحث الرابع .

« اختلاط اللغات وتداخلها »

الانسان واللغة توأمان وجدا منذ الازل ، لا يستغني أحدهما عن الاخر في سلم التطور التاريخي ، وبهما يتحقق وجود الانشطة الانسانية المختلفة ، فان اللغة تعدّ عنصراً اساساً في الحياة الانسانية ، وهي « البسر الذي يوصل بين الحياة والفكر ، نسج وجود الاشياء أحياناً ، وتلحقها أحياناً اخرى ... ولهذا كانت الكلمة رمز الخلق والايجاد »^(٢٣) . وهي — اللغة — من دون الانسان لا تبرز الى الوجود ، فهو الذي يحقق وجودها من الدم . والانسان بطبيعته كائن اجتماعي ، قد مارس نشاطاً اجتماعياً على مر العصور ، وبفضل منه حصل التبادل الاجتماعي . وقد تشظت علاقاته الاجتماعية على مر العصور مع الآخرين ، لسد عوزه وعززهم ، فتعارف الناس بعضهم مع بعض ، واقاموا حواراً بين حضاراتهم وثقافتهم ، شغل النشاطات الانسانية بكل اشكالها . والانسان حين يطلع على معارف وافكار الآخرين يتبيح الفرصة لثقافته لكي تتحاور مع ثقافة الآخرين ، فتتو ثقافته ، ويتصيح اكثر فاعلية واسهاماً في مسيرة الحضارة الانسانية « فان

واقع التاريخ ومطلق المجتمع وشواهد التطور الحضاري القديم والحديث في الفن والأدب والدين واللغة تثبت أن الإنسان كان في أغلب ظروف تطوره دائم التغلب في ملتقى تيارات بشرية أخرى» (٢١).

وهذه الحال تصنع على المجتمع العربي قبل الإسلام، إذ لم يكن مجتمعاً منعزلاً عن العالم، وإنما كان دائم الأخذ والعطاء. والتاريخ (٢٢). يحدثنا عن بعض الأعراب الذين كانوا يخرجون خارج الجزيرة العربية، فكانت لهم رحلات إلى بلاد فارس وبلاد الروم والحبيشة وغيرها من البلدان، يرومون من ذلك الالتقاء بملوكها وسادتها لكسب ودهم ونيل عطاياهم، وإقامة صلات تجارية وسياسية معهم. وكان بعضهم يضرب في الأرض ضرباً بعيداً، ويطلق المقام خارج الجزيرة. وهناك من عاش بين العرب في جزيرتهم من أبناء الإماء والنساء الأعجميات اللواتي تزوجن من العرب، فتربي أبناءهن بحجورهن.

وحين دخل الأعاجم الديار العربية وعاشوا بين ظهراني العرب، غزت بلاد العرب الثقافات والديانات الأعجمية، فالديار العربية قبل الإسلام كانت دار رحلة وهجرة ومقراً لكثير من أبناء الشعوب الأعجمية. وهؤلاء حملوا معهم لغتهم وثقافتهم حيث استقر بهم الأمر، واللغات إذا تجاورت واختلطت تلاقحت وتأثرت بعضها ببعض (٢٣). وإذا كان الإنسان كائناً اجتماعياً فكذلك لغته، إذ لا يمكننا أن نتصورها «إلا في ظل نظام عام للتبادل المادي والفكري بين أفراد المجتمع الواحد، ومعروف أنه بمجرد ظهور الإنسان المميز على هذه الأرض، انطلق في سعي دائم لتحقيق هذا التبادل بالوسائل المختلفة، التي تملئها عليه مطالب حياته، ويحددها مستواه من الحضارة» (٢٤)، فالأمر والشعوب حينما تتجاور أو تختلط فيما بينها لأي سبب كان، يحدث بينها أنواع من التبادل الذي تتطلبه طبيعة الحياة الإنسانية من أجل ديمومتها كالتبادل التجاري والثقافي والعلمي وغيرها.

وهذا التبادل بأنماطه المختلفة لابد أن يفترون باستعارة مفردات لغوية، وإن يشفع باقتباس ألفاظ من نحو المصطلحات العلمية والتجارية والألفاظ الحضارية وغيرها. يحدث هذا عمداً أو عفواً. ومن يتتبع حياة الأمم والشعوب التي حازت حضارة راقية وعالماً متطورة يجدها لاقت أو خالطت أمماً وشعوباً أخرى أفادت منها في شتى الميادين، وهذه الاستفادة لابد أن ترقى إلى مستوى الاحتكاك اللغوي.

إن هذا الاحتكاك بين الأمم والشعوب إنما هو أمر طبيعي

لا مناص منه، قد فرضته سنن الحياة البشرية قديماً وحديثاً، وأملت دوافع وأسباب قوية لا يمكن دفعها، ولعل أهم هذه الأسباب ما يعود إلى المجاورة والرغبة في إقامة الصلات التجارية والثقافية والحضارية والدينية وهذا الاحتكاك يقضي في نهاية المطاف إلى تداخل لغوي بين اللغات شئنا أم ابينا، تنجم عنه آثار لغوية عديدة، سلباً أو إيجاباً. ويسهم اسهاماً فاعلاً في عملية التطور اللغوي الذي تمر به اللغات، فيجعل اللغة فاعلة ناشطة حيوية. ويلبي كل حاجة لغوية يصادفها أبناء اللغة عبر الأجيال حين تطلع عليهم معارف وافكار ومسميات جديدة في كل عصر، لا عهد لهم بها من قبل. وعلى هدى من هذه الحقيقة والواقع اللغوي يمكن أن نقرر باطمئنان أن «تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمراً مثالياً لا يكاد يتحقق في أية لغة... ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، واحتكاك اللغات يؤدي حتماً إلى تداخلها» (٢٥).

إن اللغات الإنسانية تعيش خلال تاريخها حياة تشبه حياة الأحياء، دائمة الأخذ والعطاء، فلا خوف عليها من الاقتراض اللغوي الذي تمس الحاجة إليه، لأن اللغات تحيا بأهلها قبل أن تحيا بمفرداتها وتراكيبها، «ولا يعيب لغة ما وجود الدخيل فيها، بل أن هذا دليل على حياتها، فإذا توقفت لغة عن الأخذ والعطاء كان هذا إيذاناً بانقراضها» (٢٦). واللغة العربية خلال عمرها الطويل كانت جزيلة العطاء لغيرها من اللغات الأخرى، فقد أمدت اللغة الفارسية بكثير من الألفاظ التي غمرت تلك اللغة، وهذا ديدنها مع اللغة التركية والأوردية والإسبانية والبرتغالية. ولم تكف العربية لأن تكون منهلاً كبيراً تتزود منه تلك اللغات وغيرها بالجم من المفردات والألفاظ، وإنما اقتبست الفاظاً من غيرها أيضاً من لغات جاورتها أو خالطتها مباشرة، أو بالوساطة، والأمثلة على ذلك كثيرة (٢٧).

وحين حدث الانقلاب الصناعي في المجتمعات الحديثة، وازداد الاتصال بين مختلف الشعوب، المتجاورة وغير المتجاورة. أصبحت ظاهرة الاقتراض اللغوي أكثر فاعلية ووقوعاً، لا سيما بعد سيادة بعض اللغات الحديثة وانتشارها في العالم، كالانكليزية مثلاً، فإننا اليوم واجدون «كلمات مشتركة بين كثير من اللغات الأوروبية أصلها إيطالي أو ألماني أو إنكليزي مثلاً، فانتشرت في هذه اللغات... بل نجد كثيراً من الكلمات الأوروبية تنتشر في لغات غير أوروبية كاسماء بعض المخترعات والآلات» (٢٨).

إن للاقتراض اللغوي أنماطاً عدة، فهو لا يقتصر على ميدان

لغوي واحد ، إذ يقع في المفردات كما يقع في القواعد والاساليب عن طريق الترجمة التي تؤدي دوراً كبيراً في هذا الشأن . ولكن يلاحظ أن الاقتراض اللغوي غالباً ما يقع في المفردات ، ذلك لأن المفردات هي التي من خلالها يذمكس ما يطرأ على الجماعة اللغوية من تغيرات مادية ونفسية ، في حين أن القواعد والاساليب تتسمان بالثبات والاستمرارية نسبياً ، ولذلك كان الاقتراض وسيلة مهمة من « وسائل التغير في مفردات اللغة ، بحيث تتلاءم وما يجد على الجماعة اللغوية من حاجات مادية ونفسية ، وهو عبارة عن أن تأخذ لغة مفردات من لغات أخرى لأن مدلول هذه المفردات قد أخذ من أهل هذه اللغة الأخرى ، ولم يكن موجوداً في اللغة المقترضة »^(٢٢) .

إن الاقتراض اللغوي يحدث بين الأمم أينما وجدت ، أمة متقدمة ومتطورة حضارياً وفكرياً ، وامتلكت علماً وأدباً رفيعين ورصنين فضلاً عن « لغة متقدمة متطورة عاشت مدة من عمرها في حضارة زاهرة ... لا يمكن أن تكتفي بثروتها المحلية ، كما أنه لا يمكن أن تنجو اللغات الأخرى من تأثيرها »^(٢٣) . لذلك وجدنا الدولة العربية الإسلامية إبان الفتح الإسلامي ، وانتشار العرب خارج ديارهم ، واحتكاكهم بشعوب شتى مختلفة الاجناس والالسن ، قد أثرت لغتها في لغات تلك الشعوب تأثيراً كبيراً ، ذلك لأن الانسان العربي في تلك المرحلة قد امتلك تراثاً وحضارة عريقين ، لا سيما في مجال اللغة والادب ، فقد اتسمت اللغة العربية بسعتها وتراثها وبما تمتلك من وسائل النمو والتطور من اشتقاق ومجاز ونحت وتعريب . وكان هذا التكامل اللغوي عاملاً مهماً في غزو العربية اصقاعاً شتى من العالم ودخولها أمماً عديدة ، مؤثرة في لغاتها ، وهذا ما جعل تلك اللغات تستقبل مفردات جمة من اللغة العربية ، فقد التقت العربية « بالفارسية والسريانية واليونانية والقبطية والبربرية ، ولكن جميع اسباب القوة والغلبة كانت الى جانبها ، فقد اضيف الى ما كانت عليه العربية في ذاتها من بناء قوي محكم ومادة غزيرة ... فكانت النتيجة انقراض بعض اللغات وحلول العربية محلها في البلاد التي تم استعراؤها ... كالعراق والشام ومصر ، وانزواء لغات أخرى كالبربرية في شمال افريقيا ، وانحسار الفارسية الى حدود بعيدة »^(٢٤) .

ولكن انتشار العربية وما كان من تأثيرها في اللغات الأخرى لا يعدمان تزويد العربية بمادة لغوية جديدة دخلت في ذلك العهد ، اقتضتها طبيعة الحياة حينذاك ، فالحياة الجديدة التي شهدتها المجتمع العربي الاسلامي بعد الفتح ، لم تمر من دون أن تتأثر

مختلف مظاهرها ، لا سيما الجانب اللغوي منها ، إذ أثرت بمادة لغوية جديدة استعارها العربي من تلك الاقوام . او الشعوب ، « فاللغات تلتقي بالتقاء اصحابها في السلم والحرب وبالتجارة والاتصال او الاحتلال والحكم ، في ميدان الثقافة والعلم ... او غير ذلك من ضروب الاتصال فيؤثر بعضها في بعض بوجه عام او في ميادين محدودة » ويختلف هذا التأثير قوة وضعفاً ، وفي كونه مزدوج الوجه ، أن تتأثر كل لغة بالأخرى أو منفرداً واقعاً في إحدى اللغتين على الأخرى »^(٢٥) .

وكما تأثرت اللغات التي خالطت العربية بتأثير العربية فيها ، كذلك أثرت تلك اللغات في اللغة العربية ، فحين تلتقي اللغات في مكان معين وزمن معلوم ، يكون التأثير والتأثر في الغالب متبادلين بين اللغات المتخالطة . وهذا ناموس طبيعي حدث ويحدث بين أي شعبيين أو حضارتين التقيتا بأي طريق ، ولكن مدى او مبلغ هذا التأثير او التأثير تكثر مظاهرها حين يطول أمد الاحتكاك وبعبكسه تقل وطاقتها^(٢٦) . ويبدو تأثير إحدى اللغتين في الأخرى واضحاً حينما تكون هناك لغة متفوقة باصالتها وتنوع اساليبها وتكامل مفرداتها ومصطلحاتها ، فضلاً عن مكانتها بين اللغات الأخرى ، وحينما يكون أهلها قد سبقوا العالم الى التطور الحضاري والتقني ، ويبدو هذا الامر أكثر وضوحاً حين يكون الاحتكاك مباشراً بين اللغات او الشعوب ، وخير مثال على ذلك أثر العربية في اللغات الاوربية بعد إحتكاك العرب بأهل تلك اللغات ، بعد الفتح العربي الاسلامي ، فكان العرب في القرون الوسطى « من قادة تمدن أوربة »^(٢٧) .

لقد كانت العربية جزيلة العطاء لغيرها من لغات الشعوب ، لا سيما في الجانب الذي انمازت به عن سواها ، أعني الالفاظ أو المصطلحات المعنوية المجردة ، ولكنها مقابل ذلك أخذت ما ليس من مالوفها ، والعربية في كل ذلك « أعطت أكثر مما أخذت ، أعطت الأهم والأعلى وهو الالفاظ الدالة على المشاعر والاخلاق والافكار ، ولم تحتج في هذا الميدان الى غيرها ، بل احتاج غيرها إليها »^(٢٨) .

لقد أخذت العرب من الأمم الأخرى المصطلحات والاسماء التي ولدتها الحضارة الانسانية عبر الحقب المتلاحقة في سلم التطور العلمي والحضاري والتقني الذي شهدته شعوب العالم في بقاعها المختلفة . وكان للعرب خلال تلك المراحل التاريخية المتلاحقة نصيب من الرقي العلمي والتقدم الحضاري ، لانهم لم يكونوا بدعاً بين تلك الشعوب ، فليس من أمة « امتلكت ناصية العلم ولم يشركها في الامر أمة أخرى ، ذلك ان التراث الانساني

محصول طائفة كبيرة من الأمم ... واللغات متداخلة ببعضها ، ولعل من دلالة الحيوية في اللغات أنها تستقبل من غيرها من اللغات كلما جذت الحاجة إلى هذا . ولقد حدث أن دخل في العربية مادة غريبة ... من أصول عدة فيها الإغريقي واللاتيني والفارسي»^(١٢)

إن التداخل اللغوي واقع لا ريب فيه ، وهو ظاهرة لغوية بارزة في أغلب اللغات إن لم نقل جميعها ، منذ القدم ، فقد صاهرت العربية أغلب لغات الأمم القديمة والحديثة ، وكانت معيناً فياً لا ينضب في إغارة تلك الأمم ما تحتاجه من الألفاظ الحضارية ، وكذلك كانت اللغة اللاتينية في كل العصر نبأ تراً للغات الأوروبية ، وكانت اللغة الإغريقية رافداً لا غنى عنه لللسن السلافية ، لاسيما اللغات الروسية^(١٣) . فلا مناص من تداخل اللغات ، ما دامت البشرية سائرة في ركب التقدم العلمي والحضاري ، ولكننا حين نقر بذلك ، لا يعني إقرارنا هذا بان التداخل اللغوي أمر لا بد منه لإقحام اللغة بكل غث وسمين من الألفاظ الأعجمية ، وإنما نريد أن نؤكد أن الأمم في نشوئها وارتقائها ، لا بد لها من التعامل والتفاعل مع غيرها وهذا الأمر يجعلها في تداخل مستمر مع غيرها ، فتقتضى ما هي بحاجة إليه ، لسد عوز لغوي ، وتسمية مسميات جديدة ، واستحداث ألفاظ جديدة .

إن قد نكون لا علم سابق لها بتسمية أو مصطلح جاءها من بيئة لغوية أخرى « فقد استعار العرب من الفرس واليونان الفاظاً للتعبير عن أشياء ليست في بلاد العرب ... واستعارت اللغات الأجنبية بعضاً من ألفاظنا العربية بعد أن صبغت بصبغتها وغيرت من صورتها مثل « شراب » Sirap و « الجبر » Algebra و « الكحول » Alcohol و « قهوة » Coffee ... وغير ذلك من الفاظ تعبر عن أشياء لا وجود لها في البيئات الأوروبية وفدت إليها من تلك المصادر الأصلية»^(١٤) عربية وغير عربية .

إن استعارة الألفاظ التي تمس الحاجة إليها أمر ضروري لا مندوحة منه ، ولا ضير فيه ، لا غناء اللغة ، لتكون وافية بما تتطلبه حياة أهلها من الجديد العلمي والحضاري . ومن دون ذلك تكون اللغة عرضة لعوامل الانهيار حين تواجه عوزاً لغوياً . فلا خوف على اللغة من الاقتراض حين يضع أهلها قيوداً له ويجعلون له ضوابط وشروطاً ، فإن التعامل مع الألفاظ المستعارة على وفق ما تسمح به اللغة أمر لا غبار عليه ما دامت باقية محافظة على أصولها ونظامها الثابتين اللذين عليهما منذ القدم وسيظل الاقتراض اللغوي ظاهرة « عامة في كل اللغات ، فهي جميعاً

تستورد الدخيل بحسب حاجتها ... إذ لا يكاد يعقل أن تتم عملية تبادل حضاري غير مشفوعة بتبادل لغوي في الوقت ذاته»^(١٥) .

• الدوافع إلى الاقتراض وآثاره في اللغة :

ذكرنا في مبحث سابق أن الاقتراض اللغوي أمر واقع ما دامت اللغات في تداخل واختلاط مستمرين ، وعلى هدى من هذه الحقيقة اللغوية نفسر وقوع الاقتراض إلى حد كبير بين اللغات المتجاورة أو المختلطة خاصة . ذلك أن المجاورة أو الاختلاط من الأسباب القوية المباشرة التي تجعل من الاقتراض أمراً لازماً لا مناص منه ، وتيسر حدوثه .

وثمة أسباب وعوامل عديدة لدى الشعوب والأمم ، تدفعها لأن يقتراض بعضها من بعض ، متجاورة كانت أو متباعدة . إذ يمكن أن نعزو ظاهرة الاقتراض إلى عوامل مادية واقتصادية ولغوية وثقافية واجتماعية ودينية وحضارية . ولعل الحاجة اللغوية أهم هذه الأسباب وأكثرها وضوحاً . وهو أمر بدهي لا شك فيه ، واللغة المستعيرة معذورة فيه . بيد أن الاقتراض لا يقتصر على الألفاظ والمصطلحات التي تمس الحاجة إليها ، أو التي تقتصر عليها اللغة المقترضة ، فالعربية مثلاً اقتبست الفاظاً من لغات أخرى على الرغم من وجود نظائر لهذه الألفاظ في لغة العرب ، تحمل المعنى نفسه ، أو تدل على المسمى ذاته ، مثل اليم للبحر ، والصراط للطريق ، والفردوس للجنة ، والقسطاس للميزان ، والسجنجل للمرأة ، والخيار للقاء ، والاستبرق للحبر ، والآسي للطبيب ، والدست للصحراء ، وغير ذلك . وقد خص السيوطي هذا الأمر بفصل سماه : « فصل في المعرب الذي له اسم في لغة العرب»^(١٦) .

وقد يبدو هذا السلوك اللغوي أمراً غريباً في الظاهر ، فتمة تساؤل يطرح نفسه ، وهو لم يحدث هذا بين اللغات ؟ وهنا نقول إن اللغات في حياتها وتطورها المقترنين بالاختلاط والتداخل ، لا بد أن يؤثر بعضها في بعض ولا سيما في مجال المفردات ، فتستعير هذه اللغة من تلك الفاظاً ، سواء كانت فيها حاجة إلى تلك الألفاظ أم لم تكن ، إذ أن اللغات في اختلاطها واقتراض بعضها من بعض لا تخضع لتلك النظرة العقلية المحضة ولا يحكمها ذلك المعيار المنطقي الصارم . وهذا ما يشهد به التاريخ اللغوي ويؤيده الاستعمال في القديم والحديث .

وهذا النمط من الاقتراض له أسباب عزاها بعض الباحثين إلى التقليد أحياناً ، فهو يقول : « فقد يحدث القرض من اللغة الأخرى مع وجود الفاظ في اللغة المقترضة تؤدي المعنى نفسه ، وفي هذه الحالة يكون الدافع للاقتراض تقليد أهل اللغة

وقد يكون الدافع الى هذا الاقتراض خفة اللفظ المستعار أحياناً ، وسهولة نطقه ، او بسبب من جدته وطرافته أحياناً . يقول ابو حاتم : « إن رؤية بن المجاج والفصحاء كالاعشى وغيره ربما استعاروا الكلمة من كلام المعجم للقافية لتستطرف ، ولا يصرفونه ولا يشتقون منه الافعال ، ولا يرمون بالاصلي ويستعملون المستطرف وربما أضحكوا منه » (٤٥) . والى مثل هذا ذهب الشهاب الخفاجي الذي ذكر انهم ربما استعملوه على سبيل التلطف ، وربما استعملوه هزلاً وجاء بامثلة على ذلك (٤٦) .

وقد نبه الجاحظ على هذا الضرب من الكلم الاعجمي الدخيل ، وعلل له بالاحتكاك اللغوي وخفة اللفظ المستعار ، قال : « ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بالفاظ من الفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ الخريز ، ويسمون السميطة الرزق ... وكذلك أهل الكوفة ، فانهم يسمون المسحاة بال ، ويال بالفارسية ... ويسمون القثاء خياراً ، والخيار بالفارسية ... وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها ، وغيرها احق بذلك منها » (٤٧) . وثمة اسباب اخرى ، اجتماعية وحضارية مختلفة لهذا الضرب من الاقتراض اللغوي ، ذكرها بعض المحدثين (٤٨) . نضيف اليها سبباً آخر يتمثل في البلى المعنوي الذي يلحق بعض الالفاظ العربية الاصلية ، لطول المهد بها وكثرة استعمالها ، وهو ما يجعل الناس يؤثرون غيرها عليها من الكلمات الاعجمية عند سماعها ، فتقريهم جدتها ويستعملونها عوضاً عن الالفاظ العربية . وهو ما نفسر به استعمال العرب لكلمة ياسمين الاعجمية بدلاً من السمسق او السجلاط العربيتين القديمتين . وكلمة اللوبيا بدلاً من الدجر العربية القديمة ، وكلمة السكر المعربة ، بدلاً من المبرت العربية العريقة القدم (٤٩) . وبهذا لا يكون الاقتراض اللغوي لسد حاجة لغوية حسب ، فقد يقع لهذا السبب ، وقد يقع دونما حاجة اليه كما رأينا ، ونحسب أن في هذا الاخير ترفاً لغوياً ينم عن حيوية اللغة ورحابة افقها . وهذا السلوك اللغوي لا يقدح باللغة الاصلية الحية ، ولا يضرها في شيء . وإياً كان السبب لهذا النمط من الاقتراض الذي لا تمس الحاجة اليه ، فان اللفظ العربي الاصيل احق بالذكر واولى بالاستعمال .

أما الآثار التي يتركها الاقتراض بنوعيه في اللغة ، فهي متعددة ، اهمها سد العوز اللغوي الذي تعاني منه اللغة المقترضة ، واثراؤها وتزويدها بمفردات جديدة لا عهد لها بها من قبل ، وبذلك تكون قادرة على مواجهة متطلبات الحياة المتغيرة . وهذا ما يؤديه النوع الاول من الاقتراض . واما النوع الثاني منه ،

فانه بلا ريب يؤدي الى وقوع الترانف في الفاظ من اللغة . بل لعله من اقوى الاسباب واكثرها وضوحاً لحدوث الترانف الحقيقي الذي لا يمكن انكاره . وهو ما أكدته وكشفت عنه الدراسات اللغوية الحديثة (٥٠) لموضوع الترانف . وعلى العموم يمكن القول ان الاقتراض سبب من اسباب التغير او التبديل اللغوي الذي يعرض للغات ، يمثل مظهراً من مظاهره سلباً كان او ايجاباً . فمما يلاحظ على الكلمات الدخيلة والاصيلة التي تدل على معنى واحد في العربية مثلاً ، أنها غالباً ما تكون في حالة من الصراع المستمر والمنافسة الحادة ، فقد يطغى الاعجمي الدخيل على نظيره العربي في الاستعمال لسبب قد نعرفه وقد لا نعرفه . وقد يضعف الاعجمي عن منافسة نظيره العربي في الدلالة ، فيقل استعماله او يندثر بمرور الزمن . وهكذا ينتهي الامر بغلبة احدهما وندرة استعمال الآخر ، او هجرانه تماماً . ومن الامثلة على الظاهرة الاولى الفاظ الورد والفرجس والياسمين والمسك والتوت والبانانجان والابريق والرصاص والميزاب ، فقد قضت هذه الالفاظ المعربة او كادت ، على نظائرها العربية : الحواجم والعبهر والسمسق والمشموم والفرصاد والحدج والتامورة والصرفان والمثعب (٥١) .

واما الحالة الثانية فامتثلتها كثيرة في العربية أيضاً من نحو الفاظ البوصي والجردقة والقيروان والسجنجل والموزج والقومس ، فهذه المعربات قل استعمالها وندر ، أو كادت تهجر ، على مر الزمن ، وذلك لضعفها ازاء منافسة النظائر العربية لها في الدلالة ، وهي :

السفينة والرغيف والجماعة من الخيل والمرأة والخف والامير (٥٢) .

ولا يعدو هذا الامر أن يكون عملية استبدال لفظ بأخر بسبب الخفة او الجدة ، او الطرافة ، او البلى المعنوي ، او لاسباب حضارية او اجتماعية او دينية . وبهذا يكون هذا النوع من الترانف مؤقتاً ، وليس ثابتاً إذ يحل لفظ محل آخر في نهاية المطاف ، فيهجّر العربي الاصيل او الاعجمي الدخيل في الاستعمال بمرور الزمن .

فكم من اعجميات دخيلة في اللغة ما زالت حية مشهورة ، ٩٩

وكم من عربيات اصيلة صارت منسية او مجهولة ؟ والمعكس صحيح ايضاً . وهذا مظهر واضح من مظاهر التطور اللغوي الذي يحدث بسبب من ظاهرة الاقتراض .

وايا كانت النظرة الى الالفاظ الاجنبية المقترضة ، فانه

ستصبح جزءاً من الواقع اللغوي للغة المقترضة بفعل الاستعمال وطول العهد به ، وإن كانت هذه الالفاظ في الاصل خارجة عن اللغة . وإذا كان بإمكان البحث اللغوي التقابلي أو المقارن ، الكشف عن لغتها الاصلية ، والتمييز بينها ، فإن هذا غالباً ، ما يجهله المستعمل للغة الواحدة ، ولا يعنيه في شيء فيما إذا كانت هذه اللفظة دخيلة في لغته أو أصيلة . ذلك أن الانسان ، كما يرى فندريس^(٢٢) ، لا يتكلم قطعاً في الوقت الواحد إلا لغة واحدة ، وأن وحدة اللغة المتكلمة تستقر بكل يسر وسهولة في شعور المتكلم ، ولا عبء بعد ذلك بما يكتشفه التحليل في هذه اللغة من عناصر أجنبية .

• التعريب في العصر الحديث

التعريب مصطلح مساوق لمصطلح « المعرب » إذ هما نقل لفظة أو كلمة من لغة أعجمية الى اللغة العربية ، بعد تغيير في ميزانها الصرفي بزيادة أو نقصان ، أو ابدال في بعض أحرفها لتتوافق واللسان العربي . وقد يكون التعريب رهناً بالاستعمال حسب ، فمتى استعملت العرب الكلمة الاعجمية عدت معربة حتى وإن لم يخضعوها لقواعدهم الصوتية ، ويتصرفوا بها على وفق مقاييس ابنيتهم اللغوية والصرفية .

إن التعريب مصطلح قديم كما مَرَّبْنَا ، قد تفاوت القدامى في النظرة اليه ، وفي شروط تحققه ، فكان أن اتسع مفهومه عند بعضهم ، وضاق عند آخرين . وقد اختار المحدثون هذا المصطلح ليدلوا به على ما عناه القدامى وعلى معنى جديد آخر ، فإن المحدثين يريدون به حركة لغوية واسعة النطاق ، تتمثل في تعريب الالفاظ والمصطلحات الاعجمية في العلوم والفنون والمخترعات الحديثة وذلك بايجاد الكلمات العربية التي تقابلها في الدلالة .

ولعل هذا المفهوم هو بيت القصيد في حركة التعريب التي نشهدها في العصر الحديث . يقول الدكتور أحمد مطلوب مثلاً في حذنه لمصطلح التعريب إنه « نقل الكلمة الاعجمية بما يتفق وابنية العربية وصيغها ، سواء وقع فيها تغيير أم لم يقع . وقد يسمى اقتباساً لأن المعرب بمعناه الجديد وضع مصطلح عربي غير مقتبس أو مقترض من لغات أخرى »^(٢٣) . وواضح من هذا أنهم يعنون بالتعريب استبدال اللفظ الاعجمي بلفظ عربي ، ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً ، حرصاً منهم على سلامة اللغة العربية ، والدعوة الى تنقيتها واثبات قدرتها على الايفاء بمتطلبات الحياة الجديدة ، ومواكبتها للتطور الحضاري . ويتبين جلياً من هذا أن المفهوم الحديث للتعريب واسع جداً ، حتى صار

يصدق على ترجمة ونقل العلوم والفنون والمعارف من اللغات الاجنبية الى العربية ، ناهيك عن ترجمة الالفاظ والمصطلحات الى العربية على سبيل ايجاد ما يناظرها في المعنى من الكلم العربي الفصيح . ونحسب ان هذا التوسع أو هذا المعنى الجديد الذي طرأ على مصطلح التعريب لدى المحدثين ، قد جاء تعبيراً عن مشكلة لغوية يعاني منها اهل العربية اليوم ، ازاء المصطلحات والمفردات الاجنبية الدخيلة ، وازاء العلوم والفنون والمعارف التي تدرس في الوطن العربي بلغات أعجمية .

نقول لقد اهتمت الامة بمسألة التعريب منذ بداية هذا القرن ، وصارت الاقطار العربية تشهد حركة لغوية دوؤب في هذا الشأن بدافع من الحس القومي وبسبب من اليقظة القومية التي يحياها العرب ، فقد أطل العصر الحديث على هذه الامة بتقنياته ومخترعاته العلمية والفنية والحضارية الكثيرة ، فواجه العرب سيلاً متدفقاً من المصطلحات والالفاظ العلمية والحضارية الاعجمية التي ما انفكت تنهال دون انقطاع .

ولوترك هذا الكم الهائل من المصطلحات يدخل متن العربية بحجة المعاصرة وقبول ما هو جديد ، لطفى عليها وعرضها لاطار جملة لا تحمد عقباه ، ولصارت خليطاً من الرطانة ، مهددة بالضياع والاندثار بمرور الزمن . ومن هنا ظهرت الحاجة الى ضرورة تعريب المصطلحات والالفاظ العلمية والتقنية والحضارية الجديدة التي جاءت بها حركة التطور العلمي والحضاري في هذا القرن . وتلك دعوة الفياثي على هذه اللغة الكريمة ، الحريصين عليها ، الذائدين عنها .

وهو موقف لغوي سليم سديد ، فليس من الوجاهة والصواب في شيء ، أن نترك الحبل على الغارب ونقف متفرجين عرلاً ازاء هذا الامر الخطير الشأن الذي يندر بطوفان لغوي كبير لا عاصم منه .

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نقرر أن التعريب بمعناه الحديث ، سبيل مهم وفعال للحفاظ على روح العربية ، والحرص على أصالتها ، وديمومة بقائها ، من غير أن تعلق بها هجنة اعجمية غازية . وهو ليس تجربة لغوية جديدة تواجه الانسان العربي ، بل هو حركة قديمة عرفها العرب منذ عصور بعيدة ، كما أشرنا الى ذلك آنفاً ، لا سيما بعد أن اتصل العربي بالحضارات العالمية إبان ازدهار الخلافة العربية الاسلامية . بيد أن الحاجة الى التعريب في العصر الحديث ، ليست هي كالحاجة اليه في القديم ، بسبب من تقدم الامم الاخرى في ميدان العلوم والفنون والمعارف ، وكثرة المخترعات الحديثة ، وهو ما أدى الى وفرة في

المصطلحات والالفاظ العلمية الاجنبية وشيوعها على السنة العرب في هذا العصر .

ولقد ادرك المعنيون من حماة العربية هذا الامر ، فنشطت حركة التعريب في العصر الحديث منذ بداية هذا القرن ، وشهدت جهاداً لغوياً متعدد الوجة ، قامت به الجامعات اللغوية والجامعات ومؤسسات اخرى شكلت لهذا الغرض ، فضلاً عن جهود فردية اخرى .

وقد اجتهد اصحاب هذه الحركة في تعريب المصطلحات الاعجمية وفي ترجمة العلوم التي كتبت بلغات اجنبية ، لكي ينفوا عن العربية اقوال اولئك الذين لا يرون فيها القدرة والوفاء بمتطلبات الحياة الجديدة ، أو الذين يتهمونها بالقصور وعدم استطاعتها التعبير عن المصطلحات العلمية والفنية المعاصرة . وهكذا جاءت حركة التعريب رد فعل قوي لدحض مثل هذه المزاعم الواهية ، وحقت نجاحاً مطرداً في هذا الشأن : ولو لم تكن لوجب أن تكون ، فانها ضرورة لغوية قومية ، ومهمة سامية ، نبيلة الاهداف ، رفيعة المقاصد . وازاء هذه الدعوات المشبوهة والمفرضة انبرت اقلام المدافعين عن حمى العربية تبحت عن كل ما يسد عوز ابناء الامة في مختلف المصطلحات والعلوم ، تعريباً وترجمة ، فكانت كتب القدماء لا سيما المعجمات منها معينهم الثمر في هذا الشأن .

إن الطور اللغوي الجديد الذي واجهته العربية في هذا العصر ، أملى على علماء العربية لأن يشمروا عن سواعد الجد ، بغية الحفاظ على نضارة العربية والحرص على سلامتها واثبات قدرتها الفائقة .

فاتبع هؤلاء طرائق ناجحة في تعريب المصطلحات الاعجمية ، ولم يبتعدوا كثيراً عن مسايير القدماء فيما سنوه من قواعد وضوابط وما وضعوه من شروط لتعريب المصطلحات . وقد اتبعوا اسلوبين في هذا الشأن : « الاول تهئية المصطلح العلمي باخذه بجملة من اللغة الاجنبية واجراء تغيير طفيف عليه ، ينصرف الى الاصوات ومعالجتها علاجاً يهيء من المادة الاجنبية شيئاً على غرار الابنية العربية والاصوات العربية »^(٤٥) . وهذا هو ديدن القدماء في تعريب المصطلحات الاعجمية ، وقد سار الخلف على ما رسمه السلف .

اما الثاني فيتمثل في إتجاه المهتمين بالتعريب « الى العربية فيختار من موادها مادة على اية حياة كانت لتؤدي المعنى الجديد ، أو قل المصطلح العلمي »^(٤٦) . لقد وجد المحدثون كما كان الشأن عند القدماء ، أن في اللغة العربية ما يسد الحاجة أو

العوز دون اللجوء الى اصطناع المصطلح الاعجمي ، الا عند الضرورة القصوى ، فلا يفتح باب الاقتراض أمام المصطلح الاعجمي على مصراعيه ، فلماذا تقتضى أمة من أمة اخرى وعندها ما يسد الحاجة ، فان اللفظ القومي أولى من غيره ان كان متيسراً مانوساً ، حتى لو كان غريباً ، ذلك أن الغريب حينما يشيع وينتشر بين العامة والخاصة يصبح اكثر قبولاً من مقابلة الاعجمي ، فليس من مصلحة هذه اللغة الحية الثرية أن تقبل الفث والسمن من الالفاظ غير العربية ، عن حاجة أو دونها حاجة .

لقد بات التعريب في هذا العصر بمفهومه القومي الواسع كسراً لطوق التخلف السياسي وتلك التبعية التي ربطت بعض اقطار الوطن العربي بعجلة الغرب أو الشرق سياسياً وتقنياً واقتصادياً . والتعريب يعد عاملاً جوهرياً من عوامل توحيد الامة العربية في هذا العصر العصيب ، ما دامت لفتنا قدرة بل متمكنة من مدنا بما نحتاج اليه من الالفاظ والمصطلحات بطرائقها المعروفة في توليد المفردات على سبيل الاشتقاق والنحت والمجاز والنقل ، والتركيب ، والارتجال . ولنا في اسلافنا العظام الانموذج الامثل ، والقذوة الحسنة في هذا الباب فهذا الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) حين اهتم الى أوزان الشعر العربي من خلال كشفه عن البحور الشعرية المعروفة ، وجد حاجة في نفسه الى مجموعة من المصطلحات الفنية لتسمية تراكييب اجزاء البيت الشعري ، ولكنه لم يستمر تلك المصطلحات من لغة اخرى ، وانما اتخذ « لذلك اسما من الخيمة واجزاؤها والناقاة وما يتعلق بها ، فسمى الحرفين مثلاً (السبب) وهو لغة الحبل ، وسمى الاحرف الثلاثة (الوند) ، وسمى الجزء الاخير من الشطر الاول من البيت (العروض) ... وقد بقيت تلك المصطلحات مستعملة حتى يومنا كما يعرفها أهل الاختصاص »^(٤٧) .

ان الذي نواجهه اليوم من هذا الكلم الاعجمي الدخيل ، قد واجهه اسلافنا قديماً ، ولم يطلقوا له العنان لأن يستفحل في الاستعمال ، ويطفى على العربي الاصيل ، فانهم كانوا حريصين كل الحرص على اللغة وسلامتها ، فلم يتهاونوا فيه البتة ، ولم يسمحوا للدخيل لان يستقر في قاموسهم اللغوي إلا لحاجة ضرورية ، وكانوا في تنقيح ويحث دائمين لتمييز العربي الاصيل من الاعجمي الدخيل والتنبيه عليهما . ويكفي ان نشير هنا الى ما في كتب اللغة والمعجمات من اشارات ونصوص كثيرة بشأن ما هو عربي وما هو اعجمي يقصد التفريق بينهما .

ونحن اليوم لا حاجة بنا الى اللفظ الدخيل ، إن توافر

ما يقابله في المعنى من قريب أو بعيد ، او لضرب من التجوز الذي تبيحه اللغة لصلة ما .

لقد نشطت حركة التعريب في الوطن العربي نشاطاً ملحوظاً ، لا سيما في الربع الاخير من هذا القرن ، وهي الآن في وضع افضل مما كانت عليه على الرغم من الصعوبات التي تعترض مسيرتها . فالتعريب حقاً ليس بالامر اليسير ، السهل المنال ، فانه تغيير لغوي كبير يحتاج الى مزيد من الوقت والجهد والوعي والثقافة . ونجاحه يتوقف على الاستعمال الى حد كبير ، فما قيمة المعربات المقترحة للالفاظ والمصطلحات الاجنبية الغازية ، ان لم يجر بها الاستعمال فعلاً في الحديث والكتابة ، فان اللغة انما تحيا بالاستعمال والشيوع .

وقد تمخضت حركة التعريب في السنوات الاخيرة عن آثار مجدية تبشر بخير عميم ، وتشجع على المضي في هذه السبل ، فكان من ثمراتها الطيبة أن تراجعت أو اختفت الفاظ ومصطلحات اعجمية دخيلة ، أو كادت تنزوي وتهجر ، بعد أن حلت محلها الفاظ ومصطلحات عربية اصيلة من نحو السيارة بدلاً من (تورن اوياص) وهاتف بدلاً من (تلفون) ومذياع بدلاً من (راديو) ومدفأة بدلاً من (صوبة اوهيتر) وقطار بدلاً من (ريل) ، وإشارة ضوئية بدلاً من (ترفك لايت) ، وحلقة دراسية بدلاً من (سيمينار) وصك بدلاً من (شيك) ، ومثل هذا كثير في لغتنا المعاصرة .

ولا يمكن أن ننكر ما للدوافع القومية من أثر قوي في نشاط حركة التعريب في الآونة الاخيرة ، فان دعاة الوحدة العربية يجدون في تعريب المعارف والعلوم ، لا سيما في المؤسسات التربوية والتعليمية ، عاملاً مهماً من عوامل قيام الوحدة العربية التي ما انفكت عراها قوية على الرغم من امتداد مخالف التجزئة الى كل بقاع الوطن العربي . ولقد اسهمت مؤسسات عدة في عملية التعريب على مستوى الوطن العربي ، وكان للمجامع اللغوية اليد الطولى في ذلك ، إذ رفدت المختصين من ارباب العلوم والفنون المختلفة بما هم في حاجة اليه من المصطلحات المعربة فضلاً عن الجامعات والمؤسسات الاخرى .

إن عملية التعريب في مختلف مجالات الحياة ، هي عملية مهمة وواجب قومي حضاري وثقافي ، تنم عن وعي لغوي أصيل وتعبر عن مسؤولية لغوية كبيرة تجاه لغة القرآن الكريم ولغة الحضارة والتاريخ والتراث ، ويجب ان تتحمل الاقطار العربية كافة اعباءها وتتطلع بالقيام بها على خير قيام في سياستها القومية والتربوية والتعليمية ، إذ إن أي تعثر او ابطاء في هذه الحركة ،

يعني خيبة أمل لغوية للعرب ، ونكسة مريرة في توحيدهم وجمع شملهم ، كما يعني نكسة حضارية وثقافية لهم ، وطعنة نجلاء في روح العربية ، وتشكيك في قدرتها ، والايهام بقصورها وتخلفها . وهي في حقيقة الامر ليست كذلك أبداً .

وإذا أردنا تعزيز عملية التعريب وانجاحها فلا بد لنا من الاعداد اللغوي القومي السليم لضرورتها واهميتها في البناء اللغوي لابتناء هذا الجيل ، لا سيما الذين سيواصلون دراساتهم في الجامعات في مراحلها الاولى والعليا ، فالعلاقة بين تعريب التعليم والاهتمام يرفع مستوى الطالب اللغوي ، علاقة مترابطة ، محصلتها النهائية تخريج مربين ملمين بلغتهم القومية المأما يجعلهم يبتعدون عن النظر الى المصطلح الاجنبي الذي لا يجدي نفعاً حين يتوافر ما يغني عنه في اللغة القومية ، بل ان استعمال المصطلح الاعجمي يقدح بشخصية اللغة القومية وهويتها وشخصية ابنائها .

إن اهمية التعريب وآثاره الحميدة تقتضي في هذا العصر أن تتضافر جهود المختصين بعلوم العربية ومعارفها ، وأن تتوحد جهودهم لايجاد أفضل الطرائق والسبل في الكشف عن المصطلحات المعربة . وتقتضي هذه العملية أيضاً توحيد المناهج والمعايير التي يعتمد عليها القائمون بالتعريب ، فأننا نرى المعربين اليوم يختلفون في اساليب وطرائق التعريب ، وفي حكمهم على هذا المصطلح او ذاك ، فما يأخذ به هذا الباحث المعرب أو ذاك قد يرفضه باحث آخر ، وما يقرره مجمع لغوي بشأن تعريب مصطلح أعجمي ، قد لا يرتضيه مجمع لغوي آخر . ومن هنا تبرز الحاجة الماسة الى ضرورة توحيد مناهج التعريب والاتفاق على معايير محددة واضحة والتخلي عن النزعات الفردية والاقليمية والاجتهادات الشخصية ، ففي هذا مدعاة لضياع الجهود وتبعثرها ، واعاقة لعملية التعريب التي يجب ان تنهض بها مؤسسة او هيئة قومية مركزية على نطاق الوطن العربي كله دون استثناء . والجامعة العربية هي أولى من غيرها بهذه المهمة الجليلة الشأن . وقد كانت هناك محاولات في هذه السبيل ، ولكنها بقيت متعثرة ، ولم يكتب لها الاستمرار حتى تحقق الاهداف المتوخاة منها ، فسرعان ما عصفت بها الخلافات العربية والعوامل الاقتصادية ، فشلتها عن العمل ، وذهبت تلك الجهود أدراج الرياح أو كادت .

وئمة أمر آخر يتعلق بحركة التعريب الحديثة ، وهو بقاء القرارات التي تتصل بتعريب الالفاظ والمصطلحات الاعجمية ، حبيسة المجامع العلمية والمراكز التي صدرت عنها ، دون العمل

جادة، واصلاح جذري، وذلك يكون بنشر هذه المعربات المستحدثة على اوسع نطاق، والدعوة الى استعمالها باصدار تشريع خاص ينص على ضرورة الالتزام بذلك قانوناً. ويمكن أن تسهم وسائل الاعلام المختلفة اسهاماً ذا بال في هذا الشأن.

على ذيوعها ونشرها، والالتزام بالاخذ بها في الحديث والكتابة، إلا على نطاق ضيق، فمعظم هذه القرارات اللغوية تولد ميتة لا جدوى منها، بسبب من الجهل بها او عدم تطبيقها. وهذه ثغرة كبيرة في عملية التعريب تحتاج الى معالجة.

الهوامش

- ١ - من اسرار اللغة : ١١٧ .
- ٢ - الكتاب : ٢ / ٣٤٢ .
- ٣ - الصحاح : مادة عرب : ١ / ١٧٩ وينظر اللسان مادة عرب .
- ٤ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : ٢٣ .
- ٥ - ينظر المعرب للجواليقي : ٣ والمزهر للسيوطي : ١ / ٢٦٩ .
- وشفاء الغليل : ٢٢ .
- ٦ - كلام العرب : ٧٢ والترانف في اللغة : ١٦٤ .
- ٧ - المزهر : ١ / ٢٦٩ .
- ٨ - شفاء الغليل : ٢٢ والمعرب : ٣ وينظر من اسرار اللغة : ١٢٥ .
- ٩ - المزهر : ١ / ٣٠٤ .
- ١٠ - شفاء الغليل : ٢٣ .
- ١١ - ينظر الوجيز في اللغة : ٤٠٠ وما بعدها ، تاريخ آداب العرب : ١ / ٢٠٢ وما بعدها .
- ١٢ - اللغة العربية كائن حي : ٩٨ .
- ١٣ - المصدر السابق : ٨٨ .
- ١٤ - تاريخ آداب اللغة العربية : ١ / ٢٠٢ .
- ١٥ - الاشتقاق والتعريب : ٦٨ .
- ١٦ - مقدمة في تاريخ العربية : ٧٣ .
- ١٧ - كلام العرب : ٧٢ .
- ١٨ - المصدر السابق : ٧٢ - ٧٣ .
- ١٩ - ضحى الاسلام : ٢ / ٢٤٩ .
- ٢٠ - دلالة الانفاظ : ٢٤٨ - ٢٤٩ .
- ٢١ - حركة التعريب في العراق : ٢٣ .
- ٢٢ - فقه اللغة : ١٩٣ .
- ٢٣ - فقه اللغة وخصائص العربية : ١٤ .
- ٢٤ - كلام العرب : ٥٨ .
- ٢٥ - السيرة النبوية : ٢ / ٢٢ وينظر المحبّر : ٢٦٣ و ٣٠٦ وما بعدها .
- ٢٦ - الفصيح : ١٣٣ - ١٣٤ (من كلام المحقق) .
- ٢٧ - كلام العرب : ٥٧ .
- ٢٨ - اللغة : ٣٤٩ .
- ٢٩ - نصوص في فقه اللغة العربية : ٥ .
- ٣٠ - ينظر مثلاً : اللغة العربية كائن حي : ٣٣ وما بعدها ، ودلالة
- الالفاظ : ١٤٩ ، والتطور النحوي للغة العربية : ٢١١ ، وغرائب اللغة العربية : ١٩ .
- ٣١ - اللغة والمجتمع ، رأي ومنهج : ١٠٧ - ١٠٨ .
- ٣٢ - محاضرات في اللغة : ٢٠٠ .
- ٣٣ - كلام العرب : ٧٣ .
- ٣٤ - فقه اللغة وخصائص العربية : ٢٩٤ .
- ٣٥ - المصدر السابق : ٢٩٢ .
- ٣٦ - علم اللغة : ٢٣٤ - ٢٣٥ .
- ٣٧ - غرائب اللغة العربية : ١٢٨ .
- ٣٨ - فقه اللغة وخصائص العربية : ٢٩٧ .
- ٣٩ - فقه اللغة المقارن : ١٦٤ - ١٦٥ .
- ٤٠ - الوجيز في فقه اللغة : ٤٠١ .
- ٤١ - دلالة الالفاظ : ١٤٩ .
- ٤٢ - كلام العرب : ٦٣ .
- ٤٣ - المزهر : ١ / ٢٨٣ .
- ٤٤ - محاضرات في اللغة : ٢٠٠ .
- ٤٥ - المعرب : ٩ - ١٠ .
- ٤٦ - شفاء الغليل : ٢٧ .
- ٤٧ - البيان والتبيين : ١ / ١٨ - ٢٠ .
- ٤٨ - ينظر فقه اللغة ، وافي : ٢٠٣ ، في اللهجات العربية : ١٧٠ ، من اسرار اللغة : ١١٧ - ١١٩ ، ١٢٢ نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها : ٨١ .
- ٤٩ - ينظر المزهر : ١ / ٢٨٣ - ٢٨٤ .
- ٥٠ - الترانف في اللغة : ١٦٧ وما بعدها .
- ٥١ - المصدر السابق : ١٧٩ .
- ٥٢ - ينظر فقه اللغة : ٢٠٢ - ٢٠٣ ، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها : ٨٦ - ٩٨ ، والترانف في اللغة : ١٧٩ .
- ٥٣ - اللغة : ٣٥٨ .
- ٥٤ - حركة التعريب في العراق : ٢٣ .
- ٥٥ - مقدمة في تاريخ العربية : ٧٧ .
- ٥٦ - المصدر السابق : ٧٧ .
- ٥٧ - مجلة الضاد : الجزء الأول ، ١٩٨٨ ، ص ١٧ .

- ١ - من اسرار اللغة : ١١٧ .
- ٢ - الكتاب : ٢ / ٣٤٢ .
- ٣ - الصحاح : مادة عرب : ١ / ١٧٩ وينظر اللسان مادة عرب .
- ٤ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : ٢٣ .
- ٥ - ينظر المعرب للجواليقي : ٣ والمزهر للسيوطي : ١ / ٢٦٩ .
- وشفاء الغليل : ٢٢ .
- ٦ - كلام العرب : ٧٢ والترانف في اللغة : ١٦٤ .
- ٧ - المزهر : ١ / ٢٦٩ .
- ٨ - شفاء الغليل : ٢٢ والمعرب : ٣ وينظر من اسرار اللغة : ١٢٥ .
- ٩ - المزهر : ١ / ٣٠٤ .
- ١٠ - شفاء الغليل : ٢٣ .
- ١١ - ينظر الوجيز في اللغة : ٤٠٠ وما بعدها ، تاريخ آداب العرب : ١ / ٢٠٢ وما بعدها .
- ١٢ - اللغة العربية كائن حي : ٩٨ .
- ١٣ - المصدر السابق : ٨٨ .
- ١٤ - تاريخ آداب اللغة العربية : ١ / ٢٠٢ .
- ١٥ - الاشتقاق والتعريب : ٦٨ .
- ١٦ - مقدمة في تاريخ العربية : ٧٣ .
- ١٧ - كلام العرب : ٧٢ .
- ١٨ - المصدر السابق : ٧٢ - ٧٣ .
- ١٩ - ضحى الاسلام : ٢ / ٢٤٩ .
- ٢٠ - دلالة الانفاظ : ٢٤٨ - ٢٤٩ .
- ٢١ - حركة التعريب في العراق : ٢٣ .
- ٢٢ - فقه اللغة : ١٩٣ .
- ٢٣ - فقه اللغة وخصائص العربية : ١٤ .
- ٢٤ - كلام العرب : ٥٨ .
- ٢٥ - السيرة النبوية : ٢ / ٢٢ وينظر المحبّر : ٢٦٣ و ٣٠٦ وما بعدها .
- ٢٦ - الفصيح : ١٣٣ - ١٣٤ (من كلام المحقق) .
- ٢٧ - كلام العرب : ٥٧ .
- ٢٨ - اللغة : ٣٤٩ .
- ٢٩ - نصوص في فقه اللغة العربية : ٥ .
- ٣٠ - ينظر مثلاً : اللغة العربية كائن حي : ٣٣ وما بعدها ، ودلالة

مصادر البحث

١. الاشتقاق والتعريب : عبد القادر المغربي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / ١٩٤٧ .
- ٢ - البيان والتبيين : لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تحقيق عبد السلام محمد هارون / ط ٢ / مطبعة دار التأليف / مصر / ١٩٦٨ .
- ٣ - تاريخ آداب العرب : مصطفى صائق الرافعي : الاستقامة / ط ٣ / القاهرة / ١٩٥٣ .
- ٤ - تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان / ط ٢ / مكتبة الحياة / بيروت / ١٩٧٨ .
- ٥ - الترادف في اللغة : حاكم مالك الزبيدي / دار الحرية للطباعة / بغداد / ١٩٨٠ .
- ٦ - التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر / اخرجه د. رمضان عبد التواب / الخانجي / القاهرة / ١٩٨٢ .
- ٧ - حركة التعريب في العراق : د. احمد مطلوب / معهد البحوث والدراسات العربية / ١٩٨٣ .
- ٨ - دلالة الالفاظ : د. ابراهيم أنيس / مطبعة البيان العربي / ط ٢ / مصر / ١٩٦٣ .
٩. السيرة النبوية : لابي محمد بن عبد الملك بن هشام / تحقيق مصطفى السقا / مطابع البابي الحلبي وشركاه / ١٩٣٦ .
١٠. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : لشهاب الدين احمد الخفاجي / تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي / المطبعة المنيرية بالازهر / ط ١ / القاهرة / ١٩٥٢ .
١١. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لاسماعيل بن حماد الجوهري / تحقيق د. احمد عبد الغفور عطار / دار الكتاب العربي / القاهرة / ١٩٥٦ .
١٢. ضحى الاسلام : احمد امين / دار الكتاب العربي / ط ١٠ / بيروت / د. ت .
١٣. علم اللغة : د. علي عبد الواحد وافي / مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب / ط ٧ / مصر / ١٩٧٢ .
١٤. غرائب اللغة العربية : روفائيل نخلة اليسوعي / المطبعة الكاثوليكية / ط ٢ / بيروت / ١٩٦٠ .
١٥. الفصح : لابي العباس ثعلب / تحقيق عاطف مذكور / دار المعارف / مصر / ١٩٨٤ .
١٦. فقه اللغة : د. علي عبد الواحد وافي / دار النهضة / مصر / د. ت .
١٧. فقه اللغة المقارن : د. ابراهيم السامرائي / دار العلم للملايين / بيروت / ١٩٦٨ .
١٨. فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك / ط ٢ / ١٩٦٤ .
١٩. في اللهجات العربية : د. ابراهيم أنيس / ط ٢ / مطبعة لجنة البيان العربي / القاهرة / ١٩٥٢ .
٢٠. الكتاب : لابي بشر عمرو وسيبويه / ط ١ / الاميرية / بولاق / ١٣١٦ هـ .
٢١. كلام العرب من قضايا اللغة العربية : د. حسن ظاظا / مطبعة المصري / ١٩٧١ .
٢٢. لسان العرب : لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري / دار صادر / ودار بيروت / بيروت / ١٩٥٥ .
٢٣. اللغة العربية كائن حي : جرجي زيدان / دار الهلال / د. ت. و مكان طبع .
٢٤. اللغة : فنديس / تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص / مطبعة لجنة البيان العربي / القاهرة / ١٩٥٠ .
٢٥. اللغة والمجتمع ، رأي ومنهج : د. محمود العراقي / المطبعة الاهلية / بنغازي / ١٩٥٨ .
٢٦. مجلة الضاد البغدادية ج ١ / ١٩٨٨ .
٢٧. محاضرات في اللغة : عبد الرحمن ايوب / المعارف / بغداد / ١٩٦٦ .
٢٨. المحيّر : لابي جعفر محمد بن حبيب بن اميه بن عمرو البغدادي / دار المعارف العثمانية / حيدر آباد / ١٩٤٢ .
٢٩. المزهري في علوم اللغة وانواعها : لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي / مطابع البابي الحلبي وشركاه / ط ٢ / مصر .
٣٠. المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم : لابي منصور الجواليقي / تحقيق احمد محمد شاكر / دار الكتب المصرية / القاهرة / ١٩٦٩ .
٣١. مقدمة في تاريخ العربية : د. ابراهيم السامرائي / دار الحرية للطباعة / بغداد / ١٩٧٩ .
٣٢. من اسرار اللغة العربية : د. ابراهيم أنيس / ط ٥ / مكتبة الناشر الانجلو المصرية / ١٩٧٥ .
٣٣. نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاؤها : للاب انستاس ماري الكرملي / المطبعة المصرية / القاهرة / ١٩٣٨ .
٣٤. نصوص في فقه العربية : سيد يعقوب بكر / دار النهضة العربية / بيروت / ١٩٧١ .
٣٥. الوجيز في فقه اللغة : محمد الانطاكي / بدون مكان الطبع وسنته .

شعر أبي تمام في دراسات المحدثين

د. نبيل محمد سلمان
كلية الآداب / جامعة بغداد

لا تشقني مساء الفلام فأنني
صَبُّ قَدْ اسْتَعْذِبْتُ مَاءَ بَكَائِي^(١)
لأنه لا يمكن ، في رأيه ، أن يعبر عن الشيء المر بالماء
المذب ولذا وسم أبا تمام بالاسراف وصفافة الذوق والصنعة
الباطلة^(٢).

أما التجنيس فلم يكن عند الدكتور مندور سوى عبث لفظي
يعتمد على الاشتقاق ولا يستند الى غير التداعي الشكلي ، او
لعب بالمعاني ومهارة في استخدام مفردات اللغة المتحدة في
اللفظ المختلفة في المعنى : والطباق مجرد مقابلات بين
المعاني ، ورد اعجاز الكلام على ما تقدمها هو الآخر حلية لفظية
ولباقة في طرق الاداء^(٣) . ولذلك ذهب الى ان نزعة أبي تمام في
التجديد في الصياغة قد جرت الى التكلف والاحالة والاسراف
والاغراب في المعاني المألوفة^(٤).

أما انيس المقدسي فقد عدَّ ظاهرة التائق البديعي من أهم
سمات أبي تمام وتتنجلى في الاستعارة والطباق والجناس ،
ويكشف لنا وصفه ظاهرة البديع بالتائق انه لا يزال يتصورها على
انها لا تخرج عن باب الزينة والحلية للمعنى . وبعد ان تحدث عن
مآخذ النقاد على شعر أبي تمام قال : « والذي يطالع ديوانه
تحريماً لهذه التهم يتضح له ان أكثر ما ذكره حق وان أبا تمام كثيراً
ما يأتي بالاستعارة او الكناية دون ان يراعي التناسب بين
الحقيقة والمجاز »^(٥) ، وضرب لذلك عدة أمثلة وصفها بالفساد
وشدة التعسف والاسراف في الصناعة .

أما الدكتور نجيب محمد البهيتي فيرى ان الاستعارة
والتشبيه والمجاز وسائل للاداء المنمق التي ادى غلو أبي تمام
في طلبها الى وقوعه في كثير من الاضطراب حينما جعل صوره
مكونة من اجزاء مختلفة لا تناسق بينها حتى تكاد تذهب مثلاً في
شناعتها^(٦).

إذا كانت السلاسة واللين والرقّة والعذوبة من شروط فصاحة
الشعر فقد لمس النقاد القدامى في شعر أبي تمام^(٧) شيئاً غير
قليل من الوعورة والحوشية والثقل وغرابة اللفظ . وعابوا اسرافه
في صنعة الصياغة ومبالغته حتى عدّه المرزوقي (٤٢١ هـ)
خارجاً عن عمود الشعر .

وإذا حاولنا ان نتلمس مواقف النقاد المحدثين من شعر —
أبي تمام وجدنا ان أكثرها لا يكاد يخرج عن احكام القدماء ، ذلك
انهم خضعوا للمؤثرات والمقولات التي قصرت بالقدماء عن
استيعاب اللغة الشعرية عنده . فظلت بحوثه محصورة في دائرة
ضيقة تهيم عليها المعايير البلاغية والنقدية التي هيمنت على
دراسات القدماء للشعر .

فالدكتور طه حسين يرى ان أبا تمام كان شديد الحرص على
البديع والمحسنات اللفظية والمعنوية ، وكان شديد الحرص على
جمال الصنعة الفنية في .. الشعر ، يتتبع الاستعارة ويسرف في
تتبعها ويجد ما استطاع في طلب الجناس والمطابقة وما الى هذه
الانواع من المحسنات البديعية^(٨).

ورفض عباس محمود العقاد ان يعد أبا تمام شاعراً إنسانياً
ممتازاً لأن المقياس الانساني الصحيح للشاعرية الممتازة لديه
هو ان يكون للشاعر عالم ، وليس ابو تمام بصاحب عالم ولكنه
صاحب إجادات يجيد في هذا المعنى او ذاك من دون ان يعرض لك
العالم في حالة من حالاته^(٩).

واخضع الدكتور محمد مندور الاستعارة للمقولات العقلية
مطالباً بما طالب به النقاد الاوائل ألا يكون هناك تنافر بين
الشيء المستعار والشيء المستعار له ولذا رفض ان يتقبل
استعارة أبي تمام « ماء الملام » في قوله :

وذكر الدكتور عمر فروخ ان ابا تمام هو أول من اوجد طريقة الشاميين ، وكان اول من حلى الشعر العربي بالصناعة اللفظية المقصودة^(١١) . وكان يتكلف التجنيس والمطابقة ويصوغ فيها المعاني البعيدة فتقل على افهام العامة او تكاد وتنفر أحياناً من الذوق^(١٢) . وعندما تحدث عن الوصف عند ابي تمام قال إنه يثقل وصفه بقيود صناعية فيفقد صدقه وجاذبيته وربما يتخيل أحياناً فتاتي صوره من دون حقيقة ، ليس فيها سوى ما أبدعه من التزييش بالجناس والطباق ويعيد التشبيه وقريب الاستعارة^(١٣) . وتحدث عبد العزيز سيد الامل عن دلائل عبقرية ابي تمام وقال ان من اهمها انه « البس المعاني القديمة او المبتكرة أنوياً من الالفاظ لم تكن لها من قبل »^(١٤) كما تحدث عن ظاهرة الاستدلال في شعره ، فقال : « وأبو تمام يراوح في علله بين الأدلة الخطابية والتاريخية والمنطقية فيأتي بها تارة تؤيد كلامه إذ يقرأ بالعقل ، وتارة يوهم بها ليؤيد الكلام ويثبت صدق القول »^(١٥) .

ورفض الدكتور شوقي ضيف مصطلح (البديع) لانه ينطوي على فكرة الجدة والابداع ولا يعطي معنى الزخرف والزينة وآثر كلمة (التصنيع) لانها تدل بمعناها على التائق والتتميق^(١٦) ، وفي ضوء ذلك تحدث عن الخصائص الزخرفية في شعر أبي تمام تلك الزخارف التي تتضح في روعة تصاويره وكثرة بديعه ، ويصف عمل ابي تمام بأنه يغمس البيت في لون كالجناس ثم يعود فيغمسه في لون اخر كالتمثيل ثم يعود مرة اخرى فيغمسه في الطباق او المشاركة ولا يكتفي بذلك ، بل نراه يعود فيغمسه في لون قاتم بل لون زاغ من الفلسفة والثقافة فاذا البيت يختال في ألوان واصباغ ثرية متنوعة اختيال الطاووس في ألوانه واصباغه ، ولذلك وصف ابا تمام بأنه شاعر الرسم والزخرف والتتميق^(١٧) . وتحدث الدكتور محمود الريداوي عن الفن والصناعة في مذهب أبي تمام مؤكداً انه اسرف في الاستعارة والتعميق فيها^(١٨) . اما الجناس فهو ضرب من التائق والزخرفة ، وهو على نوعين نوع حسن وهو قليل قرطه النقاد واثنوا على صانعه ، ونوع سيء وهو كثير جعل النقاد يتلبونه لما استقبح منه لدرجة انهم كادوا يكفرون بالقليل الذي حسن منه^(١٩) . وتحدث عن الطباق عند ابي تمام فذكر انه قد اسرف فيه اسرافاً لم يسرفه شاعر قبله ولم يكن موفقاً فيه كله^(٢٠) .

ولا تخرج دراسات محمد الحسيني^(٢١) والدكتور جميل سلطان^(٢٢) ومحمد طاهر الجبلاوي^(٢٣) والدكتور محمد بركات حمدي ابو علي^(٢٤) عن تصور من سبقهم من القدماء والمحدثين .

وانفردت دراسة استاذنا الدكتور علي الزبيدي في الدعوة الى نشر ديوان ابي تمام وتحقيقه . وعلى الرغم من الجهود التي بذلت في تحقيق شروح الديوان ونشرها « لكن الحاجة ما زالت قائمة لنشر متن ديوان ابي تمام وتحقيقه تحقيقاً منهجياً دقيقاً لان الطبقات المتوفرة تفتقر افتقاراً شديداً الى مثل هذا التحقيق . ونشر شروح الدواوين لا ينفي الحاجة الى نشر وتحقيق اصولها اومتونها لان طبيعة الشروح ونوعية مناهجها واساليبها تختلف عن طبيعة متون الدواوين والمناهج المتبعة فيها فضلاً عن احتمال تأثر الشروح بمذاهب الشراح ومواقفهم واتجاهاتهم الفنية وغير الفنية »^(٢٥) .

وثمة دراسات تحرت تطبيق المنهج النقدي الحديث في الكشف عن ابعاد الرؤية الشعرية عند ابي تمام فاعتدت بلغته الشعرية بعد ان تحررت من معيارية النقد القديم .

فحلل الدكتور احمد اسعد علي مجموعة من ابيات ابي تمام على وفق منهج حدده بأنه يركز على التفهم اللغوي والموسيقي والتصويري والرمز للشعر وذلك في سبيل الكشف عن رؤية ابي تمام الشعرية لجوهر الانسان الحي^(٢٦) . وانتهت به دراسته الى القول بأن الانسان في شعر ابي تمام لا يكف عن الترقى فهو يسأل ويعشق العلم ويباري الدهر ويفترب ليتجدد ، ولكنه في كل ذلك ثائر من أجل الروح باحث عما يؤنسها ولذلك تتجلى ثورة أبي تمام ثورة روحية تسعى الى تغيير الواقع الذي تستوحش فيه الروح^(٢٧) . ودرست الدكتورة ابتسام مرهون الصفار ثقافة ابي تمام من خلال شعره ، وذكرت اهمية « ان نتعرف على ثقافة ابي تمام ، ذلك المعين العظيم الذي خلق شخصيته الادبية ، واتجاهه الشعري الجديد ، فلا بد ان تكون هذه الثقافة من الاصاله بمكان حتى صبت شخصيته بطابع خاص ، مستفيدة من قوة ذكائه ، وسرعة خاطره ، والالهام النفسي الذي تمتع به »^(٢٨) . وخلصت الى القول : « ان دراسة هذه الجوانب تخرجنا بنتيجة رائعة هي اصالة شخصية ابي تمام في اشعاره ، هذه الاصاله تتجلى للقارئ بمجرد قراءة عدة قصائد من ديوانه ، ولم تاته هذه الاصاله عبثاً ، بل كانت نتيجة لثقافته الواسعة »^(٢٩) .

وقال ادونيس ان ابا تمام قد انطلق من اولية اللغة الشعرية لانه يريد ان يبدأ الشعر من كلمة اولى قبل القصائد المتركمة في التاريخ الشعري الذي سبقه ، ومن هنا إلحاحه الدائم على ان القصيدة تكون عذرية او لا تكون حتى انه يشبه إبداع الشعر اى خلق العالم باللغة بخلقه جنسياً ، فلقاء الشاعر والكلمة كلقاء زوجين عاشقين . ثم تحدث عن الكلمة في شعر ابي تمام فقال

الشعري الفلسفة^(٣٣).

وتناول امين البرت الريحاني الصورة الشعرية عند ابي تمام فتتبّعها من حيث الشكل من البنية البسيطة التي تقتصر على بيت واحد الى البنية المركبة التي تتجاوز البيت الواحد الى بيتين او بضعة ابيات الى البنية المتكاملة في لوحة شعرية مفصلة الاجزاء ضمن قصيدة متكاملة او ضمن جزء وافٍ منها . اما من حيث الجوهر فقد تتبّعها من استيحاء الاشياء الخارجية او الرؤية في المكان المنظور الى تسجيل اللحظات الداخلية البراقة وغير المنظورة الى استيحاء عالم الغيب او الرؤية في الزمان غير المنظور الى الولوج في عالم الخارج ومهمة الضياع^(٣٤).

ودرس الدكتور عبد القادر الرباعي الصورة الفنية في شعر ابي تمام بعد ان استخرج من النقد الحديث — كما يقول — مقاييس جديدة للشعر ، طبّقها على شعر ابي تمام^(٣٥) . وفي ضوء هذه المقاييس « تصبح الصورة واسطة الشعر التي تحقق له لغته المتميزة فلفة الشعر — كما تؤكد النظريات الشعرية الحديثة — تختلف عن لغة الفلسفة والمنطق بل تختلف عن لغة النثر ايضاً ، لان الكلمات في الاولى لا تدلّ على المعنى مباشرة بل تحرك ذاتك الداخلية — بطريقة غير مباشرة — لتدركه انت وبطريقتك الخاصة . اما الكلمات في الثانية فإشارات حرفية تدلّ على المقصود مباشرة وبلا ايهام^(٣٦) . وقال في موضع آخر « ولهذا جاءت دراستي للصورة عند ابي تمام جامعة للمضمون والشكل او المادة والبناء ، فالنقد السليم لا يفصل شكل الصورة عن مضمونها او مادتها عن بنائها الا لضرورة الدراسة فقط^(٣٧) .

وخصص الدكتور كامل حسن البصير فصلاً في كتابه (بناء الصورة الفنية في البيان العربي : موازنة وتطبيق) لبحث الصورة الفنية في شعر ابي تمام والرد على آراء الدكتور عبد القادر الرباعي . وذكر « ان الدراسات البلاغية والنقدية العربية التراثية قد احاطت بلغة الشعر وتلمست خصائصها قبل النظريات النقدية الحديثة بقرون ... وعلى هذا الاساس لم تتركه الدراسات النقدية والبلاغية العربية ألفاظ الشعر على أن تفسخ أبنيته وصيغها ودلالاتها بذريعة قلتها كماً وعدداً ، وهي تتصدى للتعبير عن الانفعالات والدوافع غير المتناهية كماً وغير المحصورة عدداً كما فعلت النظريات النقدية المعاصرة^(٣٨) .

هذه اهم الدراسات الحديثة عن ابي تمام الذي سيظل شعره مدار الدراسات الادبية والنقدية ، ولعل هذه الدراسة من بعض ما يستحق الشاعر من دراسات .

* * *

إنها تشكل بنية عضوية تصل بنيوياً بين ذات الشاعر واشياء العالم وانها تحتضن من الشيء فعاليتها فترينا الاشياء في اندفاعها وتفجرها ويكارتها وبهذا تقيم علاقة جديدة بين الانسان وبينها فتزول الثثرة القديمة وتدخل الى الكلام شرارة لغوية جديدة هي شرارة الشعر الذي يعيد كل شيء الى بدايته الاصلية^(٣٩) .

ودرس الدكتور هادي الحمداني ظاهرة المفعول المطلق عند ابي تمام معتمداً المنهج الاحصائي الاستنتاجي ، وذكر ان استعمال المفعول المطلق عند الشاعر مظهر من مظاهر التجنيس التي اولع بها . ولا شك أنه أقوى هذه المظاهر ؛ لانه مصدر ، والمصدر غالباً ما يكون أقرب الى مجانسة عامله . وتساءل الدكتور الحمداني : هل مال أبو تمام الى استعمال المفعول المطلق بقصد المجانسة فحسب من دون ان يكون لذلك شأن آخر في البناء الشعري ؟

وأجاب عن هذا التساؤل بالقول : « يخيل اليّ ان قصد التجانس اول ما أراده ابو تمام ، اما الشؤون الاخرى التي ترتبت على هذا الاستعمال فيستطيع الباحث ان يتلمسها وهو يبحث في هذه الظاهرة^(٤٠) .

وحلل الدكتور كمال ابو ديب قصيدة ابي تمام « رقت حواشي الدهر ... » في مدح المعتمد تحليلاً بنيوياً كاشفاً عن صورة التحول التي ترتكز عليها القصيدة والتي تتنامى من خلال سلسلة من الثنائيات الضدية اهمها :

الزمان الماضي والزمان الحاضر ، الانقطاع والاستمرار ، الارض والسماء ، الربيع والانسان . وقد كشفت دراسته للعلاقات بين هذه الثنائيات عن كنه الفاعلية الشعرية عند ابي تمام وكيف انها تستقى من تصور للوجود على انه شبكة من علاقات التشابه والتضاد ، وان تميز الفاعلية الشعرية لديه لا تؤكد التشابه المطلق وتعمل من خلاله على تنمية بنية شعرية بل تؤكد التضاد ايضاً ، ثم انها لا تنفي خيوط التشابه في عزلة عن خيوط التضاد بل تطرح التشابه والتضاد بنية واحدة وتعمل من خلال شبكة العلاقات التي يؤسسها تصادم التشابه بالتضاد وتفاعله معه^(٤١) .

ويرى الدكتور عبد الكريم اليافي ان تفكير ابي تمام قائم على مراعاة التضاد في اغلب الامور ولذا يصح ان ينعت في العصر الحاضر بكونه جدلياً دياكتيكياً إذ يجمع غالباً بين الاضداد والعناصر المتغايرة المتنافرة^(٤٢) . وقال إن أبا تمام هو ابو الجدل الحديث المستند الى التغيير والى الحركة ولكنه إنما انتهج الجدل في شعره فقد كان ذا مذهب شعري مبتكر وإن مس هذا المذهب

الهوامش

(١) اختلفت الروايات في تاريخ ولادته ، فقيل انه ولد في عام ١٧٢ هـ ، وقيل ١٨٠ هـ ، وقيل ١٨٢ هـ ، وقيل ١٨٨ هـ ، وقيل ١٩٠ هـ ، وقيل ١٩٢ هـ . وقيل انه قال ولدت سنة ١٩٠ هـ . على ان ابنه تماماً يقول : مولد أبي سنة ثمان وثمانين ومائة .

كما اختلفت في موته ، فقيل انه توفي عام ٢٢٦ هـ ، وقيل ٢٢٨ هـ ، وقيل ٢٢٩ هـ ، وقيل ٢٣١ هـ ، وقيل ٢٣٢ هـ . على ان ابنه تماماً يقول : مات في سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

وقيل إنه ولد « بمنبج » ، وقيل في قرية من قرى منبج في الشمال السوري ، وقيل في قرية من قرى الجيدور من اعمال دمشق ، وقيل في قرية « جاسم » على يمين الطريق الذي يمتد بين دمشق وطبرية . ننظر ترجمته في :

الاغاني : ٩٩ / ١٥ . ابن خلكان : ١ / ١٢١ . طبقات الادباء :

٢١٣

الفهرست : ١٦٥ . طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٨٢ . الموشح : ٣٠٣ .

تاريخ بغداد : ٨ / ٢٥٢ . اخبار ابي تمام للصولي . هبة الايام فيما يتعلق بابي تمام للبديعي . الموازنة بين الطائيين :

ابي تمام والبحثري للامدي . شذرات الذهب : ٢ / ٧٢ .

حسن المحاضرة للسيوطي : ١ / ٢٦٧ (طبع القاهرة : ١٣٢١ هـ) .

مروج الذهب للمسعودي (طبع باريس) : ٧ / ٦٤٧ . معاهد

التنصيص : ١ / ١٤

نزهة الالباء : ٢١٥ . خزانة الادب للبغداد : ١ / ٣٥٧ .

النجوم الزاهرة : ٢ / ٢٦١ . وفيات الاعيان : ١ / ١٢٣ .

معجم الادباء : ٢ / ٨٢ . بروكلمان : ٢ / ٥٣ - ٥٩ .

(٢) ينظر : من حديث الشعر والنثر ، الدكتور طه حسين : ١٣٣ .

(٣) ينظر : يسألونك ، عباس محمود العقاد : ٥٧ - ٦٢ .

(٤) غاب النقاد القدماى على ابي تمام هذا البيت (ينظر اخبار ابي تمام : ٣٣ فقد روي ان احداً من الظرفاء قد جاء ابا تمام فقدم له قصعة وقال ... اعطني قليلاً من ماء الملام .

فقال له ابو تمام لا اعطيكه حتى تاتيني بريشة من جناح النل ، فاقحمه ، باحالتة على قوله تعالى : « واخفض لهما جناح النل من الرحمة » - الاسراء : ٢٤ .

(ينظر : الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن قيم

الجوزية : ٥١)

(٥) النقد المنهجي عند العرب ، د . محمد مندور : ٥١ .

(٦) المصدر نفسه : ٥١ .

(٧) المصدر نفسه : ٨٠ .

(٨) امراء الشعر العباسي ، انيس المقدسي : ٢٩٧ .

(٩) ينظر : ابو تمام الطائي حياته وحياة شعره : ٢٣٠ - ٢٣١ .

(١٠) ابو تمام شاعر الخليفة الممتصم بالله ، الدكتور عمر فروخ : ٤٠ .

(١١) المصدر نفسه : ٥٢ .

(١٢) المصدر نفسه : ٩١ .

(١٣) عبقرية ابي تمام ، عبد الميز سيد الاهل : ١٣٦ .

(١٤) المصدر السابق : ١٤٦ .

(١٥) ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د . شوقي ضيف : ١٧٤ .

(١٦) المصدر نفسه : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(١٧) ينظر : الفن والصنعة في مذهب ابي تمام ، د . محمود الريدادي : ٢٣ .

(١٨) المصدر نفسه : ٥٠ .

(١٩) المصدر نفسه : ٥٥ .

(٢٠) ينظر : ابوتقام وموازنة الامدي ، محمد محمد الحسيني ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٢١) ينظر : ابو تمام ، د . جميل سلطان ، دار الانوار ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٠ م - ١٣٨٩ هـ .

(٢٢) ينظر : الكلام في شعر البحثري وأبي تمام ، محمد طاهر الجبلاوي ، طبع ونشر دار الفكر العربي ، القاهرة (د . ت .) .

(٢٣) ينظر : ابوتمام بين اشعاره وحماسه ، د . محمد بركات حمدي ابوعلي ، منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٢ ب . هـ - ١٩٨٢ م .

(٢٤) ديوان ابي تمام ، د . علي الزبيدي ، بحث منشور في مجلة البلاغ ، ع : ٩ ، السنة الثالثة : ١٧ .

ولديوان ابي تمام طبعا كثيرة ذكرها الباحثان كوركيس عواد وميخائيل عواد في كتابهما (ابو تمام الطائي حياته وشعره في المراجع العربية والاجنبية) هي : طبعة بمبي سنة ١٨٥٦ .

المط الوهبية - القاهرة ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م . وفي هامشها شروح مختصرة . وهذه الطبعة خالية من كثير من اشعار ابي تمام الموجودة في كتب الادب .

المط الادبية - بيروت ١٨٨٩ ، ٤٦٣ ص . مع تقييدات لشاهين عطية .

طبعة محمد جمال بشرح محيي الدين الخياط (بيروت ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م ، ٥١٦ ص) وقد صنع المستشرق مرجليوث ، فهرساً لهذه الطبعة نشر في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن :

Journal of the Royal Asiatic Society. (London 1905 , P . 782 - 763)

ونشره احمد حسن طبارة . (بيروت ١٩٠٥) .

وطبع في بيروت ١٣٦٩ هـ .

ونشره احمد عثمان عبد المجيد . (القاهرة ١٩٤١) .

ونشرته مكتبة محمد علي صبيح واولاده ، بتقديم عبد الحميد

يونس وعبد الفتاح مصطفى (مط حجازي ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، ٤٠٧ ص) .
 (٢٥) ينظر : الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام ، د . أحمد اسعد علي : ٤٦ .
 (٢٦) المصدر نفسه : ١٠٤ .
 (٢٧) ابوتمام ثقافته من خلال شعره . د . ابتسام مرهون الصفار : ٧ - ٦ .
 (٢٨) المصدر نفسه : ١٤٩ .
 (٢٩) ينظر : الثابت والمتحول ، ادونيس : ١١٥ / ٢ - ١١٦ .
 (٣٠) ظاهرة المفعول المطلق عند ابي تمام ، د . هادي الحمداي ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد .

المجلد الاول ، ع : ٢١ ، ١٩٨٨ : ٢٠٤ .
 (٣١) ينظر : جدلية الخفاء والتجلي ، د . كمال ابو ديب : ٢٢٩ .
 (٣٢) ينظر : جدلية ابي تمام : ٤٦ .
 (٣٣) ينظر : المصدر نفسه : ٥٤ .
 (٣٤) ينظر : مدار الكلمة ، امين اليرت الريحاني : ٣٠ - ٤٨ .
 (٣٥) ينظر : الصورة الفنية في شعر ابي تمام ، د . عبد القادر الرباعي : ١٢ .
 (٣٦) : المصدر نفسه : ١٥ .
 (٣٧) : المصدر نفسه : ٢١ .
 (٣٨) : بناء الصورة الفنية في البيان العربي : موازنة وتطبيق ، د . كامل حسن البصير : ٢٤٤ .

المصادر والمراجع

— ابوتمام ، الدكتور جميل سلطان ، دار الانوار ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٠ م - ١٣٨٩ هـ .
 — ابو تمام بين اشعاره وحماسه ، الدكتور محمد بركات حمدي ابو علي ، منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٢ ب . هـ - ١٩٨٢ ب . م .
 — ابو تمام ثقافته من خلال شعره ، الدكتور ابتسام مرهون الصفار ، وزارة الاعلام - سلسلة كتاب الجماهير (١٠) ، دار الحرية للطباعة ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٢ .
 — ابو تمام شاعر الخليفة المعتصم بالله ، عمر فروخ ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
 — ابو تمام الطائي حياته وحياة شعره ، محمد نجيب البهيبيتي ، ط ٢ ، ١٩٧٠ ، دار الفكر ، مكتبة الخانجي .
 — ابوتمام الطائي حياته وشعره في المراجع العربية والاجنبية ، كوركيس عواد وميخائيل عواد ، بغداد ، ١٩٧١ .
 — ابو تمام وموازنة الامدي ، محمد محمد الحسيني ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
 — اخبار ابي تمام ، لابي بكر محمد بن يحيى الصولي ، تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الاسلام هندي ، مطبعة لجنة لتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
 — أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، انيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٨ ، ١٩٦٩ م .
 — الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام « القسم الاول » ، الدكتور احمد سعد علي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٢ م - ١٣٩٢ هـ .
 — بناء الصورة الفنية في البيان العربي : موازنة وتطبيق ، الدكتور كامل حسن البصير ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

— الثابت والمتحول ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٧ .
 — جدلية ابي تمام ، الدكتور عبد الكريم اليافي ، دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٨٠ .
 — جدلية الخفاء والتجلي - دراسة بنيوية في الشعر ، الدكتور كمال ابو ديب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .
 — ديوان ابي تمام ، د . علي الزبيدي ، بحث منشور في مجلة البلاغ ، ع : ٩ ، السنة الثالثة : ١٧ .
 — الصورة الفنية في شعر ابي تمام ، الدكتور عبد القادر الرباعي ، منشورات جامعة اليرموك ، الدراسات الادبية واللغوية (١) ، أريد - الاردن ، ١٩٨٠ .
 — ظاهرة المفعول المطلق عند ابي تمام ، د . هادي الحمداي ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد ، المجلد الاول ، ع : ٢١ ، ١٩٧٧ .
 — عبقرية ابي تمام ، عبد العزيز سيد الاهل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٢ م .
 — الفن والصناعة في مذهب ابي تمام ، الدكتور محمود الريدائي ، المكتب الاسلامي بدمشق ، ١٩٧١ .
 — الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط ٧ ، ١٩٦٩ .
 — الكلام في شعر البحتري وأبي تمام ، محمد طاهر الجبلاوي ، طبع ونشر دار الفكر العربي ، القاهرة .
 — مدار الكلمة : دراسات نقدية ، امين اليرت الريحاني ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، ط ١ ، ١٩٨٠ .
 — من حديث الشعر والنثر ، الدكتور طه حسين ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
 — النقد المنهجي عند العرب ، الدكتور محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر (د . ت) .
 — يسألونك ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٦٨ م .

مقاييسات

في الفلسفة الصوفية

عزیز عارف

ملاحظات حول ترجمة آربري لنصوص النفري

القسم الثامن

ما معنى نص النفري ؟

هذا النص من اشارات النفري الدقيقة العميقة التي تحتاج الى انعام نظر. وقد يبدو للبعض غامضاً غير مفهوم وتوضيحاً لمعناه سنبدأ بتحليله :

(١)

(الرؤية) و (الغيبة)

نص النفري^(١)

أولاً : ما معنى : « الغيبة دنيا وآخرة » ؟

١ - الذي نراه ان النفري اراد أن يقول (على لسان الحق سبحانه) : ان مَنْ احتجب عني في الدنيا ، احتجب عني في الآخرة ، إشارة الى قوله تعالى :

« وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ اَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ اَعْمَىٰ وَأَضَل سَبِيلًا »^(٢) .

٢ - ومعنى (الغيبة) هنا (غيبة القلب) ويقابلها (رؤية القلب) .

« سئل امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض)

هل نرى ربنا ؟ فقال : وكيف نعبده مَنْ لم نره ؟

ثم قال : « لم تره العيون - يعني في الدنيا - بكشف العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان »^(٣) .

٣ - هذا المعنى يتكرر كثيراً في نصوص النفري . يقول على لسان الحق سبحانه :-

« الغيبة دنيا وآخرة

والرؤية لا دنيا ولا رؤية »

ترجمة آربري^(٢)

« Absence is this world and the next :

Vision is neither this world nor the next » .

استدراك وتعليق

نلاحظ على ترجمة الاستاذ آربري أنها قد تصرفت بنص

النفري دون اي مبرر ، فجاءت بعيدة كل البعد عن معناه .

يقول النص : « الرؤية لا دنيا ولا رؤية » اما الترجمة

فتقول : « الرؤية لا دنيا ولا آخرة » - ومن هنا وقع الخلل فيها .

« مَنْ لَمْ يَرْنِي فِي الدُّنْيَا لَا يَرَانِي فِي الْآخِرَةِ »^(٥) .
 ويفرق النفري بين أهل الخصوص وأهل العموم فيقول :
 « إِذَا لَمْ تَرْنِي فَأَنْتَ مِنَ الْعُمَمِ »^(٦)
 وفي غيبة أهل العموم يقول النفري : « إِنْ رَأَيْتَ غَيْرِي لَمْ
 تَرْنِي »^(٧) . ويقول :
 « الْغَيْبَةُ إِنْ لَا تَرَانِي فِي شَيْءٍ : الرَّؤْيَةُ إِنْ تَرَانِي فِي كُلِّ
 شَيْءٍ »^(٨) .

ثانياً - ما معنى (الرؤية لا دنيا) ؟

يراد بالرؤية هنا ، رؤية الحق سبحانه ، بالبصر ، في الدنيا .
 وهي من المحال .
 ذلك ان هذه الرؤية تقتضي الاشتراك بين الانسان الطالب
 للرؤية وبين الحق المطلوبة رؤيته ، ولا يمكن أن تتحقق أبداً ، لان
 الحق سبحانه (وجود مطلق) لا مناسبة ولا اشتراك بينه وبين
 الخلق .

ثالثاً - ما معنى (الرؤية .. لا رؤية) ؟

١ - قلنا ان الرؤية في الدنيا محال ، لانها تقتضي الاشتراك بين
 (الرائي والمرئي) ، بين الانسان - وهو وجود نسبي - وبين الحق
 سبحانه - وهو وجود مطلق - وليس بين النسبي والمطلق اية نسبة
 او تعلق او اشتراك ابداً ، ومن هنا يقع المحال في الرؤية .
 ٢ - وحيث أن (الرؤية) في الدنيا من المحال فهي اذن - في
 حقيقتها - (لا رؤية) .

٣ - و (الا رؤية) تعني هنا في نص النفري :
 نفي اية نسبة او اشتراك بين الحق والخلق .
 ٤ - على هذا المعنى تدور كثير من اشارات الصوفية :
 قال بعضهم :

« مَنْ رَأَاهُ لَمْ يَرْ شَيْئاً »^(٩) .
 ومنهم من قال : « لَا تَثْبُتِ الرَّؤْيَةَ إِلَّا بِنَفْيِهَا فَمَنْ لَمْ يَرِهِ فَقَدْ
 رَأَاهُ »^(١٠) .

وقال (ابن عربي) في كتابه (الفتوحات المكية) (على
 لسان الحق) : مَنْ رَأَانِي وَعَرَفَ أَنَّهُ رَأَانِي ، فَمَا رَأَانِي »^(١١) .
 وإلى هذا المعنى سبق النفري حين قال في كتابه
 (المواقف) على لسان الحق :
 « رَأُونِي وَحُجَّتِهِمْ بِرُؤْيَتِهِمْ أَيَّايَ عَنِي »^(١٢)

رابعاً - الرؤية في الآخرة

١ - يتكرر عند الصوفية حديث يروى عن النبي (ﷺ) يقول :
 « أَنْكُمْ سَتَرُونَ رِبْكُمْ عَيَاناً كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ ، لَا تَضَامُونَ فِي
 رُؤْيَتِهِ »^(١٣) .

٢ - رؤية الحق بالبصر - اذن - تتحقق للخلق في الآخرة . قال
 تعالى « فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ »^(١٤) .
 ٣ - ويذهب النفري الى ان هذا (الكشف) انما هو (جنة
 الجنة) لا يناله الا الأبرار المقربون ، اما الأشرار المبعدون
 فمحجوبون بالغطاء ، يشقون به ويتعذبون لانه (نار النار) .
 يقول النفري في كتابه (المخاطبات) - على لسان الحق
 سبحانه :

« يَا عَبْدُ ! مَقَامِي فِي الْآخِرَةِ الْكُشْفُ ، وَغَيْبَتِي فِي الْآخِرَةِ
 الْغَطَاءُ » .

« يَا عَبْدُ ! الْكُشْفُ جَنَّةُ الْجَنَّةِ ، الْغَطَاءُ نَارُ النَّارِ »^(١٥) .
 ٤ - نعود الى نص النفري فنقول :
 ان العبارة « الرؤية لا دنيا ولا رؤية »
 تنفي الرؤية في الدنيا ، ولم تتطرق الى ذكر (الآخرة)
 لا تصريحاً ولا تلميحاً .

اما ترجمة الاستاذ آربري فقد تصرفت بالنص فقالت : الرؤية
 لا دنيا ولا آخرة « وما أبعداها عن المعنى الذي اراده النفري
 وقصد اليه .

(٢)

(نار الإستتار)

نص النفري^(١٦)

« فَرَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنْ نَارِ الْعَذَابِ ، وَفَرَقْتُ
 نَارَ الْعَذَابِ مِنْ نَارِ الْإِسْتِتَارِ » .

ترجمة آربري للنص^(١٧)

I have separated heaven and earth , and those that are
 in them , from the fire of punishment : and I have
 separated the fire of punishment from the fire of
 veiling »

استدراك وتعليق

١ - ذهب الاستاذ آربري في ترجمته الى أن لفظ (فرقت) الوارد
 في النص مرتين ، انما هو بمعنى (التفريق) بين الاشياء ،
 و (التاء) في هذا اللفظ انما هو (تاء الفاعل للمتكلم) فجاءت
 قراءته للفظ على النحو الآتي :
 « فَرَقْتُ أَنَا - I have separated » .

٢ - والذي نراه أن لفظ (فرقت) في نص النفري هو من
 (الفَرَقَ) اي الخوف والفزع . و (التاء) في هذا اللفظ (تاء
 التانيث الساكنة) اي فَرَقْتُ هي .

٣- وفي لسان العرب - مادة - (فرق) :

« والفَرْق - بالتحريك : الخوف . وفَرَّقَ منه : بالكسر فَرَّقاً : جَزَع وفي حديث بدء الوحي : فَجُئْتُ منه فَرَقاً ، هو بالتحريك : الخوف والجزع . يقال : فرق ، يفرق ، فرقاً .. وتقول فرقتُ منك ولا تقل فرقتك .. » .

٤- وترجمة النص هذه لا تدلنا على أي مفهوم صوفي ، بل أن الاستاذ آربري نفسه لم يقتنع بالمفهوم الذي توصل إليه فقال في تعليقه على هذا النص ما معناه . أنه لا يبدو مناسباً هنا ، وهو على وجه الخصوص لا يتلاءم ولا ينسجم مع سياق الكلام . وهذا أصل كلماته^(١٨) :

This verse does not seem particularly apposite in this context » —

ما معنى نص النفري ؟

١- في النص إشارة إلى نارين : نار العذاب ونار الاستتار ، أما (نار العذاب) فهي نار جهنم التي أعدها الله مذوناً لمن حقت عليه كلمة العذاب ، وهي مخيفة مرعبة ، ترتعد من هولها وتجزع فرقاً السموات والأرض ومن فيهن .

وأما (نار الاستتار) فهي أشد هولاً من (نار العذاب) فنار العذاب ، على هولها ، ترتعد وتفرق من نار الاستتار .

٢- ما معنى الاستتار؟ وما نار الاستتار؟

يراد بالاستتار : (الحجاب) أو (الغطاء) أو (الغيبة) أو (اللارؤية) . ويُقصد به في النص : استتار الحق في الآخرة عن بعض الخلق ، فيحجبهم عن رؤيته .

أما (نار الاستتار) فيشار بها إلى العذاب الذي يُبتلى به المحجوبون عن رؤية الحق ، وهو عذاب تستجير منه (نار العذاب) .

٣- وما أكثر ما يتكرر هذا المعنى عند النفري . قال في كتابه (المخاطبات) على لسان الحق سبحانه .

« يا عبد ! مقامي في الآخرة الكشف ، وغيبتي في الآخرة الغطاء » -

« يا عبد ! الكشف جنة الجنة ، الغطاء نار النار »^(١٩) -

وقال في كتابه (المواقف) .

« إن وقفت [أنت] والنار عن يمينك ، نظرت إليك فاطفاتها ، وإن وقفت والنار عن شمالك نظرت إليك فاطفاتها ، وإن وقفت والنار أمامك ، لم أنظر إليك لاني لا أنظر إلى مَنْ في النار » .

وقال أيضاً : « لا أنظر إليك والنار أمامك ، ولا أسمع منك والجنة أمامك »^(٢٠) .

لعل النفري أراد أن يقول إن كان القصد من عبادة الله الخوف والرجاء ، خوف النار ورجاء الجنة ، فتلك عبادة المحجوبين عن رؤية الله . لهم أجرهم الجنة ، ولكنهم محرومون من

جنة الجنة وهي الرؤية .

ويتكرر هذا المعنى عند النفري يقول في كتابه (المخاطبات) على لسان الحق سبحانه -

« يا عبد ! لو علمت ما في (الرؤية) لحزنت على دخول الجنة »^(٢١)

٤- ويتكرر هذا المعنى على ألسنة الصوفية .

قال أبو يزيد البسطامي .

« إن لله خواص من عباده ، لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة ، كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار »^(٢٢) .

وقال الجنيد البغدادي : « الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار »^(٢٣) .

وقال « سري السقطي »

« اللهم ما عذبتني بشيء ، فلاتعذبني بذل الحجاب »^(٢٤) .
وذلل الحجاب ، إنما هي نار الاستتار التي من هولها تفرق نار العذاب .

وقال (أبو عمران الجوني) : « لم ينظر الله إلى إنسان قط إلا رحمه ، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم ، ولكن قضى أن لا ينظر إليهم »^(٢٥)

وفي كتابه (الفتوحات المكية) يقول الشيخ (محيي الدين بن عربي) :

« وخلق الله لجهنم سبعة أبواب ، لكل باب جزء من العالم ومن العذاب مقسوم ، وهذه الأبواب مفتحة ، وفيها باب تامن مغلق لا يفتح ، وهو باب الحجاب عن رؤية الله تعالى »^(٢٦) .

(٣)

(لا يزكي الخلق إلا الحق)

نص النفري^(٢٧)

« رضاي وصفي ، وسواي لا وصفي ، فكيف يحمل وصفي ، لا وصفي » .

ترجمة آربري^(٢٨)

My approval is my quality , and other than I is not my quality : How then should my quality support what is not my quality ! »

استدراك وتعليق

١- هذا النص دقيق في مبناه ، عميق في معناه ، يحتاج إلى أمعان نظر .

وفي النص تقديم وتأخير لم تلحظه ترجمة الاستاذ آربري

فجاءت لذلك مختلفة المعنى ، كما سنرى .

٢ - و (الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق) كما يقول الشيخ (ابوبكر الواسطي) : نعتان لا يجوز لاي أحد من الخلق ان يُنعت بهما ، بل محال على أحد ان يحمل وصف الحق .

٣ - والذي نراه أن النفري اراد ان يقول على لسان الحق سبحانه : أنا الحق ، الرضا وصفى ، لي وحدي تركية الخلق ، وليس لاحد سواي ان يحمل وصفى ، وكيف يحمل احد وصفى ، (وأنا حق وسواي خلق) .

٤ - في عبارة النفري : « فكيف يحمل وصفى ، (لا وصفى) - » ، تقديم وتأخير ، تقدم المفعول (وصفى) على الفاعل (لا وصفى) ، ومعنى العبارة :

ان الانسان بعيد كل البعد عن أوصافي . هو في حقيقته (لا وصفى) . من المحال اذن على الانسان وهو (لا وصفى) أن يحمل الرضا ، لأن الرضا وصف من أوصافي .

الى هذا المعنى قصد النفري بعبارته « فكيف يحمل - (وصفى) ، (لا وصفى) » ..

٥ - أما في ترجمة الاستاذ آربري فجاءت (وصفى) - فاعلاً - ، وجاءت (لا وصفى) - مفعولاً - ، على خلاف المعنى الذي اراده النفري ، ومن هنا وقع الخلل في الترجمة .

ما معنى نص النفري ؟

هذا النص - كما نرى - يشير الى الفرق بين (ميزان الخلق) القائم على النسب الاعتبارية العدمية ، وبين (ميزان الحق) القائم على العدل الالهي - الرحمة الالهية التي وسعت كل شيء ، وشتان بين ميزان الخلق وميزان الحق .

قال تعالى :

« ولولا فضل الله ورحمته ما زكني منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكني من يشاء » (٣٩) .

وقال : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » (٤٠) . وجاء في الحديث الشريف . « رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس ، لو أقسم على الله لأبيرة » (٤١) .

وجاء أيضاً : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر » (٤٢) ..

وما أكثر ما يريد هذا المعنى في كتب الصوفية ، وما أكثر ما يتردد ذلك على ألسنتهم . سنذكر شيئاً منها في سبيل التمثيل .

« قيل لسليمان التيمي : أنت ، أنت ومن مثلك ؟ قال : لا تقولوا هكذا ، لا أدري ما يبدو لي من ربي ، سمعت الله - عز وجل - يقول : (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) » (٤٣) .

وقال (أبو حازم) وهو من أعلام التابعين :

« ان الرجل ليعمل الحسنة ما عمل سيئة أضر عليه منها ، وانه ليعمل السيئة ما عمل حسنة أنفع له منها » (٤٤) .

وقال الحسن بن صالح بن حيي :

« إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من

الخير ، يريد به باباً من السوء » (٤٥) .

ويقص علينا الشيخ (محيي الدين بن عربي) في كتابه (الفتوحات المكية) : حكاية تقول :

يدعو الله يوم القيامة بشيخ فيقول له . ما فعلت في دنياك ؟ فيدعي لنفسه من الأعمال الصالحة - ماشاء الله - والله يعلم أنه كاذب ، فيأمر الله به الى الجنة ، هنالك تقول الملائكة : يارب ، انه كذب فيما ادعاه ، فيقول الحق .

« قد علمت ذلك ولكنني استحييت منه أن أكذب شيعته » (٤٦) هذه الحكاية - بلاشك - موضوعة ، اراد بها واضعوها الاشارة الى الرحمة الالهية التي وسعت كل شيء ، والى الموازين الالهية التي تخفى حتى على الملائكة لأنها من علم الغيب .

(٤)

(للحق وحده ، الرضا عن الخلق)

نص النفري (٣٧)

أوقفني في الرحمانية فقال :

« لا يستحق الرضا غيري ، فلا ترض أنت ، فانك إن رضيت محقتك » .

ترجمة آربري (٣٨)

« None beside Me has the right to approve So do not thou approve : for if thou approvest , I shall hate thee . »

استدراك وتعليق

١ - نلاحظ على ترجمة النص ان كلمة (محقتك) جاءت بمعنى (كرهتك) على النحو الآتي :

« ساكرهك - I shall hate thee »

وفرق كما ترى - اي فرق - بين معنى النص ومعنى الترجمة .

٢ - في (لسان العرب - مادة محق) .

« المحق : النقصان وذهاب البركة ، وشيء ما حق : ذاهب ..

قال الازهري : تقول : محقه الله فامحق وامتحق : أي ذهب

خيره وبركته .. وكل شيء أبطلته حتى لا يبقى منه شيء فقد

محقته . قال الله تعالى :- (يمحق الله الربا ويؤري الصدقات) -

تنصب نفسك وكيلاً عني ، فتتحكم في خلقي ، فتقرر علانية ، هذا الى الجنة ، وذلك مصيره الى النار . ألا فاعلم انه لا يزكي النفس الا الله ، انا المعز المذل الرضا لي وحدي ، فان رضيت انت ، تجاوزت حدك وتجرأت على حدودي ، فأحذر غضبي ! ٢ - النفري في هذا النص يريد أن يقول ان الموازين الالهية هي غير الموازين التي يعرفها البشر والتي هي (نسب) اعتبارية تواضع عليها الناس .

اما الموازين الالهية فهي في علم الغيب ، ليس للخلق علم بها ، فليس لأحد إذن أن يزن الخلق بميزان الخلق . ٣ - في هذا المعنى ، قال (أبو حازم) وهو من أعلام التابعين : « ان الرجل ليعمل الحسنة ما عمل سيئة اضر عليه منها ، وانه ليعمل السيئة ما عمل حسنة أنفع له منها »^(٤٣) . وقال الشيخ (سفيان بن عيينة) :

« كان يقال : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه .. »^(٤٤) . وفي هذا المعنى كذلك يقول الشيخ محيي الدين بن عربي : « احتقار العوام في جناب الخواص بتعيين فلان وفلان كفضل الحسن البصري على الحسن بن هانيء لا يعول عليه »^(٤٥) .

اراد ابن عربي أن يقول : ان الموازين الالهية هي غير موازين الخلق ، فالناس - طبقاً لموازينهم - يفضلون (مثلاً) - (الحسن البصري) - وهو الشيخ التقى الزاهد الورع - على (ابي نؤاس) - وهو الشاعر الذي عرفوه ماجناً . ان مثل هذا التفضيل يعدّ - في الحقيقة - امراً لا يعول عليه ، اذ ليس لأحد أن يعول الا على الحكم الالهي الذي هو في علم الغيب .

(٥)

(وألاً فلا)

نص النفري^(٤٦)

« يا عبد ! مَنْ دعاك سواي فلا تجبه ، اكتبك جليساً ، وألاً فلا » .

ترجمة آربري^(٤٧)

« Whoever invites thee other than I , do not accept him : so only shall I inscribe thee my companion » .

استدراك وتعليق

أولاً - نلاحظ على ترجمة الاستاذ آربري أنها أغفلت العبارة (وألاً

أي يستأصل الله الربا فيذهب زيعة وبركته » . ٢ - وفي كتاب (المفردات في غريب القرآن) - للراغب الاصفهاني - مادة - (محق) .

« المحق : النقصان ومنه المحاق لآخر الشهر اذا انمحق الهلال ، وامتحق وانمحق ، يقال : محقه : اذا نقصه وأذهب بركته ، قال : (يمحق الله الربا ويُرِي الصدقات) وقال - (ويمحق الكافرين) - » .

٤ - وفي كتاب (اللمع) للسراج . (المحق) : بمعنى (المحو) ألا أن المحق أتم ، لانه أسرع ذهاباً من المحو . و (المحو) : ذهاب الشيء اذا لم يسبق له أثر ، واذا بقي له اثر فيكون طمسا »^(٤٨) .

ما معنى نص النفري ؟

يحتمل هذا النص - كما نرى - وجهين من المعنى ، أما الأول فنراه بعيداً ، وأما الثاني فهو الذي نرجّحه ونأخذ به .

الاحتمال الأول

لعل النفري اراد أن يقول : ينبغي للعبد ان يكون في حضور دائم مع الحق لا يشغله عنه سواه . وفي هذا المعنى يقول النفري في كتابه (المواقف) على لسان الحق سبحانه : « ما رضيتك لشيء ولا رضيت لك شيئاً »^(٤٩) . ويقول :

« لا أرضى لك أن تقيم في شيء وان رضىته [انت] ، أنت عندي اكبر منه فأقم عندي لا عنده »^(٥٠) . ويقول في كتابه (المخاطبات) : « يا عبد ! رأيت العلم وأعرضت عنه ، أعرضت عن سؤي ، وان كان رضا »^(٥١) .

يريد النفري هنا ان يقول على لسان الحق سبحانه : حسناً فعلت اذ أعرضت عن العلم الذي ترضاه ، لأن العلم سوى وان كان رضا ، ولا يصح لك أن ترضى عن سواي . و (العلم) هنا يراد به العلم بالله ، وهو عند النفري (نسبة) لا تصح في مواجهة (الوجود المطلق) .

الاحتمال الثاني

١ - وهو الذي نرجّحه ونراه اقرب الى مفهوم النص ، ويبدو لنا منه ان النفري اراد أن يقول على لسان الحق سبحانه : ليس لك - ايها العبد - أن تزكي النفس ، فترضى ان شئت عن بعض من خلقي وتسخط ان شئت عن آخرين .

« Thou art tied up with it »

ومن هنا وقع الخلل في معنى النص وتغير مفهومه في الترجمة .

ما معنى النص ؟

١ - قد يبدو من ظاهر هذا النص أن النفري يشير هنا الى قوله تعالى « ولله ملك السموات والأرض » .

والنفري يؤكد هذا المعنى في إحدى مخاطباته (على لسان الحق) قائلاً :

« يا عبد ! كل شيء لي فلا تنازعني مالي »^(٥٢) .

٢ - ولكن اذا أمعنا النظر في هذا النص وجدناه يشير الى فكرة صوفية جد عميقة ، تلك هي فكرة (الارتباط الإضافي بين الخلق والحق) ، ليس ارتباط امتداد وانما هو ارتباط إضافة . ذلك ان جميع الموجودات انما هي مخلوقات ترتبط بالخالق سبحانه ارتباطاً اضافياً ، فهو الخالق لها بوجه يقوم وجودها وببيده مقاليدها ومصيرها .

٣ - في معنى الارتباط الإضافي بين الخلق والحق ، يقول ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية :

« فهو سبحانه رب كل شيء ومليكه ، فالاشياء مرتبطة به في كل حال ، وما هو في كل حال مرتبط بالاشياء »^(٥٣) .

ويقول : فهو عين كل شيء في الظهور ، ما هو عين الاشياء في زواتها ، سبحانه وتعالى ، بل هو هو والاشياء أشياء^(٥٤) [لاحظ ان كلمة (عين) في العبارة (عين كل شيء) تعني جوهر كل شيء وحقيقته ، اما كلمة (عين) في العبارة (عين الاشياء) فتعني نفس الاشياء وزواتها]

ويقول في (كتاب التجليات) : « جمع الاشياء به جمع عين التوحيد ، الا ترى الاعداد هل يجمعها الا الواحد »^(٥٥) .

(٧)

(الواقف) و (العارف)

نص النفري^(٥٦)

« قلب الواقف على يدي وقلب العارف على يد المعرفة »

ترجمة آريزي^(٥٧)

« The heart of the stayer is in my hands , and the heart of the gnostic is in the hands of his gnosis » .

استدراك وتعليق

ان ترجمة الاستاذ آريزي - كما نرى - لا تؤدي المعنى الذي

فلا (وأهمية هذه العبارة أنها تؤكد (بمفهوم النفري) الكلام السابق ، كان النفري أراد ان يقول (على لسان الحق) : إن أجبت من دعائك سواي ، فلن أكتبك جليساً لي (بانتقاء الشرط هنا ينتفي المشروط ، كما يتحقق المشروط بتحقيق الشرط) .

ثانياً - ومن الجدير بالاشارة هنا الى ان العبارة (والا فلا) قد وردت في مواضع أخرى عند النفري ، وقد ترجمها الاستاذ آريزي هناك على النحو الآتي : (otherwise not) وفي ادناه مثال على ذلك :

نص النفري^(٥٨)

« يا عبد ! من رآني عرفني وآلا فلا ، من عرفني صبر علي وآلا فلا » .

ترجمة آريزي لهذا النص^(٥٩)

« Whoso sees Me , knows Me , otherwise , not whoso knows Me , is patient Concerning Me , otherwise , not . »

(٦)

(الارتباط الإضافي)

نص النفري^(٥٠)

« ما أرتبطت بشيء ، حتى تراه لك من وجه ، ولو رأيته لي من كل وجه لم ترتبط به » .

ترجمة آريزي^(٥١)

« thou art not tied up with a thing , until thou seest it to be in one respect thine , but if thou seest it to be Thine in every respect , thou art tied up with it »

استدراك وتعليق

ابتعدت الترجمة - كما ستري - عن مفهوم النص ، ولنا عليها ملاحظتان :

الاولى : ان عبارة النفري (ولو رأيته لي) جاءت في الترجمة بمعنى (ولو رأيته لك) على النحو الآتي :

« But if thou seest it to be thine »

الثانية : ان عبارة النفري (لم ترتبط به) جاءت في الترجمة بمعنى (لا رتبطت به) على النحو الآتي :

أرادته النفري . ولنا عليها ملاحظتان :

الملاحظة الاولى (قلب الواقف على يدي)

ان العبارة (على يدي) الواردة في النص قد جاءت في الترجمة بمعنى (في يدي - in my hands) ، وسنرى في أدناه كيف أن هذا الفرق البسيط بين الأصل والترجمة قد أدخل بمفهوم النص .

الملاحظة الثانية - قلب العارف على يد المعرفة ،

ان العبارة (على يد المعرفة) الواردة في النص قد جاءت في الترجمة بمعنى (في يد معرفته) -
(in the hands of his gnosis) -

بإضافة المعرفة الى العارف ، وسنرى ان هذه الاضافة قد أدخلت بمفهوم النص .

ويحسن بنا ان نبدأ أولاً بتوضيح معنى النص ، ثم نبين فيه بعد وجه الخلل في ترجمته .

ما معنى نص النفري ؟

١ - يتحدث النفري في كتابيه (المواقف والمخاطبات) عن سلوك الصوفي في طريق الحقيقة وعن مدارجه في هذا الطريق . فالزاهد (العابد) ينتقل صعوداً الى درجة (العالم) ومنها الى درجة (العارف) ثم يعرج منها الى درجة (الواقف) وهي اعلى درجات السلوك الصوفي عند النفري .

٢ - أما هنا في هذا النص فيكتفي النفري بالمقارنة بين منزلتين : منزلة (العارف) ومنزلة (الواقف) كأنه يريد أن يقول : ان (العارف) ما يزال متعلقاً بالمعرفة ، والمعرفة متعلقة به ، فهو إذن ما يزال في حدود (النسبية) .

أما (الواقف) فقد تجاوز هذه المنزلة وأصبح من الواصلين النازلين في رحاب (الوجود المطلق) فهو إذن لا يتعلق بشيء ، ولا يتعلق به شيء .

٣ - عن هذا الفرق بين (الواقف) و (العارف) يقول النفري (على لسان الحق) :

« الواقفون اهلي والعارفون اهل معرفتي »^(٥٨) .

ويقول :

« انما أقول ، قف يا واقف ، اعرف يا عارف »^(٥٩) .

ويقول :

« العارف يخبر عن المعرفة ، والواقف يخبر عني »^(٦٠) .

ويقول :

« العارف يرى المعرفة ولا يراني ، والواقف يراني ولا يرى

سواي »^(٦١) .

ويقول : « العارف مكاتب والواقف حر »^(٦٢) .

[المكاتب : العبد يكاتب على نفسه بثمانه ، فاذا سعى وأذاه عثق] .

ويقول في كتابه المواقف :

« الواقف فرد والعارف مزدوج »^(٦٣) .

اي ان حقيقة الواقف (التجريد والتفريد) اما العارف فهو في الحقيقة اثنان : (عارف ومعرفة) .

حول ترجمة النص

أولاً - قلب العارف على يد المعرفة .

١ - عن (المعرفة) يقول النفري في كتابه (المواقف) :

« المعرفة نور الكون »^(٦٤) .

ويقول : « ليس في المعرفة عارف وآلا فلا معرفة »^(٦٥) .

فالمعرفة إذن مطلقة غير محددة ، لا سبيل للعارف ان يحصل عليها انما معرفته نسبية .

٢ - في نص النفري وردت (المعرفة) مطلقة غير محددة ، اما في ترجمة الاستاذ آريزي فقد حددت بالاضافة ، اضافة المعرفة الى العارف ، على النحو التالي : (his gnosis) .

٣ - اراء النفري ان يقول هنا ان قلب العارف يتعلق بالمعرفة يحوم ابداً حولها لينهل منها معرفته .

أما ترجمة الاستاذ آريزي فتذهب الى ان قلب العارف متعلق بمعرفته . ومن الواضح ان (المعرفة على اطلاقها) .

- كما في النص - هي ليست (معرفة العارف) - كما في الترجمة .

ثانياً - « قلب الواقف على يدي »

١ - (اليدان) عند الصوفية اشارة الى كل متقابلين ، ويفرق النفري على وجه الخصوص في المعنى بين هذه العبارات : (بين يدي) و (في يدي) و (على يدي) و (الى يدي) ، ولكل عبارة منها عنده مفهوم صوفي بعيد المغزى .

٢ - يقول النفري (على لسان الحق) :

« يا عبد ! قلبك (في يدي) قرب ، قلبك (بين يدي) بُعد »^(٦٦)

ويقول : « القلب (في يد الرب) ولسان القلب يتكلم في المقام (بين يدي الرب) »^(٦٧) .

ويقول : « كانوا (في يدي) فقلبتهم (الى يدي) وليس أردهم (الى اليد) التي كانوا فيها »^(٦٨) .

[القلب من يد الى يد - هنا في هذا النص - معناه كما نرى الانتقال من حال (البسط) الى حال (القبض)] .

٣ - ما معنى عبارة النفري (قلب الواقف على يدي) ؟

ان العبارة (على يدي) جاءت لمعنى مقصود عند النفري

ولم يقل (في يدي) كما جاءت في ترجمة الاستاذ آربري ، فما معنى هذه العبارة ؟

الذي نراه ان هذه العبارة تحتل معاني عديدة منها : ان قلب الواقف قد استقر عند (التجديد والتفريد) . ومنها : ان قلب الواقف قد استقر على حال (البسط) فكل شيء ميسر له .

ومنها : انه قد اصبح من جلساء الحق ، على بساط المحبة .

٤ - ومن الجدير بالذكر هنا ان العبارة (على يدي) قد وردت في نص آخر للنفري في كتابه (المخاطبات) وقد التزم الاستاذ آربري في ترجمة صيغة النص كما هو واضح في ادناه .

نص النفري^(٧٩)

« يا عبد ! اجعل قلبك على يدي ، لا يناله شيء ، ولا يخطر به . »

ترجمة آربري لهذا النص^(٧٩)

Set thy heart upon my hand : so shall nothing hold it , or occur to it .

[لاحظ كيف ترجمت هنا العبارة (على يدي) بشكل ملائم على النحو الآتي : (upon my hand)] .

(٨)

« لا يُعرف الحق الا بالحق »

نص النفري^(٧٩)

« يا عبد ! مَنْ سَكَنَ في معرفتي على معرفة سواي ، أنكرني ولم أجره . »

ترجمة آربري^(٧٩)

« Whoso rests in the gnosis of Me in spite of the gnosis of other than Me , denies Me , and I do not protect him » .

استدراك وتعليق

نلاحظ على ترجمة الاستاذ آربري أنها جاءت بعيدة عن المعنى الذي أرادته النفري وقصد اليه ، والأمر يحتاج الى شيء من الشرح .

أولاً - ما معنى النص ؟

١ - الذي نراه ان النفري أراد ان يقول على لسان الحق سبحانه :

لا يمكن لك - ايها الانسان - ان تعرفني - ولا يمكن لأي أحد ان يدلك على معرفتي . لا تحاول ان تستعين بمعرفة أحد لتدلك على معرفتي ، عبثاً تحاول فلا أحد من البشر يعرفني . إن إصرت على أن تأخذ المعرفة ممن يزعم معرفتي ، فقد أنكرتني - في الحقيقة - ولم تعرفني .

أنت لا تعرفني الا اذا تعرفتُ اليك ، فاذا لم أتعرف اليك ، فكل ما تعرفه عني فهو الجهل المحض .

الى هذا المعنى قصد النفري بإشارته

٢ - وما أكثر ما يتكرر هذا المعنى عند النفري . يقول في كتابيه (المواقف والمخاطبات) على لسان الحق سبحانه :

« ما عرفني شيء »^(٧٩) ويقول : « العارف يستدل بي »^(٧٩) .

ويقول : « مَنْ سَكَنَ في معرفتي على معرفة ، تنكرت عليه معارفه »^(٧٩) .

ويقول : « إن عرفتني بمعرفة ، أنكرتني من حيث عرفتني »^(٧٩) .

ويقول : مَنْ لم يغترف العلم من « عين العلم ، لم يعلم الحقيقة »^(٧٩) .

ويقول : مَنْ لم أتعرف اليه لا يعرفني^(٧٩) .

ويقول : « اذا تعرفت اليك سقطت المعارف من سواك ، واذا لم أتعرف اليك فمعرفتُك على أيدي العارفين »^(٧٩) .

ويقول : كل أحد تضره معرفته ، ألا العارف الذي وقف بي في معرفته »^(٨٠) .

ويقول : « مَنْ لم يكن جاذبه الله لم يصل الى الله »^(٨١) .

٣ - وفي هذا المعنى قال (أبو يزيد البسطامي) يخاطب علماء زمانه : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت »^(٨٢) .

ثانياً - ما مفهوم النص في ترجمة آربري ؟

١ - نلاحظ ان العبارة الواردة في النص : « مَنْ سَكَنَ في معرفتي على معرفة سواي ، أنكرني » ، قد جاء مفهومها في ترجمة الاستاذ آربري على النحو الآتي :

من سَكَنَ في معرفتي ، وهو يعرف سواي ، فقد أنكرني .

٢ - ويؤكد الاستاذ آربري هذا المعنى في تعليقه على النص قائلاً : ما معناه أن معرفة الانسان لسوى الله ، لا يمكن ان تتوافق مع معرفته لله . وهذا أصل كلماته^(٨٣) .

« The gnosis of other than God Cannot remain along with the gnosis of God » .

٣ - ويبدو لنا ان الاستاذ آربري قد ظن ان معنى هذا النص يشير الى ما قاله النفري (في احدى مخاطباته للدلالة على غرض

نص النفري^(٨٧)

« اذا وقفت بين يدي فلا يقف معك سواك » .

ترجمة آربري^(٨٨)

« When thou stayest before Me , nothing other than thee will stay with thee » .

استدراك وتعليق

لنا على ترجمة الاستاذ آربري ملاحظتان :

الملاحظة الاولى - (اليدان)

- ١ - عبارة النفري (بين يدي) يترجمها الاستاذ آربري : (أمامي before Me) . وصحيح ان (أمامي) تؤدي معنى (بين يدي) من وجهة النظر اللغوية ، ولكنها من حيث التصور الصوفي لا تؤدي المعنى الذي أراده النفري . ذلك ان اليتين عند الصوفية رمز لكل متقابلين ، وإغفال لفظ (اليتين) في الترجمة اسقاط لهذا الرمز الصوفي .
- ٢ - وترد في كتابي (المواقف والمخاطبات) للنفري العبارات الآتية .

(بين يدي) و (في يدي) و (على يدي) و (الى يدي) ، ولكل عبارة من هذه العبارات مفهوم له دلالة ومغزاه عند النفري ، وقد سبق ان فصلنا ذلك .

الملاحظة الثانية - (لا الناهية)

- ١ - في عبارة النفري (فلا يقف معك سواك) جاءت لفظة (لا) هنا (ناهية) . أما في ترجمة الاستاذ آربري فجاءت (نافية) ، ومن هنا وقع الخلل في الترجمة .
- ٢ - والذي نراه ان النفري اراد ان يقول على لسان الحق سبحانه :

اذا وقفت بين يدي ، فتجرد لي ، قف وحدك ، ولا تجعل سواك يقف معك .

- ٣ - و (سواك) تعني عند النفري اي فكرة او خاطر او هم او عزم او قصد او معرفة او علم او عمل ، وكل ما تعلق بسبب او نسب .
- ٤ - و (الوقفة) تشير الى (الوجود المطلق) وهي كما يقول النفري عنها : « الوقفة تنفي ما سواها كما ينفي العلم الجهل »^(٨٩) والواقف انما هو في حال التجريد والتفريد ، فمن البداهة ان ان يفهم وحده ، لا ينبغي ان يقف معه سواه .

يقول النفري في موقف (الوقفة) :

« إن بقي عليك جاذب من السوى لم تقف »^(٩٠) .

ويقول :

آخر) .

- « يا عبد ! قل للعبيد .. لو أنكرتم سواد عرفتموه » .
- ٤ - وفرق - كما ترى - بين معنى النص - كما عرضناه آنفاً - وبين المعنى الذي ذهب اليه الاستاذ آربري في ترجمته .

« العلماء شهود على العالمين »

نص النفري^(٩١)

« يا عبد ! اذا عرفت من أنت أشهدتك محل العلم بي من كل عالم ، ومقر الوجد بي من كل واحد ، فاذا أشهدتك ذلك كنت من شهودي على العالمين ، واذا كنت من شهودي على العالمين ، فابشر بمرافقة النبيين » .

ترجمة آربري^(٩٢)

« When thou knowest who thou art , I cause thee to witness the Place of the knowledge of Me in every knower , and the abode of the experience of Me in every experient : and when I cause thee to witness this , thou art part of My witnessing to the knowers , and when thou art Part of My witnessing to the knowers , the do thou rejoice in the companionship of the prophets .

استدراك وتعليق

- ١ - في نص النفري تتكرر كلمة (العالمين) مرتين ، ويراد بها هنا الناس او الخلق ، اما في ترجمة الاستاذ آربري فجاءت مرتين بمعنى (العلماء او العارفين - the knowers) ، ومن هنا وقع الخلل في الترجمة .

٢ - عبارة النفري « اذا عرفت من أنت أشهدتك محل العلم بي من كل عالم » تشير كما نرى الى الحديث المنسوب الى الرسول (ﷺ) :

(من عرف نفسه عرف ربه) ، وما اكثر ما يتردد هذا الحديث على ألسنة الصوفية ، وهو كما يرى المحققون ليس بثابت .

٣ - اما عبارة النفري « اذا كنت من شهودي على العالمين فابشر بمرافقة النبيين » فلعل أوضح تفسير لها ما قاله الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) :

« تحشر علماء هذه الأمة ، حفاظ الشريعة المحمدية في صفوف الأنبياء - لا في صفوف الأمم - فهم شهداء على الناس »^(٩٣) .

« الواقف ينفي المعارف كما ينفي الخواطر »^(٩٧)

ويقول :

« الواقف يبعد بقرب العالمين ، ويحتجب بعلوم العالمين »^(٩٨)

ويقول :

« اذا وقفت بي فالسوى حرمني فلا تخرج اليه فتتحل مني »^(٩٩) .

ويقول :

« آليت لا أقبلك وأنت ذو سبب أو نسب »^(١٠٠) .

ويقول في موقف (لا تفارق اسمي) :

« اذا وقفت بين يدي ناداك كل شيء فأحذر أن تصغي اليه بقلبك ، فاذا أصغيت اليه فكانك قد أحبته »^(١٠١) .

ويقول في كتابه (المخاطبات) :

« وقفت بين يدي فوار عني كل شيء ، حتى همك المحزون علي »^(١٠٢) .

ويقول :

« قف بين يدي وحدك ، لا بعلم ، فان العلم لا يواريك عني ، ولا يعمل فان العمل لا يعصمك مني ، ولا برؤية فان الرؤية لا تغني مني ، ولا بوقفة فان الوقفة لا تملك بها مني »^(١٠٣) .

ويقول :

« قف بين يدي في الدنيا وحدك .. واذا كنت وحدك لم تر إلا وجهي »^(١٠٤) .

(١١)

« الموت الأبيض »

نص النفري^(١٠٥)

« اذا لم تبال ببطنك ، لم تبال ما ذهب منك في وما بقي ، فان لم تبال بأهلك ولا ولدك ، رضيت به الى ان تلتقي » .

ترجمة أربري^(١٠٦)

When thou carest not inwardly , thou carest not what has departed from thee for my sake , or what remains : and if thou carest not for thy people and thy son , then thou acquiecest in it , until thou meetest » .

استدراك وتعليق

هذا النص من اشارات النفري الدقيقة العميقة ، وقد يبدو النص غامضاً غير مفهوم ، وقبل أن نخوض في شرحه ، نقول ان ترجمة الاستاذ أربري جاءت بعيدة عن مفهوم النص ، ولنا عليها

اربع ملاحظات :

الأولى : من الواضح ان لفظة (بطن) في العبارة (اذا لم تبال ببطنك) انما تعني خوف الانسان . اما في ترجمة الاستاذ أربري فجاءت بمعنى (الباطن) خلاف الظاهر ، على النحو الآتي : « inwardly » ، وشتان ما بين المعنيين .
الثانية : ان لفظة (اهلك) وردت في ترجمة أربري بمعنى : أقاريك او قومك (thy people) وهي ترجمة صحيحة لغوياً .

ولكن الذي نراه ان (اهلك) هنا في نص النفري تعني (زوجك) كما يفهم من سياق النص :
وفي (لسان العرب) - مادة (أهلك) :
« أهل الرجل عشيرته وذوو قرياه .. وأهل الرجل : زوجه » .
الثالثة : نرى ان لفظة (ولدك) في نص النفري جاءت بصيغة الجمع بمعنى (اولادك) بنين وبنات ، اما في ترجمة أربري فجاءت بصيغة المذكر المفرد ، بمعنى (ابنك) ، على النحو الآتي : (thy son) .

وفي (لسان العرب) - مادة (ولد) :
« الولد والولد ، بالضم : ما ولد ايا كان ، وهو يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى » .
الرابعة : في نص النفري وردت العبارة (رضيت به) - على لسان الحق سبحانه - ومعناها - كما نرى - : رضيت (أنا) بهذا الحال الذي بلغته (انت) .

اما في ترجمة الاستاذ أربري فقد جاءت العبارة على النحو الآتي :

(thou acquiecest in it) بمعنى . (أنت رضيت به) ، وهذا المعنى - كما نرى - لا يستقيم ومفهوم النص .

ما معنى نص النفري ؟

١ - الذي نراه ان هذا النص يدور حول مقام (التوكل) عند الصوفية . وللتوكل مراتب ودرجات ، أدناها درجة احتمال الصوفي للجوع طواعية واختياراً ، وهذا معنى قول النفري : « اذا لم تبال ببطنك » .

ويريد النفري ان يقول ، على لسان الحق سبحانه :
أنت ايها المرید التوكل السالك في طريق الحقيقة ، لن تكون صادق التوكل حتى تلتزم الجوع اختياراً .

٢ - والجوع (وهو الموت الأبيض) كما يسميه (حاتم الأصم) . حيث يقول :

« من دخل مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت : موت أبيض ، وموت أسود ، وموت أحمر ، وموت أخضر ، فالموت الأبيض : الجوع .. »^(١٠٧) .

ويأخذ (ابن عربي) بهذا المصطلح في كتابه (الفتوحات

المكية) فيقول :

« الجوع حلية أهل الله ، وأعني بذلك جوع المادة ، وهو الموت الأبيض »^(١٠٢) .

ويتحدث ابن عربي عن جوع الاختيار هذا ويعلل ضرورته للسالكين فيقول :

« فالجوع المطلوب في الطريق هو للسالكين جوع اختيار ، لتقليل فضول الطبع ، ولطلب السكون عن الحركة الى الحاجة »^(١٠٣) .

٣- ويقول (أبو سليمان الداراني) :

« اذا جاع القلب وعطش ، صفا ورق ، واذا شبع وروي عمي »^(١٠٤) ويقول كذلك :

« لكل شيء صداً ، وصداً نور القلب ، شبع البطن »^(١٠٥) ويقول (محمد بن الفضل)

« الدنيا بطنك ، فيقدر زهدك في بطنك ، زهدك في الدنيا »^(١٠٦) .

٤ - ما معنى قول النفري : « فان لم تبال بأهلك ولا ولدك ، رضىت

به الى ان تلتقي » ؟

الذي نراه أن النفري أراد أن يقول :

ان السالك اذا انصرف بكلية الى الحضور مع الله بحيث لم يعد يبال بأمر زوجه ولا بشأن اولاده ، فقد بلغ أعلى درجات التوكل (التسليم والتفويض) واصبح من أهل الله ، المنقطعين اليه . ومعنى « رضىت به الى انه تلتقي » : حسبي ذلك منك مادمت في دنياك هذه (لاحظ ان هذا الكلام جاء على لسان الحق سبحانه مخاطباً العبد وهو في موقف الادراك ، كما يقول لنا النفري) .

وعبارة النفري : (الى ان تلتقي) تشير - كما نرى - الى (يوم التلاق) .

قال تعالى : « يُلقِي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق »^(١٠٧) .

وقوله :- (يوم التلاق) - أي يوم القيامة ، وتخصيصه بذلك لالتقاء مَنْ تقدّم وَمَنْ تأخّر ، والتقاء أهل السماء والأرض ، وملاقاة كل أحد بعمله الذي قدّمه »^(١٠٨) .

هوامش القسم الثامن

(١٨) انظر تعليقات آريزي بالانجليزية الملحقه بترجمته لكتابي - المواقف والمخاطبات - للنفري ، ص ٢٤٣ - (الموقف ٧١) - الفقرة (١٠) .

(١٩) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٨٣ .

(٢٠) النفري - كتاب المواقف - ص ١٢٦ .

(٢١) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٥٧ .

(٢٢) ابو نعيم الاصبهاني - حلية الاولياء - ج ١٠ ص ٣٤ .

(٢٣) أبو عبدالرحمن السلمي - طبقات الصوفية - ص ١٥٩ .

(٢٤) المصدر السابق - ص ٥١ .

(٢٥) أبو نعيم الاصبهاني - حلية الاولياء - ج ٦ ص ٢٩٠ .

(٢٦) محيي الدين بن عربي - الفتوحات المكية - ج ١ ص ٢٩٦ .

(٢٧) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٩٦ .

(٢٨) النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة آريزي بالانجليزية -

ص ١٦٧ الفقرة (٦) .

(٢٩) سورة النور / ٢١ .

(٣٠) سورة النجم / ٣٢ .

(٣١) السيوطي - الجامع الصغير - ج ٢ ص ٢٢ .

(٣٢) المصدر السابق .

(٣٣) ابو نعيم الاصبهاني - حلية الاولياء - ج ٣ ص ٣٠ .

(٣٤) المصدر السابق - ج ٨ ص ٢٨٨ .

(٣٥) المصدر السابق - ج ٤ ص ٣٣١ .

(٣٦) محيي الدين بن عربي - الفتوحات المكية - ج ٤ ص ٨٠ .

(٣٧) النفري - كتاب المواقف - ص ٧٤ .

(٣٨) النفري - كتاب المواقف - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ٨٠

(١) النفري (محمد بن عبد الجبار) - كتاب المواقف - ص ٥٤ (تحقيق آرثر يوحنا آريزي - دار الكتب المصرية بالقاهرة - ١٩٣٤ - أعادت طبعه بالافست مكتبة المثنى ببغداد) .

(٢) النفري - كتاب المواقف - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ٦٦ - الموقف (٣٠) - الفقرة (٢) .

(٣) سورة الاسراء / ٧٢ .

(٤) السراج ، اللمع - ص ٤٢٦ .

(٥) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٦٤ (تحقيق آرثر يوحنا آريزي - دار الكتب المصرية بالقاهرة - ١٩٣٤ - أعادت طبعه بالافست مكتبة المثنى ببغداد) .

(٦) المصدر السابق - ص ٢٠٣ .

(٧) النفري - كتاب المواقف - ص ٦ .

(٨) النفري ، كتاب المخاطبات - ص ١٨٢ .

(٩) ينظر (رسائل ابن العربي) - كتاب الاعلام - ص ٣ .

(١٠) المصدر السابق - ص ٣ .

(١١) محيي الدين بن عربي - كتاب الفتوحات المكية - ج ٤ ص ٥٥ .

(١٢) النفري - كتاب المواقف - ص ٧٦ .

(١٣) النووي - رياض الصالحين - ص ٢٧٨ .

(١٤) سورة ق / ٢٢ .

(١٥) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٨٣ .

(١٦) النفري - كتاب المواقف - ص ١٢٨ .

(١٧) النفري - كتاب المواقف - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ١٢٠ الفقرة (١٠) .

- (الموقف - ٤٥ - الفقرة - ٣ -) .
- (٣٩) السراج - اللع - ص ٤٣١ .
- (٤٠) النفري - كتاب المواقف - ص ٧٢ .
- (٤١) المصدر السابق - ص ١٣٤ .
- (٤٢) النفري - كتاب المخاطبات - ص ٢١١ .
- (٤٣) أبو نعيم الاصبهاني - حلية الاولياء - ج ٨ ص ٢٨٨ .
- (٤٤) المصدر السابق - ج ٨ ص ٢٨٨ .
- (٤٥) ابن عربي - (رسائل ابن العربي - رسالة لا يعول عليه - ص ٣) .
- (٤٦) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٧٩ .
- (٤٧) النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ١٥٥ (المخاطبة رقم - ٢٤ - الفقرة - ٦) .
- (٤٨) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٦٦ .
- (٤٩) النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ١٤٧ (الفترة - ١٤ -) .
- (٥٠) النفري - كتاب المواقف - ص ٦٦ .
- (٥١) النفري - كتاب المواقف - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ٧٤ (الموقف رقم - ٣٦ - الفقرة - ٤٢ -) .
- (٥٢) النفري - كتاب المخاطبات - ص ٢٠١ .
- (٥٣) محيي الدين بن عربي - الفتوحات المكية - ج ٢ ص ٥٠٨ .
- (٥٤) المصدر السابق - ج ٢ ص ٤٨٤ .
- (٥٥) ابن عربي - (رسائل ابن العربي - كتاب التجليات - ص ٣٣) .
- (٥٦) النفري - كتاب المواقف - ص ١٦ .
- (٥٧) النفري - كتاب المواقف - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ٣٧ (الموقف - ٨ - الفقرة - ٩٧) .
- (٥٨) النفري - كتاب المواقف - ص ١٢ .
- (٥٩) المصدر السابق - ص ١٤ .
- (٦٠) المصدر السابق - ص ١٥ .
- (٦١) المصدر السابق - ص ١٤ .
- (٦٢) المصدر السابق - ص ١٤ .
- (٦٣) المصدر السابق - ص ١٤ .
- (٦٤) المصدر السابق - ص ١٦ .
- (٦٥) المصدر السابق - ص ١٤ .
- (٦٦) النفري - كتاب المخاطبات - ص ٢٠٧ .
- (٦٧) المصدر السابق - ص ١٧٧ .
- (٦٨) النفري - كتاب المواقف - موقف الاختيار - ص ٨١ .
- (٦٩) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٩٠ .
- (٧٠) النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ١٦٣ (المخاطبة رقم - ٣٥ - الفقرة - ١ -) .
- (٧١) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٦١ .
- (٧٢) النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ١٤٣ - (المخاطبة - رقم - ١٢ - الفقرة - ١١) .
- (٧٣) النفري ، كتاب المواقف - ص ١١ .
- (٧٤) المصدر السابق - ص ٢٨ .
- (٧٥) المصدر السابق - ص ٦١ .
- (٧٦) المصدر السابق - ص ٦٨ .
- (٧٧) المصدر السابق - ص ٢٠ .
- (٧٨) النفري - كتاب المخاطبات - ص ٢١٠ .
- (٧٩) النفري - كتاب المواقف - ص ٦١ .
- (٨٠) المصدر السابق - ص ٦٧ .
- (٨١) المصدر السابق - ص ٨٦ .
- (٨٢) محيي الدين بن عربي - الفتوحات المكية - ج ٣ - ص ٤١٣ .
- (٨٣) راجع تعليقات آريزي بالانجليزية ص ٢٤٧ (المخاطبة ، رقم - ١٢ - الفقرة رقم ١١) .
- (٨٤) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٤٦ .
- (٨٥) النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ١٣١ - ١٣٢ (المخاطبة رقم - ١ - الفقرة - ١٥ -) .
- (٨٦) محيي الدين بن عربي - الفتوحات المكية - ج ٣ ص ٤٠٠ .
- (٨٧) النفري - كتاب المواقف - ص ٤٦ .
- (٨٨) النفري - كتاب المواقف - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ٦٠ (الموقف رقم - ٢٤ - الفقرة - ٨ -) .
- (٨٩) النفري - كتاب المواقف - ص ١٣ .
- (٩٠) المصدر السابق - ص ٩ .
- (٩١) المصدر السابق - ص ١٥ .
- (٩٢) المصدر السابق - ص ١١ .
- (٩٣) المصدر السابق - ص ١١ .
- (٩٤) المصدر السابق - ص ١٧ .
- (٩٥) المصدر السابق - ص ٤٥ .
- (٩٦) النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٥٤ .
- (٩٧) المصدر السابق - ص ١٤٦ .
- (٩٨) المصدر السابق - ص ١٤٧ .
- (٩٩) النفري - كتاب المواقف - موقف الادراك - ص ٢١٨ .
- (١٠٠) النفري - كتاب المواقف - ترجمة آريزي بالانجليزية - ص ١٨٥ (موقف الادراك - الفقرة - ٢٠ -) .
- (١٠١) ابو عبدالرحمن السلمي - طبقات الصوفية - ص ٩٣ .
- (١٠٢) محيي الدين بن عربي - الفتوحات المكية - ج ٢ ص ١٨٧ .
- (١٠٣) المصدر السابق .
- (١٠٤) ابو عبدالرحمن السلمي - طبقات الصوفية - ص ٧٩ .
- (١٠٥) المصدر السابق - ص ٨١ .
- (١٠٦) المصدر السابق - ص ٢١٤ .
- (١٠٧) سورة غافر / ١٥ .
- (١٠٨) الراغب الاصفهاني - المفردات في غريب القرآن - مادة (لقي) .

القراءات القرآنية المتواترة في « غريب القرآن » للسجستاني

« القسم الاول »

بسم الله الرحمن الرحيم

■ نشأة القراءات القرآنية :

د. صالح مهدي
عباس

مركز إحياء التراث
العلمي العربي
جامعة بغداد

القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية الخالد ، وهو حجة الرسول الكريم (ﷺ) وآيته الكبرى ، وهو عماد لغة العرب الأسمى ، فمن أجل هذا كله ، كان القرآن الكريم موضع عناية الرسول الكريم (ﷺ) منذ نزل به الوحي عليه السلام وعلمه خمس آيات من سورة العلق^(١) فكان رسول الله (ﷺ) يحفظ ما ينزل عليه من القرآن الكريم ، ويتمهد صحابته بتعليم القرآن وحفظه ، والعمل به ، كما امره الله تعالى ، قال عز وجل : (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَبٍّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا)^(٢) .

ناحية من المدينة فتدارسوا وصلوا»^(٣) .
وبعث رسول الله (ﷺ) الصحابي الجليل مصعب بن عمير إلى المدينة يُعلم الأوس والخزرج القرآن في بيعة العقبة الاولى^(٤) .
وفي حياة الرسول (ﷺ) عُرف قسم من الصحابة بحفظ القرآن عن ظهر قلب فسَمُوا الحفَاطَ وهم : علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وأبو موسى الأشعري ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء عويمر بن زيد ، (رضي الله تعالى عنهم) .

وعن هؤلاء الحفاظ أخذ القرآن غرضاً ، وعليهم دارت أسانيد القراءة فيما بعد^(٥) .

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات وانتشر المسلمون في البلاد المفتوحة ، وكان منهم القُراء ، يعلمون المسلمين القرآن ، وكان أهل كل إقليم يأخذون بقراءة من اشتهر

ولما كان صحابة رسول الله (ﷺ) من قبائل شتى ، مختلفة في لهجاتها ، ومتفاوتة في قريها من لغة قريش ونفدها عنها ، فلم يكن باستطاعتهم أن ينطقوا قسماً من ألفاظ القرآن الكريم كما ينطقها الرسول الكريم (ﷺ) والصحابة من قريش ، فكانت الحاجة ماسة الى تيسير القراءة والتوسيع على المسلمين في قراءة القرآن ، وقد تجلّت مظاهر هذا التيسير في قول رسول الله (ﷺ) : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّر منه »^(٦) .

لقد حرص رسول الله (ﷺ) على تحفيظ القرآن وتعليمه للمسلمين كافة ، ومن أجل ذلك أمر بعض المسلمين بتعليم القرآن لآخوانهم الذين دخلوا في الإسلام ، وتعريفهم بأحكامه^(٧) .
وتعاهد قسم من الصحابة القرآن الكريم بالتلاوة ، والحفظ ، وتدارس سُوره وآياته حتى عُرفوا بالقُراء ، قال الواقدي : « كان من الأنصار سبعون رجلاً شَبَّهَ يُسمون القُراء ، كانوا إذا أمسوا أتوا

بينهم من الصحابة ... فاهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب ، وأهل الكوفة يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود ، وأهل البصرة يقرأون بقراءة أبي موسى الأشعري ... فكان بينهم اختلاف في حروف الاداء ، ووجوه القراءة ، وكان هذا مرخصاً به ، والمسلمون الجدد لم يتفهموا الأمر على وجهه الصحيح ، فوقع بينهم النزاع والشقاق ، وأخذ كل فريق يدعي أنه على الحق ، وأن غيره على الباطل ...^(٨)

وغلّ مكي بن ابي طالب هذا الخلاف بقوله : « وكان ذلك قد تعارف بين الصحابة على عهد النبي (ﷺ) فلم يكن ينكر أحد ذلك على أحد ، لمشاهدتهم من أباح ذلك ، وهو النبي (ﷺ) ، فلما انتهى ذلك الاختلاف الى ما لم يعاين صاحب الشرع ، ولا علم بما أباح من ذلك ، أنكر كل قوم على الآخرين قراءتهم ، واشتد الخصام بينهم ».^(٩)

فقام عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بإبان خلافته بتوحيد مرسوم المصحف الشريف ، فجمع حفظة القرآن وكتاب الوحي وقال لهم : « إني رأيت أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت ، ثم أبعث بها إلى الأمصار ، قالوا : نعم ما رأيت ...^(١٠) فالف لجنة لهذا العمل ، فلما تم نسخ المصاحف ، أرسل مع كل مصحف إماماً تكون قراءته موافقة لما في هذا المصحف غالباً ».^(١١)

ولم تكن نسخ مصاحف الأمصار متفقة موحدة ، بل فيها من الاختلاف بالحنف والإثبات مما لا تحتمله نسخة واحدة ، وقد فرقت اللجنة على مجموع المصاحف ، بحيث تحتوي المصاحف مجتمعة على كل ما ثبت قرآنيته في العرصة الأخيرة ، ولهذا تراهم يقولون : المصحف المكي ، والمصحف المدني ، والمصحف الشامي ..

وقد أكد المهدي هذا بقوله : « وإنما أقر عثمان ومن اجتمع على رأيه من سلف الأمة هذا الاختلاف في النسخ التي اكتتبت وبعثت إلى الأمصار لعلمهم أن ذلك من جملة ما أنزل عليه القرآن فأقر ليقراه كل قوم على روايتهم ».^(١٢) ومن هنا كانت قراءة كل أهل قطر تابعة لرسم مصحفهم^(١٣) .

وزعت المصاحف العثمانية على الأمصار الإسلامية — وقد اختلف في عددها^(١٤) وتركت القراءة بما سواها من مصاحف ، ولكن ما استقر حفظه بالصور من القراءات الأولى ظل ينقل عن طريق الرواية بما يوافق خط المصحف ، وظلت اللهجات التي اشتملت عليها تلك القراءات وبخاصة قراءة عبد الله بن مسعود ،

وأبي بن كعب قائمة في الأمصار . ثم أطل عصر التابعين وكان القراء فيه كثيرين ، قد أخذوا القراءات عن شيوخهم ، ووثقوها ، وصححت موافقتها لخط المصحف الشريف ، وكانت من الكثرة بحيث لا يمكن الإقراء بها جميعاً ، فعمد القراء إلى الاختيار ، فكان الإمام من القراء يختار قراءة معينة من مجموع ما يرويه عن شيوخه ، فهذا نافع بن ابي نعيم — وهو أحد القراء السبعة — يقول : « قرأت على سبعين من التابعين ، فما اهتمت عليه اثنان أخذته ، وما شد في واحد تركته حتى ألقت هذه القراءة ».^(١٥) ويمثل هذا كان أبو عمرو بن العلاء — وهو أحد القراء السبعة — قد « قرأ على ابن كثير وهو يخالفه في أكثر من ثلاثة آلاف حرف ، لانه قرأ على غيره ، واختار من قراءته ومن قراءة غيره قراءة ».^(١٦)

ومن هنا كانت القراءات السبع التي سبعتها ابن مجاهد ، والثلاث التي أقرها غيره « اختيارات أولئك القراء ، فإن كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءة ، ما هو الاحسن عنده والأولى ولزم طريقة منها ورواها ، وقرأ بها ، وأشتهرت عنه ونُسبت اليه فقليل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير ، ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ولا أنكره ، بل سوغه وخسنه ».^(١٧)

■ القراءات في الاصطلاح :

قال الزركشي : « والقراءات : أختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما ».^(١٨) وعرفها ابن الجزري بقوله : « القراءات علم بكيفية اداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لنقله ».^(١٩)

وعرفها الدمياطي بقوله : « علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحنف والاثبات ، والتحريك والتسكين ، والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال ، وغيره ، من حيث السماع ».^(٢٠)

ويقصد من هذه التعريفات : أن القراءة معرفة النطق بالفاظ كتاب الله المنزل على نبيه المرسل (ﷺ) كما نطقها النبي (ﷺ) ورويت عنه بالسماع الثابت المتصل .

■ أركان القراءة القرآنية :

أكثر علماء المسلمين على أن أركان القراءة الصحيحة المقبولة التي يتسلى به القرآن الكريم في الصلاة وخارجها ، ثلاثة وهي :

١ — موافقتها للغة العربية .

وأضاف بعضهم الى هذه الأركان ركناً رابعاً وهو : وجوب تواتر السند ، حيث لا يكتفي بصحته في قبول القراءة ما لم يكن متواتراً .^(٢١)

قال الإمام ابن الجزري : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وضُحِ سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ... »^(٢٢)

■ الاحتجاج بالقراءات :

القرآن الكريم أوثق نص عرفته العربية ، وهو يُعدُّ في صدارة النصوص العربية التي يستشهد بها فصاحة وبلاغة ، قال البغدادي : « كلامه عزُّ اسمه أفصح كلام وأبلغه ، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه » .^(٢٣)

ولما بدأ التأليف في القراءات القرآنية المتواترة والشاذة أصبح الرجوع إليها ضرورياً في وضع القواعد النحوية واللغوية ، فبدأت مرحلة الاستشهاد بالقراءات القرآنية في مدرستي البصرة والكوفة ، ولم يكن موقف نحاة المدرستين واحداً ، فالبصريون منذ سيبويه حاولوا أن يخضعوا هذه القراءات إلى قواعدهم وأقيستهم فما وافق هذه القواعد المقررة قبلوه واحتجوا به ، وما خالفها رفضوه ووصفوه بالشذوذ .^(٢٤)

أما الكوفيون فقد قبلوا القراءات التي تتجافى عن المنطق النحوي وأساليبه ، لأنها تقوم على الرواية والدقل ، وينوا عليها كثيراً من القواعد النحوية ، وكانوا يأخذون بالقراءات السبع وبغيرها من القراءات يحتجون بها فيما له نظير من العربية ، ويجيزون ما ورد فيها مما خالف الوارد عن العرب ، ويقيسون عليها فيجعلونها أصلاً من أصولهم التي يبنون عليها القواعد والإحكام .^(٢٥)

وقد ردُّ أئمة القراءات على البصريين منهجهم ، وعابوا أقيستهم ، ولم يتمسكوا بها . قال أبو عمرو الداني : « وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الإفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبات في الأثر والأصح في النقل ، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عريّة ، ولا فصولغة ، لأن القرآن سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها » .^(٢٦)

■ مؤلف « غريب القرآن » :

هو الإمام أبو بكر محمد بن عزيز العزيزي السجستاني العالم الأديب ، اللغوي ، المفسر .^(٢٧) كان خيراً صالحاً ، متواضعاً ، فاضلاً .

أقام ببغداد وأخذ عن أبي بكر محمد بن القاسم ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) وكان كثير الاختلاف إليه ، والتَّردُّ عليه ، وراجعه في كتابه « غريب القرآن » مراراً .

ولم تذكر مصادر ترجمته من شيوخه سوى ابن الأنباري ، ولم تتوسع في ترجمته أيضاً ، فلم نعرف عن حياته الأولى شيئاً باستثناء إقامته ببغداد وأخذه عن شيخه المذكور .

صنّف كتابه الوحيد^(٢٨) « غريب القرآن » ورواه عنه عدد من طلبته منهم : أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان المعروف بابن بطة العكبري البغدادي (ت ٣٨٧ هـ) ، وأبو عمرو عثمان بن أحمد بن سمعان الرزاز البغدادي (ت ٣٦٧ هـ) وأبو أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون السامزي البغدادي (ت ٣٨٦ هـ) وغيرهم .

اختلف العلماء في اسم أبيه أهو عَزِيزٌ - بزاين - أم عَزِيرٌ - بزاى متقدمة وراء متأخرة ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، ينسبونه الى النبي عزير (عليه السلام) تارة ، وتارة أخرى الى الجدّ ، وثالثة الى القبيلة ...

ولما شاهد الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) صاحب كتاب « المشتبه في أسماء الرجال ... » هذا الاختلاف من أئمة الأمانة وأعلام الصنعة قال : « فبعد هؤلاء الاعلام مَنْ يَسْلَمُ مِنَ الْوَهْمِ ! » .^(٢٩)

توفي أبو بكر السجستاني سنة ثلاثين وثلاث مئة ، وقيل : بعد سنة ثلاثين وثلاث مئة ، رحمه الله تعالى .

■ الكتاب « غريب القرآن » :

أشارت المصادر إلى أن السجستاني ألف كتابه « غريب القرآن » المعروف باسم « نزهة القلوب في غريب القرآن » في عدة سنين وخزّره ، وأجاد فيه ، وكان يراجع فيه شيخه أبا بكر ابن الأنباري ، فكان يُصلح له فيه مواضع . قدّم السجستاني لهذا الكتاب بمقدمة مقتضبة جداً لا تتجاوز ثلاثة أسطر ، حيث قال : « الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً ، وبعد : فهذا

تفسير غريب القرآن ، ألف على حروف المعجم ، ليقرب تناوله ، ويسهل حفظه على من أَرَادَهُ ، وبالله التوفيق والعون» (٢٠) .

ثم جعل كل حرف من حروف المعجم (باباً) وقسم الباب الواحد على ثلاثة أقسام تبعاً للحركات الاعرابية : الفتحة ، والضمة ، والكسرة ، وجعل الحرف على النحو الآتي : « باب الباء المفتوحة » ثم « باب الباء انضماماً » ثم « باب الباء المكسورة » وهكذا ...

ورُتَّب المواد داخل الباب على حسب وروده في سور القرآن الكريم فابتدأ بسورة الفاتحة ثم البقرة .. وانتهى بسورة الناس .

وجعل المدخل لكل لفظة من القرآن الكريم كلمة واحدة أو أكثر حسب مجيئها في القرآن داخل الآية الكريمة من دون الرجوع باللفظة إلى أصلها أو جذرها الثلاثي .

أما القراءات القرآنية المتواترة والشاذة التي وردت في الكتاب فلم ينسبها إلى إمام من أئمة القراءات إلا في حالتين نسب في الأولى قراءة شاذة إلى ابن عباس وفي الثانية قراءة ليحيى بن يعمر ، وهي شاذة أيضاً .

وقدَّم لكل قراءة بلفظ « وقرئ » و « قرئت » و « يقرأ » للدلالة على أن في هذا اللفظ قراءة معروفة .

أما المعاني اللغوية التي فسَّر بها الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم ، وبخاصة الألفاظ التي تضمنت القراءات القرآنية فقد كانت على غاية من الدقة والشمول والجودة ، تماثل جهود علماء اللغة والمفسرين ، ولا غرابة في ذلك ، فقد وصفه الإمام الذهبي بـ « المُفسِّر » وأثنى عليه (٢١) .

■ عملي في البحث :

١ — خُرِجَت القراءات القرآنية الواردة في الكتاب من أمهات كتب القراءة ، ونسبت كل قراءة إلى إمام من الأئمة أصحاب القراءات السبع أو العشر . أما القراءات الشاذة فقد خرجتها من الكتب الهمنية بها .

٢ — استبعدت القراءات الشاذة المتداخلة في النص الواحد مع القراءات المتواترة ، وأفرقتها في بحث مستقل خاص بها .

٣ — ذكرت مع القراءات المعاني اللغوية الواردة في كتب القراءات لهذه الألفاظ ، لتكون دليلاً واضحاً على جهد السجستاني وقدرته اللغوية .

٤ — لم أعرف بائمة القراءات لشهرتهم التي تغني عن التعريف .

٥ — أشرت إلى الرسم المصحفي لكل قراءة معتمداً في ذلك على المصحف الشريف برواية حفص بن سليمان لرواية عاصم بن أبي النجود الكوفي .

وختاماً أرجو أن يكون عملي هذا خالصاً لوجه الله تعالى ، وهو موفق لكل خير ، انه نعم المولى ونعم النصير .

* القراءات القرآنية المتواترة

قال أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني :

(أَشَدُّ وَطْأً) (٢٢) أثبت قياماً . يعني أن ناشئة الليل وهي ساعاته ، أو طاً للقيام وأسهل على المُصَلِّي من ساعات النهار ، لأن النهار خلق لتصرف العباد فيه ، والليل خُلِقَ للنَّوْمِ والزَّاحَةِ والخلوة من العمل ، فالعبادة فيه أسهل .

وجواب آخر : (أَشَدُّ وَطْأً) أي : أَشَدُّ على المُصَلِّي من صلاة النهار ، لأن الليل خُلِقَ للنَّوْمِ ، فإذا أُزِيلَ عن ذلك ثقل على العبد ما يتكلفه فيه ، وكان الثَّوَابُ أعظم من هذه الجهة .

وَقُرَّتْ : (أَشَدُّ وَطْأً) أي : مُوَاطَأة ، أي :

أجدر أن يواطىء اللسان القلب والقلب العمل .

وَقُرَّتْ : (٢٣) (أَشَدُّ وَطْأً) وقيل : هو بمعنى الوطء .

وقال الفراء : لا يقال الوطء ، وما زوي عن أحد ، ولم يجزه (٢٤) .

* تخريج القراءة :

قرأ أبو عمرو ، وابن عامر (وَطْأً) بكسر الواو ممدودة الألف ، مصدر : وطأ يواطىء مواطاة ووطأً ، ومعناه : يواطىء السمع القلب ، لأن صلاة الليل أثقل من صلاة النهار ، لما يفتش الإنسان من النَّعَاسِ . ومعناه : أَشَدُّ مكابدة .

وقرأ الباقر : (وَطْأً) بفتح الواو وسكون الطاء والقصر ، أي : أثقل على المُصَلِّي من ساعات النهار ، وهو من قولهم : اشتدت على القوم وطأة سلطانهم (٢٥) .

وقال السجستاني :

(فَأَذِّنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ) أي : اعلَمُوا ذلك واسمعوا وكونوا على أذنٍ منه .

ومن قرأ : (فَأَذِّنُوا) أي : فَأَعْلِمُوا غيركم ذلك (٢٦) .

* تخريج القراءة :

قرأ حمزة ، وأبو بكر عن عاصم (فَأَذِّنُوا) مفتوحة الهمزة

ممدودة ، والدَّال مكسورة ، أي : فاعلموهم وأخبروهم بأنكم على حريهم .

وقرأ الباقيون : (فاذنوا) ساكنة الهمزة ، مفتوحة الدَّال ، أي : فاعلموا أنتم — يقال : أذن به يأذن إذناً : إذا علم به .^(٢٨)

وقال أبو عبيد :

الاختيار القَصر ، لأنه خطاب بالامر والتحذير ، وإذا قال (فاذنوا) بالمد والكسر ، فكان المخاطب خارج من التحذير ، مأمور بتحذير غيره وإعلامه .^(٢٩)

• وقال السُّجستاني :

(الياسين)^(٣٠) يعني الياس وأهل دينه ، جمعهم بغير إضافة بالياء والنون على العدد ، كأن كل واحد أسمه إلياس . وقال بعض العلماء : يجوز أن يكون إلياس والياسين بمعنى واحد ، كما يقال : ميكال وميكانيل .^(٣١)

ويقرأ : ﴿ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴾ أي : على آل محمد (ﷺ) .^(٣٢)

• تخريج القراءة :

قرأ نافع ، وابن عامر ، ورويس عن يعقوب ﴿ آلِ يَاسِينَ ﴾ بفتح الالف الممدودة ، وكسر الهمزة مقطوعة من (ياسين) أي : على آل محمد (ﷺ) وآله .

وقرأ الباقيون ﴿ إِيَّاسِينَ ﴾ بكسر الالف وسكون اللام موصولة بياسين ، أنه أراد (إلياس) فزاد في آخره الياء والنون ، ليساوي به ما قبله من رؤوس الياي .^(٣٣)

وقال السُّجستاني :

﴿ تَنَبَّأَ بِالذُّهْنِ ﴾^(٣٤) ناولها : أنها تنبأت ومعها الذهن ، لا أنها تُغذَى بالذهن .

وقرنت : ﴿ تَنَبَّأَ بِالذُّهْنِ ﴾ أي : ما تنبته كأنه — والله أعلم — يخرج ثمرها ومعها الذهن ، وقال قوم : الياء زائدة ، إنما يعني : تنبت الذهن ، أي : ما تعصرون فيكون ذهناً .^(٣٥)

• تخريج القراءة :

قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ورويس بضم التاء وكسر الياء ، مضارع أنبت ، بمعنى نبئت ، فيكون لازماً . وقيل : مُغَذَى بالهمزة . أي : تُنَبَّأُ زيتونها أو جناتها ومعها الذهن .

وقرأ الباقيون : بفتح التاء وضم الباء ﴿ تَنَبَّأَ ﴾ مضارع نبت لازم ، أي : تَنَبَّأَ مُلْتَبَسَةً بِالذُّهْنِ .^(٣٦)

وقال السُّجستاني :

﴿ حَقِيقَ عَلِيٍّ ﴾^(٣٧) أي : حق علي ، واجب علي . ومن قرأ : ﴿ حَقِيقَ عَلِيٍّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ فمعناه : أنا حَقِيقُ بَأْنِ لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ .^(٣٨)

• تخريج القراءة :

قرأ نافع بفتح الياء مُشَدَّدة ﴿ عَلِيٍّ ﴾ أي : واجب علي ، كما يقول الرُّجُل : هذا علي واجب . وقرأ الباقيون بالتخفيف ﴿ عَلِيٍّ ﴾ ومعناه : حَقِيقُ بَالَا أَقُولُ ، كقولك : جَدِيرُ وَخَلِيقُ أَلَا أَفْعَلُ كَذَا .^(٣٩)

وقال السُّجستاني :

﴿ جَلٍّ ﴾^(٤٠) أي : حلال ، وحِزْمٌ : حرام . وقد قرنت : ﴿ وَحِزْمٌ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾^(٤١) وَحِزْمٌ عَلَى قَرْيَةٍ والمعنى واحد .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنْتَ جَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ أي : حلال — ويقال : جَلٌّ : خَالٌ سَاكِنٌ ، أي : لا أقسم به بعد خروجك منه .^(٤٢)

• تخريج القراءة :

قرأ حمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم بكسر الحاء واسكان الزاء وَخَفَّ الْأَفَّ وَحِزْمٌ بمعنى : وواجب على قرية .

وقرأ الباقيون بفتح الحاء والراء واثبات الالف ﴿ وَخِزَامٌ ﴾ بمعنى : ضِدُّ الْحَلَالِ .^(٤٣)

وهما لفتان : حِزْمٌ وَخِزَامٌ مثل : جَلٌّ وَحَلَالٌ .^(٤٤)

وقال السُّجستاني :

﴿ خُلُقِ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٤٥) أي : اختلاقهم وكذبهم . وقرنت : ﴿ خُلُقِ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي : غادتهم .^(٤٦)

• تخريج القراءة :

قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، وأبو جعفر ، ويعقوب ﴿ خُلُقِ ﴾ بفتح الخاء وسكون اللام ، ومعناه : اختلاقهم وكذبهم ، كأنهم قالوا ليهود عليه السلام : ما هذا الذي أتيتنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم .

وقرأ الباقيون بضم الخاء واللام ﴿ خُلُقِ ﴾ فمعناه : عادة الأولين ، أي : ما هذا الذي نفعله نحن إلا عادة الأولين

وقال السجستاني :

﴿ السُّدُنِ ﴾^(٧٠) و ﴿ السُّدُنِ ﴾ يقرء آن جميعاً ، أي :

جِيلَان .

ويقال : ما كان مشدوداً خَلَقَهُ فهو (سُدُّ) بالضم ، وما كان من عمل الناس فهو (سُدُّ) — بالفتح —^(٧١)

تخريج القراءة :

قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم ﴿ بَيْنَ السُّدُنِ ﴾ بفتح السُّدُنِ ، جعلوه من الحاجز الذي بينك وبين الشيء .

وقرأ الباقر ﴿ بَيْنَ السُّدُنِ ﴾ بضم السُّدُنِ ، جعلوه من السُّدِّ في العين^(٧٢)

قال أبو عبيد :

كُلُّ شَيْءٍ وجدته العرب من فعل الله من الجبال والشعاب فهو (سُدُّ) — بالضم — وما بناه الانسيون فهو (سُدُّ) — بالفتح — «^(٧٣)

* وقال السجستاني :

﴿ سَالِمًا لِرَجُلٍ ﴾^(٧٤) أي : خالصاً لرجل لا يشركه فيه أحد غيره . يقال : سلم الشيء لفلان : إذا خلص له .ويقرأ ﴿ سَلَمًا ﴾ و ﴿ سَلَمًا ﴾ وهما مصدران وُصِفَ بهما : أي سلم إليه فهو سَلِمَ وسَلِمَ ، لا يعترض عليه أحد . وهذا مَثَلٌ ضربه الله عز وجل لأهل التوحيد ، ومَثَلٌ الذي عُبِدَ الآلهة مَثَلٌ صاحب الشركاء المتشاكسين أي : المختلفين العسرين وقال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾^(٧٥) .

* تخريج القراءة :

قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب :

﴿ سَالِمًا لِرَجُلٍ ﴾ بالالف وكسر اللام ، أي : خالصاً لا شركة فيه ، وهو أَسَمُ الفاعل من : لِمَ فهو سَالِمٌ .

وقرأ الباقر ﴿ سَلَمًا ﴾ بغير ألف وفتح اللام ، وهو مصدر سَلِمَ سَلَمًا ، وُصِفَ به مبالغة في الخلوص من الشركة ، وليس بمعنى الصلح الذي هو ضد الحرب^(٧٦)

وقال السجستاني :

﴿ الصُّدْفَيْنِ ﴾ و ﴿ الصُّدْفَيْنِ ﴾^(٧٧) نَجِيثِي الْجَبَلِ . وقوله عز وجل : ﴿ سَاوَى بَيْنَ الصُّدْفَيْنِ ﴾^(٧٨) ويقرأ : ﴿ الصُّدْفَيْنِ ﴾ أي : ما بين الناحيتين من الجبلين .

* تخريج القراءة :

قرأ نافع ، وحزمة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ، وأبو

وقال السجستاني :

﴿ فَرْوُخٌ وَرِيحَانٌ ﴾^(٧٩) رَوْحٌ : نسيم طَيِّب ، وريحان : رزق .ومن قرأ : ﴿ فَرْوُخٌ ﴾ يقول : حياة لا موت فيها^(٨٠)

* تخريج القراءة :

قرأ رؤيس بضم الراء ﴿ فَرْوُخٌ ﴾

ومعناه : الرُحمة ، أو الحياة الدائمة .

وقرأ الباقر بالفتح ﴿ فَرْوُخٌ ﴾ ومعناه :

الفرج ، وقيل : المغفرة والرحمة . وقيل غير ذلك^(٨١)

وقال السجستاني :

﴿ وَرَيْثًا ﴾^(٨٢) بهمة ساكنة قبل الياء ، ما رأيت عليه من

شارة وهيئة .

﴿ وَرِيًا ﴾ بغير همز ، يجوز أن يكون على المعنى الاول ،

ويجوز أن يكون على الرِّي ، أي : منظرهم مُرَبِّو من النعمة .

﴿ وَرِيًا ﴾ بالرَّي ،^(٨٣) يعني : هيئة ومنظرًا .وقد قرئت بهذه الثلاثة الأوجه^(٨٤)

* تخريج القراءة :

قرأ قالون عن نافع ، وابن ذكوان عن ابن عامر ، وأبو جعفر بتشديد الياء بغير همز ﴿ وَرِيًا ﴾ يحتمل أن يكون إشارة الى حسن البشرة ، ويحتمل أن يكون من الرِّي ، مصدر روى يروي رياء إذا امتلا من الماء ، لأن الرِّيَّان له من الحسن والنضارة ما يستحسن . وقرأ الباقر : بالهمز وتخفيف الياء ﴿ وَرِيًا ﴾ من رؤية المنظر والحسن^(٨٥)

وقال السجستاني :

﴿ زَاكِيَّةٌ ﴾^(٨٦) و ﴿ زَكِيَّةٌ ﴾ قرىء بهما جميعاً .

وقيل : نفس زاكية : لم تذنّب قَطْ ، وزَكِيَّةٌ : أذنبت ثم عُفِرَ

لها^(٨٧)قال أبو عمرو^(٨٨) الصَّوَابُ : زَكِيَّةٌ في الحال ، وزَاكِيَّةٌ في

غد ، فالاختيار (زَكِيَّةٌ) مثل : ميت ومائت ، ومريض ومارض عن

قليل^(٨٩)

* تخريج القراءة :

قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب

﴿ زَاكِيَّةٌ ﴾ بالالف ، على معنى أنها لم تذنّب قَطْ .

وقرأ الباقر ﴿ زَكِيَّةٌ ﴾ بغير ألف ، على معنى أنها أذنبت ثم

تابت^(٩٠)

جعفر ، وخلف ﴿ بَيْنَ الصَّدْفَيْنِ ﴾ بفتح الدال والضاد ، وأرادوا خِفَّةَ الفتح ، والواحد عندهم (صَدَقَ) ودليلهم : أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) : مَرَّ بِصَنْغٍ مَائِلٍ فَأَسْرَعَ » .^(٨٠)

وقرأ الباقر : ﴿ بَيْنَ الصَّدْفَيْنِ ﴾ بضم الضاد ، والدال ، وأنهم أتوا باللفظ على الاصل واتبعوا الضم .

وهما لغتان : الضم لغة قريش ، والفتح لغة الحجاز .
وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿ الصَّدْفَيْنِ ﴾ بضم الضاد وسكون الدال — جعله اسماً للجبيل بذاته ، غير مثني .^(٨١)

وقال السجستاني :

﴿ طَوِيَّ ﴾^(٨٢) و ﴿ طَوِي ﴾ يقرءان جميعاً . ومن جعله أسم أرض لم يضره ، ومن جعله أسم الوادي صرّفه ، لأنه مذكر ، ومن جعله مصدراً كقولك : ناديته طوى ويثى ، أي : مَرَّتَيْنِ — صرّفه أيضاً .^(٨٣)

* تخريج القراءة :

قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب باسكان الياء من غير صرف ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوِي ﴾ . وقال الرُّجَّاج : « وَمَنْ لَمْ يُنَوِّنْ تَرَكَ صَرْفَهُ مِنْ جِهَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا : أَنْ يَكُونَ مَعْدُولًا عَنْ « طَاوٍ » فَيَصِيرُ مِثْلَ (عَمَر) الْمَعْدُولُ عَنْ (عَامِر) . وَالْجِهَةُ الْآخَرَى : أَنْ يَكُونَ أَسْمًا لِلْبُقْعَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٨٤) ﴿ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾^(٨٥) .

وقرأ الباقر بالتثنية والصرف ﴿ طَوِي ﴾ فهو أسم الوادي ، وهو مذكر ، فصرف ، لأنه لم تجتمع فيه عِلَّتَانِ تمنعانه الصرف .^(٨٦)

وقال السجستاني :

﴿ قِطْعًا مِنْ اللَّيْلِ ﴾^(٨٧) جمع قطعة .

ومن قرأ : ﴿ قِطْعًا ﴾ بتسكين الطاء ، أراد أسم ما قطع ، تقول : قطعت الشيء قطعاً (بفتح القاف في المصدر) وأسم ما قطع فسقط : قطع ، والجمع أقطاع .^(٨٨)

* تخريج القراءة :

قرأ ابن كثير ، والكسائي ، ويعقوب : ﴿ قِطْعًا ﴾ ساكنة الطاء ، واسكانه على وجهين : أحدهما : أن تريد أن تجمع قطعة : قِطْعًا ، كما تقول في : سِدْرَةٍ وَسِدْرٍ .

والثاني : إن شئت جعلت (الْقِطْع) واحداً ، تريد ظلمة من الليل ، أو بقية من سواد الليل .

وقرأ الباقر : ﴿ قِطْعًا ﴾ بفتح الطاء جمع قطعة ، مثل : خَزَقَةٌ وَخَزَقٌ . وفيه معنى المبالغة في سواد وجوه الكفار .^(٨٩)

وقال السجستاني :

﴿ مُجْرَاهَا ﴾^(٩٠) أي : إجراؤها ، أي : إقراؤها .

وقرئت : ﴿ مُجْرَاتِهَا ﴾ بالفتح ، أي : جَرَّتِهَا . ﴿ وَمُرْسَاهَا ﴾ أي : استقارها .^(٩١)

* تخريج القراءة :

قرأ حمزة ، والكسائي ، وعاصم في رواية حفص ، وخلف ﴿ مُجْرِيهَا ﴾ بفتح الميم وكسر الزاء على الإمالة ، من : جرت السفينة جرياً ومجّرى ، وقالوا : إن معنى ذلك : بسم الله حين تجري .

وقرأ الباقر ﴿ مُجْرَاتِهَا ﴾ — بضم الميم — أي ما : بالله إجراؤها .

يقال : أجرّيته مجرى وإجراءً ، في معنى واحد ، وهما مصدران . وخجّتهم : إجماع الجميع على ضم الميم في ﴿ مُرْسَاهَا ﴾ ، فَرُدُّ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ إِلَى مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ .^(٩٢)

وقال السجستاني :

﴿ هَيْثَ لَكَ ﴾^(٩٣) أي : هَلَمْ ، أي : أَقْبَلَ إِلَى مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ . وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هَيْثَ لَكَ ﴾ أي : إرادتي بهذا لك .
وقرئت : ﴿ هَيْثَ لَكَ ﴾ ومعناه : تَهَيَّأْتُ لَكَ .^(٩٤)

* تخريج القراءة :

قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن ذكوان عن ابن عامر ﴿ هَيْثَ ﴾ بكسر الهاء ، وياء ساكنة ، وفتح التاء ، وإنما كسروها لمكان الياء ، وهي لغة ، بمعنى (أَقْبَلَ) .

وقرأ أبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف ﴿ هَيْثَ ﴾ بفتح الهاء والتاء ، وياء ساكنة ، بمعنى : هَلَمْ ، وتعال ، وأقبل إلى ما أدعوك إليه .

وقرأ هشام عن ابن عامر ﴿ هَيْثَ ﴾ بالهمز ، من الهيئة ، كأنها قالت : تَهَيَّأْتُ لَكَ .

وقرأ ابن كثير ﴿ هَيْثَ ﴾ بفتح الهاء ، وضم التاء تشبيهاً بـ (خَيْثُ) .^(٩٥)

وقال السجستاني :

﴿ يَأْتَلِ ﴾^(٩٦) يحلف ، يفتعل من الالية ، وهي اليمين .
وقرئت : ﴿ يَتَّالِ ﴾ على يتفعل من الالية أيضاً . ويأتل أيضاً : يفتعل ، من قولك : ما ألوت جهداً :

أي : ما قُصِرْتُ .^(٩٧)

* تخريج القراءة :

قرأ أبو جعفر ولا يتأل ﴿ بهمزة مفتوحة بين التاء واللام ،

وتشديد اللام وفتحها ، على وزن يتفعل ، مضارع (تالى)
بمعنى : حلف .

وقرأ الباقون ﴿ وَلَا يَأْتِلْ ﴾ بهمزة ساكنة بين الياء والتاء ،
وكسر اللام مُخَفَّفَةً ، من ألوت : قصرت فالقراءتان بمعنى
واحد (١٨) .

وقال السُّجِسْتَانِي :

﴿ يَزْفُون ﴾ (١٩) أي : يسرعون ، يقال : جاء الرجلُ يزف زفيف
النعامة ، وهو أول عدوها وآخر مشيها .

ويقرأ : ﴿ يَزْفُون ﴾ أي : يصيرون إلى الزفيف ، ومنه قوله :

تَمْنَى حُصَيْنٌ أَنْ يَسُوْدَ جِدَاعُهُ

فَأَمْسَى حُصَيْنٌ قَدْ أَذْلَ وَأَقْهَرَ (٢٠)

معناه (٢١) : أقهر ، أي : صار إلى القهر .

قال أبو عمر (٢٢) : الجذاع ههنا : صبيان أخيه ، أراد أن
يتبناهم ، فجاء أحوالهم فآخذوهم .

ويقرأ : ﴿ يَزْفُون ﴾ بالتخفيف (٢٣) من : وزف يزف ، بمعنى
أسرع ، ولم يُعرفها الكسائي والقراء .

قال الزُّجَاج : وعزفها غيَّزَها (٢٤) .

*** تخريج القراءة :**

قرأ حمزة — وحده — ﴿ يَزْفُون ﴾ بضم الياء ، وقرأ الباقون :
﴿ يَزْفُون ﴾ بفتح الياء ، من (زفت) وهو الاختيار ، والعرب
تقول : زَفَّ يَزِفُ زَفِيفًا : إذا أسرع . ويقال : زَفَّت الإبلُ تَزِفُ : إذا
أسرعت . وأما حمزة فإنه جعله لغتين : زَفَّ وأَزَفَّ .

ويجوز أن يكون : زَفَّ الرَّجُلُ بنفسه ، وأَزَفَّ غيره ، فيكون
المعنى : فأقبلوا إليه يَزْفُون أنفسهم . ويجوز أن يكون المعنى :
يحملون غيرهم على الرِّفِيف (٢٥) .

وقال السُّجِسْتَانِي :

﴿ يُلْجَدُونَ فِي أَسْمَانِهِ ﴾ (٢٦) أي : يَجُوزُونَ في أسمائه عن
الحق ، وهو : اشتقاقهم اللَّات من الله ، والعزى من العزيز .

وقرئت : ﴿ يُلْخَدُونَ ﴾ أي : يَمِيلُونَ (٢٧) .

*** تخريج القراءة :**

قرأ حمزة ﴿ يُلْخَدُونَ ﴾ بفتح الياء والحاء . وقرأ الباقون
﴿ يُلْجَدُونَ ﴾ — بضم الياء وكسر الحاء — وهما لغتان : لَخَدَ
وَأَلْخَدَ . وقيل : يُلْخَدُونَ : أي : يطعنون في أسمائه . ويُلْجَدُونَ :
يُعرضون (٢٨) .

وقال السُّجِسْتَانِي :

﴿ لَيُزْلَقُونَكَ ﴾ (٢٩) أي : يزيلونك . يقال :

يعتانونك ، أي : يصيبونك بعيونهم .

وقرئت : ﴿ لَيُزْلَقُونَكَ ﴾ ، أي : ليستأصلونك من قولهم : زلق
رأسه وأزلقه : إذا حلقه (٣٠) .

*** تخريج القراءة :**

قرأ نافع ، وأبو جعفر — بفتح الياء — ﴿ لَيُزْلَقُونَكَ ﴾ . وقرأ
الباقون : ﴿ لَيُزْلَقُونَكَ ﴾ بضم الياء — . فالفتح مأخوذ من الفعل
اللاثي : زلق يزلق .
وقراءة الضم مأخوذة من الفعل الرباعي : أزلق يزلق
ومعناها : ليصيبونك بأبصارهم لا بأعينهم (٣١) .

الهوامش

- (١) مقدمات في علوم القرآن : ٤٦ .
- (٢) سورة الإسراء / الآية ١٠٦ .
- (٣) صحيح البخاري : ٢١٨ / ٦ ، صحيح مسلم : ٥٦٠ / ١ .
- (٤) السيرة النبوية لابن هشام : ٣٠٨ / ٢ .
- (٥) المغازي : ٣٤٧ / ١ .
- (٦) غاية النهاية : ٢٩٩ / ٢ .
- (٧) معرفة القراء الكبار : ٤٢ / ١ .
- (٨) مناهل العرفان : ٢٤٨ / ١ باختصار .
- (٩) الإبانة عن معاني القراءات : ٢٧ .
- (١٠) مقدمات في علوم القرآن : ٤٤ — ٤٥ .
- (١١) مناهل العرفان : ٤٠٦ / ١ .
- (١٢) هجاء مصاحف الأمصار : ١٢١ .
- (١٣) غيث النفع : ٢١٨ .
- (١٤) المقنع : ٨ ، والنشر : ٧ / ١ .
- (١٥) كتاب السبعة : ٦٢ ، ومعرفة القراء الكبار : ١٠٩ / ١ .
- (١٦) الإبانة : ١٧ . (١٧) البرهان : ٢٢٧ / ١ .
- (١٨) البرهان : ٣١٨ / ١ . (١٩) منجد المقرئين : ٢ .
- (٢٠) اتحاف فضلاء البشر : ٥ .
- (٢١) لطائف الإشارات : ٦٩ / ١ .
- (٢٢) النشر : ٩ / ١ . (٢٣) خزانة الأدب : ٤ / ١ .
- (٢٤) الدراسات اللغوية عند العرب : ٣٤٩ ، والدراسات النحوية
واللغوية عند الزمخشري : ٤٠ .
- (٢٥) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه : ٤٧ .
- (٢٦) الإتيقان : ٢١١ / ١ .

(٢٧) ترجمته في : نزعة الالباء : ٢٣١ - ٢٣٢ ، واللباب في تهذيب الانساب : ٢ / ٣٢٨ ، وسير اعلام النبلاء : ١٥ / ٢١٦ - ٢١٧ ، والوافي بالوفيات : ٤ / ٩٥ ، وبغية الوعاة : ١ / ١٧١ - ١٧٢ ، والاعلام للزركلي : ٦ / ٢٦٨ ، وتاريخ التراث العربي لسركين : ١ / ٢١١ - ٢١٢ ، ومعجم المؤلفين : ١٠ / ٢٩٢ .

(٢٨) لم أجد نكراً لغيره من مصنفاته .

(٢٩) سير اعلام النبلاء : ١٥ / ٢١٧ .

(٣٠) غريب القرآن : ٢ .

(٣١) سير اعلام النبلاء : ١٥ / ٢١٦ .

(٣٢) سورة المزمل / الآية ٦ .

(٣٣) هي قراءة ابن محيى ، وهي من القراءات الشواذ : (البحر المحيط : ٨ / ٣٦٣ ، واثحاب فضلاء البشر : ٤٢٦) .

(٣٤) غريب القرآن : ٢٣ - ٢٤ .

(٣٥) كتاب السبعة : ٦٥٨ ، والحجة لابن خالويه : ٣٥٤ ، والحجة لابن زنجلة : ٧٣٠ - ٧٣١ ، والنشر : ٢ / ٣٩٣ .

(٣٦) سورة البقرة / الآية ٢٧٩ .

(٣٧) غريب القرآن : ٣٢ .

(٣٨) كتاب السبعة : ١٩١ - ١٩٢ ، والحجة لابن خالويه : ١٠٣ ، والكشف : ١ / ٣١٨ ، والتيسير : ٨٤ ، والحجة لابن زنجلة : ١٤٨ ، والنشر : ٢ / ٢٣٦ ، وغيث النفع : ١٧٠ .

(٣٩) الحجة لابن زنجلة : ١٤٨ - ١٤٩ .

(٤٠) سورة الصافات / الآية ١٣٠ ورسمت في المصحف الشريف ﴿ آل ياسين ﴾

(٤١) الحجة لابن زنجلة : ٦١١ .

(٤٢) غريب القرآن : ٣٦ .

(٤٣) كتاب السبعة : ٥٤٩ ، والحجة لابن خالويه : ٣٠٣ ، والمبسوط : ٣١٧ ، والحجة لابن زنجلة : ٦١٠ - ٦١١ ، والإقناع : ٢ / ٧٤٧ ، والنشر : ٢ / ٣٥٩ ، واثحاب فضلاء البشر : ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٤٤) سورة المؤمنون / الآية ٢٠ .

(٤٥) غريب القرآن : ٥٤ .

(٤٦) كتاب السبعة : ٤٤٥ ، والحجة لابن خالويه : ٢٥٦ ، والمبسوط : ٢٦١ ، والكشف : ٢ / ١٢٧ ، والتيسير : ١٥٩ ، والحجة لابن زنجلة : ٤٨٤ - ٤٨٥ ، والنشر : ٢ / ٣٢٨ ، واثحاب فضلاء البشر : ٣١٨ .

(٤٧) سورة الاعراف / الآية ١٠٥ ورسمت في المصحف الشريف ﴿ حَقِيقٌ عَلَى ﴾

(٤٨) غريب القرآن : ٧٥ .

(٤٩) كتاب السبعة : ٢٨٧ ، والحجة لابن خالويه : ١٥٩ ، والمبسوط : ١٨٣ ، والتيسير : ١١١ ، والحجة لابن زنجلة : ٢٨٩ ، والنشر : ٢ / ٢٧٠ ، وغيث النفع : ٢٢٦ .

(٥٠) سورة البلد / الآية ٢ .

(٥١) سورة الانبياء / الآية ٩٥ ورسمت في المصحف الشريف ﴿ وَخَرَامٌ ﴾

(٥٢) غريب القرآن : ٨١ .

(٥٣) كتاب السبعة : ٤٣١ ، والحجة لابن خالويه : ٢٥١ ، والمبسوط : ٢٥٤ ، والكشف : ٢ / ١١٤ ، والتيسير : ١٥٥ ، والحجة لابن زنجلة : ٤٧٠ ، والنشر : ٢ / ٣٢٤ .

(٥٤) تهذيب اللغة : ٣ / ٤٣٧ ، و ٥ / ٤٨ - ٤٩ ، ولسان العرب : ١١ / ١٦٦ - ١٦٧ ، و ١٢ / ١٢٦ - ١٢٧ .

(٥٥) سورة الشعراء / الآية ١٣٧ ورسمت في المصحف الشريف ﴿ خَلَقَ ﴾

(٥٦) غريب القرآن : ٨٥ .

(٥٧) كتاب السبعة : ٤٧٢ ، والحجة لابن خالويه : ٢٦٨ ، والمبسوط : ٢٧٥ ، والكشف : ٢ / ١٥١ ، والتيسير : ١٦٦ ، والنشر : ٢ / ٣٣٥ ، واثحاب فضلاء البشر : ٣٣٣ .

(٥٨) سورة الواقعة / الآية ٨٩ وعليها الرسم المصحفي .

(٥٩) غريب القرآن : ٩٩ وفيه (زُج وريحان) .

(٦٠) المبسوط : ٣٦١ ، والكتاب الوجيز : ٥٣٠ ، وتبشير التيسير : ١٨٧ ، والنشر : ٢ / ٣٨٣ ، واثحاب فضلاء البشر : ٤٠٩ .

(٦١) سورة مريم / الآية ٧٤ ورسمت في المصحف الشريف ﴿ فَمُ أَحْسَنُ مَنَافِعَ ﴾

(٦٢) من القراءات الشاذة تنسب إلى ابن عباس والاعسم المكي وسعيد بن جبير وغيرهم (مختصر في شواذ القرآن : ٨٦ ، والمحتسب : ٢ / ٤٤ ، والبحر المحيط : ٦ / ٢١١) .

(٦٣) غريب القرآن : ١٠١ - ١٠٢ .

(٦٤) كتاب السبعة : ٤١١ ، والحجة لابن خالويه : ٢٣٩ ، والمبسوط : ٤٢٤ ، والتيسير : ١٤٩ ، والحجة لابن زنجلة : ٤٤٦ ، والنشر : ١ / ٣٩٤ ، واثحاب فضلاء البشر : ٣٠٠ .

(٦٥) سورة الكهف / الآية ٧٤ ورسمت في المصحف الشريف ﴿ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾

(٦٦) هذا قول أبي عمرو بن العلاء ، وقد نقله ابن زنجلة أيضاً . (الحجة : ٤٢٤) .

(٦٧) في : غريب القرآن : ١٠٣ (أبو عمر) .

(٦٨) غريب القرآن : ١٠٣ .

(٦٩) كتاب السبعة : ٣٩٥ ، والحجة لابن خالويه : ٢٢٧ ، والمبسوط : ٢٣٧ ، والكشف : ٢ / ٦٨ ، والحجة لابن زنجلة : ٤٢٤ ، والنشر : ٢ / ٣١٣ .

(٧٠) سورة الكهف / الآية ٩٣ وعليها الرسم المصحفي .

(٧١) غريب القرآن : ١٠٩ .

(٧٢) كتاب السبعة : ٣٩٩ ، والحجة لابن خالويه : ٢٣١ ، والمبسوط : ٢٣٩ ، والكشف : ٢ / ٧٥ ، والحجة لابن زنجلة : ٤٣٠ -

والمبسوط: ٢٠٤، والحجة لابن زنجلة: ٣٣٩ - ٣٤٠، والكتاب الوجيز: ٣١٢، والنشر: ٢ / ٢٨٨، واتحاف فضلاء البشر: ٢٥٦. (٩٣) سورة يوسف / الآية ٢٣ وعليها الرسم المصحفي. (٩٤) غريب القرآن: ٢٠٩. (٩٥) كتاب السبعة: ٣٤٧، والحجة لابن خالويه: ١٩٤، والمبسوط: ٢٠٩، والتيسير: ١٢٨، والحجة لابن زنجلة: ٣٥٧ - ٣٥٨، وتحبير التيسير: ١٢٧، والنشر: ٢ / ٢٩٣ - ٢٩٤. (٩٦) سورة النور / الآية ٢٢ وعليها الرسم المصحفي ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾. (٩٧) غريب القرآن: ٢٢٠. (٩٨) المبسوط: ٢٦٦، وتحبير التيسير: ١٥١، والنشر: ٢ / ٣٣١، واتحاف فضلاء البشر: ٣٢٣ وهي قراءة عشرية. (٩٩) سورة الصافات / الآية ٩٤ وعليها الرسم المصحفي. (١٠٠) البيت للشَّخْلِ السُّعْدِيَّ يَهْجُو الْخُضَيْنِ الْمَعْرُوفَ بِالزُّبَيْرِقَانِ وَقَوْسَهُ الْمَعْرُوفِينَ بِالْجَذَاعِ. وَيُرْوَى (أَنْزِلْ وَأَقْهَرَا) أي: وَجَدَ كُنْكَ. (لسان العرب: وتاج العروس: ١٣ / ٤٩٦). (١٠١) كذا في: غريب القرآن: ٢٢٢، والصواب: «معنى أقهر...».

(١٠٢) قوله في: غريب القرآن ٢٢٢ قراءة التخفيف قراءة شاذة تنسب إلى الضَّحَّاك ويحيى بن عبد الرحمن المقرئ وغيرهما (مختصر في شواذ القراءات ١٢٨، والمحتسب: ٢ / ٢٢١، والبحر المحيط: ٧ / ٣٦٦). (١٠٤) معاني القرآن وأعرابه: ٤ / ٣٠٩ وقول الزجاج يبدأ من «يزفون بالتخفيف...».

(١٠٥) كتاب السبعة: ٥٤٨، والحجة لابن خالويه: ٣٠٢، والمبسوط: ٣١٦، والكشف: ٢ / ٢٢٥، والحجة لابن زنجلة: ٦٠٩، والإقناع: ٢ / ٧٤٥، والنشر: ٢ / ٣٥٧، وغيث النفع: ٣٣٥. (١٠٦) سورة الأعراف / الآية ١٨٠ وعليها الرسم المصحفي. (١٠٧) غريب القرآن: ٢٢٧.

(١٠٨) كتاب السبعة: ٢٩٨، والحجة لابن خالويه: ١٦٧، والمبسوط: ١٨٦ - ١٨٧، والتيسير: ١١٤، والحجة لابن زنجلة: ٣٠٣، والكتاب الوجيز: ٢٨٥، والاقناع: ٢ / ٦٥١، وتحبير التيسير: ١١٧، والنشر: ٢ / ٢٧٣، واتحاف فضلاء البشر: ٢٣٣. (١٠٩) سورة القلم / الآية ٥١ وعليها الرسم المصحفي. (١١٠) غريب القرآن: ٢٣٠. (١١١) كتاب السبعة: ٦٤٧، والحجة لابن خالويه: ٣٥١، والمبسوط: ٣٧٨، والتيسير: ٢١٣، والحجة لابن زنجلة: ٧١٨، والإقناع: ٢ / ٧٩٠، وتحبير التيسير: ١٩٢، والنشر: ٢ / ٣٨٩، واتحاف فضلاء البشر: ٤٢٢.

٤٣١، والكتاب الوجيز: ٣٦١، والنشر: ٢ / ٣١٥. (٧٣) الحجة لابن زنجلة: ٤٣١. (٧٤) سورة الزمر / الآية ٢٩ ورسمت في المصحف الشريف ﴿سَلَامًا لِزَجَلٍ هَلْ يَشْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾. (٧٥) غريب القرآن: ١١٠. (٧٦) كتاب السبعة: ٥٦٢، والحجة لابن خالويه: ٣٠٩، والمبسوط: ٣٢٢، والحجة لابن زنجلة: ٦٢١ - ٦٢٢، والكتاب الوجيز: ٤٧٩، والنشر: ٢ / ٣٦٢، واتحاف فضلاء البشر: ٣٧٥. (٧٧) سورة الكهف / الآية ٩٦ وعليها الرسم المصحفي. (٧٨) بضم الصاد وفتح الدال، قراءة شاذة تنسب إلى قتادة وأبان. (مختصر في شواذ القرآن: ٨٢، والبحر المحيط: ٦ / ١٦٤ - ١٦٥. (٧٩) غريب القرآن: ١٢٩. (٨٠) النهاية في غريب الحديث: ٣ / ١٧. (٨١) كتاب السبعة: ٤٠١، والحجة لابن خالويه: ٢٣٢، والمبسوط: ٢٤٠، والتيسير: ١٤٦، والكتاب الوجيز: ٣٦٣، والنشر: ٢ / ٣١٥. (٨٢) سورة طه / الآية ٢٠ وسورة النازعات / الآية ١٦ ورسمت في المصحف الشريف فيهما ﴿بِالْوَادِ الْمُقَشَّسِ طُوًى﴾ بضم الطاء والتثنية.

وأما ﴿طُوًى﴾ بكسر الطاء والتثنية، فهي قراءة الحسن البصري، والاعمش، وابن مَخِينِص، وهي قراءة شاذة (الجامع لأحكام القرآن: ١١ / ١٧٥، والبحر المحيط: ٦ / ٢٣١، واتحاف فضلاء البشر: ٣٠٢).

(٨٣) غريب القرآن: ١٣٥. (٨٤) سورة القصص / الآية ٣٠. (٨٥) معاني القرآن وأعرابه: ٣ / ٣٥١ - ٣٥٢. (٨٦) كتاب السبعة: ٤١٧، والحجة لابن خالويه: ٢٤٠، والمبسوط: ٢٤٧، والتيسير: ١٥٠، والحجة لابن زنجلة: ٤٥١، والكتاب الوجيز: ٣٧٣، والنشر: ٢ / ٣١٩، واتحاف فضلاء البشر: ٣٠٢. (٨٧) سورة يونس / الآية ٢٧ وعليها الرسم المصحفي. (٨٨) غريب القرآن: ١٦٢. (٨٩) كتاب السبعة: ٣٢٥، والحجة لابن خالويه: ١٨١، والمبسوط: ١٩٩ - ٢٠٠، والكشف: ١ / ٥١٧، والاقناع: ٢ / ٦٦١، والحجة لابن زنجلة: ٣٣٠، واتحاف فضلاء البشر: ٢٤٨، والنشر: ٢ / ٢٨٣. (٩٠) سورة هود / الآية ٤١ ورسمت في المصحف الشريف ﴿بِسْمِ اللَّهِ وَمُزَشَّهَا﴾.

(٩١) غريب القرآن: ١٨٦. (٩٢) كتاب السبعة: ٣٣٣، والحجة لابن خالويه: ١٨٧.

■ فهرس المصادر والمراجع ■

- ١٤ - التيسير في القراءات السبع - لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) تح: أوتو برتزل ، اسلامبول ، ١٩٣٠ م
- ١٥ - الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) القاهرة - دار الكاتب العربي - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .
- ١٦ - الحجة في القراءات السبع - لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) تح: عبد العال سالم مكرم ، بيروت - دار الشروق - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .
- ١٧ - حجة القراءات - لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت بعد ٤٠٠ هـ) تر: سعيد الأفغاني - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
- ١٨ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) ، القاهرة - طبعة بولاق - ١٢٩٩ هـ .
- ١٩ - الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث - محمد حسين آل ياسين ، بيروت - دار مكتبة الحياة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .
- ٢٠ - الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري - الدكتور فاضل صالح السامرائي ، بغداد - دار النذير - ١٩٧٠ م .
- ٢١ - سير أعلام النبلاء - لشمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) الجزء الخامس عشر - تحقيق إبراهيم الزبيق ، بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
- ٢٢ - السيرة النبوية - تهذيب - عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨ هـ) تح: حمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة - مطبعة حجازي - ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
- ٢٣ - الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه - د . خديجة الحديثي ، مطبوعات جامعة الكويت - الكويت - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .
- ٢٤ - صحيح البخاري - للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) بيروت - دار احياء التراث العربي - (لا . ت)
- ٢٥ - صحيح مسلم - للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة - مطبعة دار احياء الكتب العربية (لا . ت) .
- ٢٦ - غاية النهاية في طبقات القراء - لشمس الدين ابن الجزري (ت ٨٢٣ هـ) نشره . ج : برجستراسر ، القاهرة - ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .
- ٢٧ - غريب القرآن - المسمى نزهة القلوب - لأبي بكر محمد

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الإبانة عن معاني القراءات - لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تح: د . محيي الدين رمضان ، دمشق - دار المأمون - ١٩٧٩ م .
- ٣ - اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر - لأحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧ هـ) تح: علي محمد الضباع ، القاهرة - ١٣٥٩ هـ .
- ٤ - الاتقان في علوم القرآن - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) القاهرة - مصطفى البابي الحلبي وأولاده - ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م .
- ٥ - الأعلام - قاموس تراجم - لخير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦ م) بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٩ م .
- ٦ - الاقتناع في القراءات السبع - لأبي جعفر أحمد بن علي الانصاري ابن الباذش (ت ٥٤٠ هـ) تح: عبد المجيد قطامش ، دمشق - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
- ٧ - البحر المحيط - لأبي حيان محمد بن يوسف الفرناطلي الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ) القاهرة - مطبعة السعادة - ١٣٧٨ هـ .
- ٨ - البرهان في علوم القرآن - لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة - دار احياء الكتب العربية - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .
- ٩ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - لجلال الدين السيوطي ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة - مطبعة عيسى البابي الحلبي - ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م .
- ١٠ - تاج العروس من جواهر القاموس - لمحب الدين محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) الكويت - وزارة الارشاد والانباء ، تحقيق جماعة العلماء .
- ١١ - تاريخ التراث العربي - فؤاد سزكين - نقله الى العربية د : فهمي أبو الفضل ، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧١ م .
- ١٢ - تحبير التيسير - لشمس الدين محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٢٣ هـ) بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣ م .
- ١٣ - تهذيب اللغة - لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٢٧٠ هـ) ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف - (لا . ت) .

بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠ هـ) بيروت - دار الرائد العربي - الطبعة الثالثة - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

٢٨ - غيث النفع في القراءات السبع - لعلي النوري السفاقسي (ت ١١١٨ هـ) القاهرة - مطبعة مصطفى البابي - ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

٢٩ - كتاب السبعة في القراءات - لابي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي (ت ٣٢٤ هـ) تح: شوقي ضيف - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٢ م .

٣٠ - الكتاب الوجيز في شرح قراءات القراءة الثمانية أئمة الامصار الخمسة - لابي علي الحسن بن علي الاحوازي (ت ٤٤٦ هـ) تح: دريد حسن أحمد رسالة ماجستير / كلية الاداب جامعة بغداد / ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م غير منشورة .

٣٢ - اللباب في تهذيب الانساب - لعز الدين علي بن محمد الشيباني ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) أعادت طبعه بالافسييت مكتبة المتننى بغداد (لا . ت) .

٣٣ - لسان العرب - للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١ هـ) بيروت - دار صادر ودار بيروت - ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م

٣٣ ب - لطائف الاشارات لفنون القراءات - لشهاب الدين أحمد ابن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) تح: عبد الصبور شاهين ، والشيخ عامر السيد عثمان ، القاهرة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٣٤ - المبسوط في القراءات العشر - لابي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الاصبهاني (ت ٢٨١ هـ) تح: سبيع حمزة حاكمي ، دار القبلة جدة ومؤسسة علوم القرآن - بيروت - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٣٥ - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها - لابي الفتح عثمان بن جني النحوي (ت ٣٩٥ هـ) تح: علي النجدي ناصف وزميلييه - القاهرة - ١٣٨٦ هـ .

٣٦ - مختصر في شواذ القراءات - لابي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) عني بنشره . ج برجستراسر ، دار الهجرة . (لا . ت) .

٣٧ - معاني القرآن واعرابه - لابي اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١ هـ) تح: عبد الجليل عبده شلبي ، بيروت - عالم الكتب - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٣٨ - معجم المؤلفين - تراجم مصنفى الكتب العربية - لعمر رضا كحالة ، دمشق - مطبعة الترقى - ١٣٧٦ هـ =

١٩٥٧ م .

٣٩ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار - لشمس الدين الذهبي ، تح: بشار عواد معروف والشيخ شعيب الارناؤوط وصالح مهدي عباس ، بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٤٠ - المغازي - لمحمد بن عمر الوافدي (ت ٢٠٧ هـ) تح: مارسدن جونز ، بيروت - عالم الكتب - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٤١ - مقدمتان في علوم القرآن - مقدمة كتاب المياني ومقدمة تفسير ابن عطية ، نشره المستشرق د : آرثر جفري ، تصويب : عبد الله اسماعيل الصاوي ، القاهرة - الناشر مكتبة الخانجي - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٤٢ - المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الامصار - لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) تح: محمد أحمد دهمان - دمشق - مطبعة الترقى - ١٩٤٠ م .

٤٣ - مناهل العرفان في علوم القرآن - لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني القاهرة ، مطبعة البابي الحلبي - ١٣٦١ هـ .

٤٤ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين - لشمس الدين ابن الجزري (ت ٨٢٣ هـ) القاهرة - مكتبة القدس - ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م .

٤٥ - نزهة الالباء في طبقات الادباء - لابي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الانباري (ت ٥٧٧ هـ) تح: إبراهيم السامرائي ، بغداد - مكتبة الاندلس - ١٩٧٠ م

٤٦ - النشر في القراءات العشر - لشمس الدين ابن الجزري (ت ٨٢٣ هـ) صححه وراجعته : على محمد الضياع ، بيروت - دار الفكر - (لا . ت) .

٤٧ - النهاية في غريب الحديث والاثر - لابي السعادات المبارك بن محمد الشيباني ابن الاثير (ت ٦٠٦ هـ) تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي ، القاهرة - مطبعة عيسى الحلبي - ١٩٦٣ - ١٩٦٦ م .

٤٨ - هجاء مصاحف الامصار - لابي العباس أحمد بن عمار المهدي (ت بعد ٤٣٠ هـ) تح: محيي الدين رمضان ، نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد التاسع عشر / الجزء الاول / ١٩٧٣ م .

٤٩ - الوافي بالوفيات - لصالح الدين خليل بن أيك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) الجزء الرابع - باعثناء : هلموت ريتز - منشورات فرانز شتايز بفيسبان - ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

شرح القصائد السبع

لأبي الحسن بن كيسان
المتوفي سنة ٢٩٩ هـ

دراسة وتحقيق
أ. د. محمد حسين آل ياسين
كلية الآداب / جامعة بغداد

[القسم الاول : الدراسة]

مقدمة

عندما نشرْتُ بحثي الموسوم « ما وُضع في اللغة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث » في مجلة « المورد »^(١) ، وذكرت في هذا الفهرس الجامع كتاب « شرح القصائد السبع » لابن كيسان المتوفى سنة (٢٩٩ هـ) ، وأشارت إلى نسخته الفريدة ؛ اعلنتُ هناك أنني أعمل مع زميل لي على تحقيقه ، وحين قعدت المشاغل بهذا الزميل عن مشاركتي بهذا العمل ، وتأخر ظهور الكتاب إلى النور كل هذه المدة ؛ رأيتُ أن أنفرد بالتحقيق وفاءً للمهد والتزاماً بالوعد .

وبدا لي أن أخرج قسماً منه ، ريثما أتم تحقيق سائر أقسامه ، وهذا القسم هو شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة ؛ أو ما بقي من شرح القصيدتين . ذلك أنَّ هذه النسخة الفريدة ناقصة من أولها ومن وسطها ، على ما سببني في دراستها . وقد دفعني إلى تحقيقها - مع نقصها - أنها تمثل أقدم ما وصل إلينا من الكتب الموضوعة لشرح المعلقات ، مع ما فيها من فوائد لغوية مبكرة ، تدل على إصالة العلم ، ودقة المآخذ ، وعمق المنهج . ولا بد أن ينقسم العمل إلى قسمين ، الأول : الدراسة ، وفيها كلام على المؤلف ، نسبه وشيوخه وتلاميذه ومكانته العلمية وكتبه ما وصل منها وما لم يصل . وعلى شروح المعلقات وعلى المخطوطة التي بين أيدينا خاصة ، ووقفه عند منهج ابن كيسان في الشرح تتناول أهم ظواهره وخواصه ؛ وبياناً لعمل في التحقيق ورموزه ، ونموذج مصوّر من المخطوطة . والثاني : التحقيق ؛ ويشمل تحقيق القطعة التي أشرنا إليها ، والمستدرك الذي جمعت فيه ما روّث المصادر عن ابن كيسان في شرح القصيدتين ، مما أخّلت به النسخة الخطية .

أملاً في أن أكون قد خدمتُ العربية الكريمة ، وجلوتُ عن أثر نفيس من تراثها الخالد غبار السنين ؛ والله من وراء القصد ، وهو الموفق لما فيه الخير والسداد .

■ المؤلف

أعلم على الفُدر ، فالعرب تسفي الفُدر : كيسان ، وقد تكنيه بأبي كيسان . وهو - لفة - من الكيس بمعنى الفطنة والذهاء . ثم نقل علماً على الفُدر لما يتطلبه من مكر ودهاء .

ويكنيته « أبي الحسن » و « ابن كيسان » مفردتين أو مجتمعتين اشتهر ؛ على أنه شاركه بكنيته الثانية جماعة ، منهم : صالح بن كيسان (مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز) ، وطاووس بن كيسان (ت ١٠٦ هـ) ، وسليم بن كيسان ، وأبو بكر بن كيسان (ذكره الجاحظ في المعلمين) ، وعبد الرحمن بن كيسان ،

اختلفت المصادر في سلسلة نسبه ، إلا أن أكثرها على أنه : أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان^(٢) ، واختلفت في حقيقة « كيسان » ألقب هو أم اسم ، فذهبت طائفة إلى أنه لقب لأبيه ، وأخرى إلى أنه لقب لجده ، وثالثة إلى أنه اسم جده . وكيسان :

ومحمد بن الحسن بن كيسان ، ووهب بن كيسان ، ومحمد بن بشار بن كيسان (ت ٢٥٢ هـ) ، وأبو عبد الله بن كيسان (القرن السابع هـ)^(١٢) .

وُلد ونشأ في بغداد ، والظاهر انه لم يبرحها حتى لُقّب بالبغدادي^(١٣) . وتوفي سنة ٢٩٩ هـ او ٣٢٠ هـ على خلاف في ذلك ، والاولى هي الأرجح ، لأن أكثر من ترجم له من القدماء والمتأخرين على ذلك ، سوى ياقوت الحموي وبعض المحدثين^(١٤) . تلمذ لبُندار الأصبهاني الذي أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) واختص به ، حتى إذا ذُكر قيل « قال بُندار صاحب ابن السكيت »^(١٥) ، فأخذ ابن كيسان عنه اللغة ورواية الشعر ، وصرح أنه قرأ عليه المملقات^(١٦) . وتلمذ لثعلب وقرأ عليه كتاب الالفاظ لابن السكيت ، وأخذ عنه اللغة والشعر والغريب والنحو^(١٧) . ولم ينقطع عنه بعد قدوم المبرد إلى بغداد وجلس ابن كيسان إليه^(١٨) . فأخذ عن المبرد في اللغة والنحو والشعر^(١٩) ، وناظره وجادله ، لانه جلس اليه ناضج الحجة ، بارع الرأي ، متزوداً بالعلم .

بدأ كوفياً بتلمذته لبُندار وثعلب ، ثم جمع علم الكوفيين إلى علم البصريين بتلمذته للمبرد ، فقد فيمن خلط المذهبين . غير ان ابا بكر بن الانباري (ت ٣٢٨ هـ) نَمَّ علمه فقال : « خلط فلم يضبط مذهب الكوفيين ولا مذهب البصريين »^(٢٠) . في حين نجد المصادر مجمعة على انه حقق اللغة والنحو ، وأقبل الناس عليه يستمعون منه ويقرؤون عليه ، حتى كان مجلسه في جامع « المنصور » ببغداد عامراً بطلاب العلم . فقد « اجتمع على باب مسجده نحو مائة رأس من الدواب للرؤساء والكتّاب والاشراف والاعيان الذين قصدوه »^(٢١) ، سوى الجمع الغفير من العامة . وأبرز من تلمذ له ابو جعفر النحاس (ت ٣٣٧ هـ) ، فقد أخذ عنه في الغريب والشعر والنحو^(٢٢) ، وأبو الحسن الزهني الذي قرأ عليه كتاب سيبويه^(٢٣) ، وأبو بكر الجعد ، وأبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) فقد أخذ عنه النحو^(٢٤) ، ومحمد بن نصر الغالبي (استاذ القالي في الامالي والبارع) ، درس عليه الالفاظ لابن السكيت وروى عنه شرح السبع الطوال^(٢٥) . وأبو جعفر السقّال ، الذي درس عليه العروض^(٢٦) . أما تلمذة القالي لابن كيسان التي تذكرها بعض المصادر فموضع شك ، لتأخر دخوله بغداد عن سنة وفاة ابن كيسان . فقد رحل القالي إلى بغداد سنة (٣٠٣ هـ) وخرج منها سنة (٣٢٨ هـ) . أما ما نجده في كتب القالي من مثل « قال لي » و « قد سألت »^(٢٧) ، وكأنه يعني ابن كيسان ، فهي كما يبدو بالنظر المصحص اقوال ابن كيسان نفسه يعني بها استاذه بُندار ، نقلها القالي فيما رواه عنه لكون ان يعزوها إليه ، فصارت وكأن القالي شافه ابن كيسان . وقد وهم احد الباحثين في عد هذه النصوص دليلاً قاطعاً على تلمذة القالي لابن كيسان ، ثم بنى على ذلك رأيه في تأخر وفاة ابن

كيسان إلى سنة (٣٢٠ هـ)^(٢٨) .

وأثنى الدارسون عليه وعلى علمه ، لما دلّ به على غزارة حفظه ، تتمثل في احاطته بما سبقه من آثار البصريين والكوفيين ، وفي المامه بلهجات العربية ، وتأثره بما درسه من المنطق والفلسفة طبع بعض معالجاته اللغوية بهما^(٢٩) . فوصفه الزجاجي بأنه أحد « قُدوة أعلام في علم الكوفيين »^(٣٠) ، وقال ابو بكر بن مجاهد : « كان أبو الحسن بن كيسان أنحى من الشيخين ثعلب والمبرد »^(٣١) ، وعنه أبو بكر بن كامل : من علماء التفسير واللغة ، وأنه « من فرسان هذا اللسان »^(٣٢) ، وقال السيرافي عنه وعن الزجاج : « واليهما انتهت الرياسة في النحو بعد أبي العباس محمد بن يزيد »^(٣٣) ، وقال ابو حيان التوحيدي : « ما رأيت مجلساً أكثر فائدة وأجمع لاصناف العلوم وخاصة ما يتعلق بالتحف والطرف والنتف من مجالس ابن كيسان »^(٣٤) . وعجب الصابي من حفظ ابن كيسان للشعر فقال : « هذا الرجل من الجن إلا انه في شكل انسان »^(٣٥) ، وقال الصفدي : انه « كان فوق الثقة »^(٣٦) ، وعنه ابن تقي بريدي « أحد الأئمة النحاة »^(٣٧) ، ورأى الفيروزبادي انه « كان اماماً في العربية »^(٣٨) .

وضع ابن كيسان عدداً كبيراً من الكتب والتصانيف ، في حقول من العلم شتى ، هي : البُرهان ، والتصانيف ، وتلقيب القوافي ، والحقائق ، والشاذاني في النحو ، وشرح السبع الطوال ، وعلل النحو ، وغلط ادب الكتّاب ، وغريب الحديث ، والفاعل والمفعول به ، والقراءات ، والكافي في النحو ، واللامات ، ومصابيح الكتاب ، والمختار ، ومختصر النحو ، والمسائل على مذهب النحويين ، والمقصود والممدود ، والمهذب ، والمذكر والمؤنث ، ومعاني القرآن ، والهجاء ، والوقف والابتداء^(٣٩) ، وقد وصل الينا من هذه الكتب :

١ - تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها : نُشر الكتاب أول مرة المستشرق وليم رايت ، في لندن سنة ١٨٥٩ م . في ضمن مجموعة بعنوان « جُرزة الحاطب وتحفة الطالب » عن نسخة فريدة في مكتبة ليندن رقمها (٢٦٤) . وأعاد نشره الدكتور ابراهيم السامرائي ، معتمداً على نسخة رايت ، في مجلة « الجامعة المستنصرية » ، العدد الثاني^(٤٠) .

٢ - الموقفي في النحو : نشره محققاً الدكتور عبد الحسين الفتلي والدكتور هاشم طه شلاش ، في مجلة « المورد » ، العدد الثاني ، سنة ١٩٧٥ م . والراجح انه كتاب « مختصر النحو » المذكور في مؤلفات ابن كيسان . والموقفي نسبة إلى « الموقف » المتوفى سنة ٢٧٨ هـ .

٣ - شرح السبع الطوال : منه نسخة - يبدو أنها فريدة - في المكتبة الوطنية ببرلين ، رقمها (٧٤٤٠)^(٤١) ، وعلى صورة هذه النسخة حققت هذا القسم منها . وفي المكتبة المركزية ببغداد (شريط) منها رقمه (٩٩) . ونشر المستشرق شلوسنجر شرح

معلقة عمرو بن كلثوم عن هذه النسخة، في ميونخ سنة ١٩٠٧ م^(٣٢).

٤ - شرح معلقة امرئ القيس: منه نسخة في المكتب الهندي أول بلندن، رقمها (٨٠٠). نشره المستشرق برنشتين سنة ١٩١٤ م^(٣٣). والتراجع انه شرح مستقل غير الذي في « شرح السبع الطوال ».

* * *

■ شرح المعلقات

المعلقات اسم أطلق على عدد من قصائد الشعراء العرب الجاهليين، واختلف في عددها، فمنهم من جعلها ستاً، أو سبعة، ومنهم من عدّ تسعاً، ومنهم من أوصلها إلى العشرين^(٣٤)؛ وهي قصائد: امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وعنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، والأعشى، والنايفة الذبياني، وعبيد بن الأبرص. فمن رأى انها سبع أسقط الأعشى والنايفة وعبيد، أو الحارث والنايفة وعبيد، ومن ذهب إلى انها تسع أسقط عبيد^(٣٥)، والأكثر على انها سبع، وعدّ ابن خلدون بين اصحاب المعلقات علقمة بن عبدة^(٣٦).

واختلف في تسميتها، فسُميت بالمعلقات، لتعليقها على الكعبة، أو بين أستارها^(٣٨). وأنكر ذلك ابن النحاس، وقال: « فاما قول من قال إنها علقت في الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة »^(٣٩). والشائع في كتب الاقدمين أنها: السمط، أو المذهبات، أو المشهورات، أو الطوال الجاهليات، أو السبعيات، أو القصائد السبع، والعشر^(٤٠). في حين أيد تسميتها بالمعلقات، معللاً لهذا التأييد، الدكتور بدوي طبانة من الباحثين المحدثين^(٤١).

وقد تصدّى لشرح هذه القصائد جمهرة من اللغويين، على اختلاف آرائهم في عددها أو أصحابها من الشعراء؛ وعناية اللغويين المبكرة بها تدلّ على قيمتها اللغوية بين الدارسين؛ وهؤلاء هم:

١ - الأصمعي (ت ٢١٦ هـ)، وكتابه « القصائد الست »^(٤٢).

٢ - ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ)، وكتابه « شرح المعلقات »^(٤٣).

٣ - ابن كيسان (ت ٢٩٩ هـ)، وكتابه « شرح السبع الطوال »، وستقف عليه بعد قليل.

٤ - ابن الأنباري (الاب)، القاسم بن محمد (ت ٣٠٤ هـ)^(٤٤). والظاهر انه وهم وقع به السيوطي، لالتباس كنيته بكنية ابنه.

٥ - ابن الأنباري، ابوبكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨ هـ)،

وكتابه « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات » حققه الأستاذ عبد السلام هارون، وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٣ م.

٦ - مؤلف مجهول، وكتابه « مختصر شرح القصائد السبع لابن الأنباري ». نسخته المخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية، رقمها (١٥٣) أدب.

٧ - ابن النحاس (ت ٣٢٨ هـ)، وكتابه « شرح القصائد التسع المشهورات ». نشر المستشرق ريسكي قطعة تمثل قسماً من قصيدة طرفة من شرح ابن النحاس (مع شروح باللاتينية) وطبعه في ليدن سنة ١٧٤٢ م^(٤٥). كما نشر المستشرق آرست فرانكل قصيدة امرئ القيس من هذا الشرح، وطبعها في برلين سنة ١٨٧٦ م^(٤٦). ونشر المستشرق هاوسهير قصيدة زهير من هذا الشرح أيضاً، وطبعها في برلين سنة ١٩٠٥ م^(٤٧). وأخيراً حقق الشرح كله الدكتور احمد خطاب، وطبعه ببغداد سنة ١٩٧٣ م.

٨ - ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ)، وكتابه « السبع الطوال »^(٤٨).

٩ - أبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ)^(٤٩).

١٠ - الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) وكتابه « تفسير السبع الطوال »^(٥٠).

١١ - ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، منه نسخة مخطوطة في مكتبة كاشف الغطاء في النجف، رقمها (٦٣)^(٥١).

١٢ - أبو أسامة الأزدي الهروي (ت ٣٩٩ هـ)، وكتابه « شرح معلقة امرئ القيس »^(٥٢).

١٣ - محمد بن محمود بن محمد المسكان^(٥٣).

١٤ - الفمري، قاضي تكريت، وكتابه « تفسير السبع الجاهليات بغريبها »^(٥٤).

١٥ - أبو الحجاج يوسف بن سليمان النحوي (ت ٤٧٦ هـ)، المعروف بالأعلم الشنتمري، وكتابه « اشعار الشعراء الستة الجاهليين »^(٥٥). نشره الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، بالقاهرة سنة ١٩٦٣ م.

١٦ - ابو عبد الله الزوزني (ت ٤٨٦ هـ)، وكتابه « شرح المعلقات السبع ». نشر المستشرق تدغوتور معلقة امرئ القيس من هذا الشرح وطبعها في بون سنة ١٨٢٣ م. كما نشرت معلقة لبيد من هذا الشرح في برسلاو سنة ١٨٢٨ م. ونشر المستشرقان ريسكي وفولرس قصيدة طرفة بن العبد بشرح الزوزني في بون سنة ١٨٢٩ م^(٥٦). وطبع الكتاب كله طبعات كثيرة. آخرها طبعة مكتبة المعارف في بيروت سنة ١٩٧٥ م.

١٧ - أبو بكر عاصم بن أيوب البطلبيوسي (ت ٤٩٤ هـ)، وكتابه « شرح المعلقات »^(٥٧).

١٨ - أحمد بن عبد الله بن سعيد الانصاري (ت القرن الخامس هـ). من كتابه نسخة في المكتبة الاحمدية

بتونس^(٤٨).

١٩ - الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، وكتابه « شرح القصائد العشر » ، حققه الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ونشره في القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

٢٠ - أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)^(٤٩) .

٢١ - عثمان بن عبد الله التنوخي المصري ، من كتابه نسخة في دار الكتب في القاهرة ٢ / ٢٢٠^(٥٠) .

٢٢ - موهوب بن أحمد الحصري ، من كتابه نسخة في باريس أول ٣٢٧٩^(٥١) .

٢٣ - أبو البقاء كمال الدين الدميري (ت ٨٢٨ هـ) ، من كتابه نسخة في مكتبة علي شهيد باشا رقمها (٨٢٥)^(٥٢) .

٢٤ - أحمد بن الفقيه محمد بن أبي بكر (كان حياً سنة ٨٢٨ هـ)^(٥٣) .

٢٥ - محمد بن بدر الدين العوفي (ت ٨٣٣ هـ) وكتابه « تحفة اللبيب » في شرح معاني أمراء القيس وزهير وطرفة^(٥٤) .

٢٦ - عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت ٩٧٢ هـ)^(٥٥) .

٢٧ - محمد بن علي الحسيني الطبري (كان حياً سنة ١١٥٧ هـ) ، من كتابه نسخة في مكتبة راغب ، رقمها (١١٥٤)^(٥٦) .

٢٨ - أبو سعيد الضرير الجرجاني . من كتابه نسخة في باريس ، وصورتها في القاهرة ٣ / ٢٢١^(٥٧) .

٢٩ - عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفييوري . وكتابه « تلخيص شرح الزوزني » طبع في كلكتا سنة ١٨٢٣ م^(٥٨) .

٣٠ - أحمد بن محمد بن عبد الكريم الموسوي (كان حياً سنة ١٢٧٣ هـ) ، من كتابه نسخة في مكتبة كمبج ثالث ١٢١٦^(٥٩) .

٣١ - أحمد بن محمد بن اسماعيل المعافى النحوي (كان حياً سنة ١٢٨٧ هـ) ، من كتابه نسخة في القاهرة ٣ / ٢٥٥^(٦٠) .

٣٢ - علي بن علي الصافييوري . كتابه طبع في الهند سنة ١٢٩١ هـ^(٦١) .

٣٣ - الفيض السهارنبوري القرشي الحنفي (ت ١٢٩٩ هـ) ، وكتابه « رياض الفيض في شرح المعلقات » ، طبع في لاهور سنة ١٨٨٨ م^(٦٢) .

٣٤ - أبو فراس بدر الدين الحلبي النعساني ، وكتابه « نهاية الارب في شرح معلقات العرب » ، طبع في القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩٠٦ م^(٦٣) .

٣٥ - عبد الله بن محمود بن سليمان العمري الفاروقي الموصللي ، وكتابه « شرح معلقة أمراء القيس » ، بالتركية ، طبع في استانبول سنة ١٩١٦ م .

٣٦ - محمد بن اسماعيل الانصاري الطهطاوي^(٦٤) .

٣٧ - أحمد بن الامين الشنقيطي ، وكتابه « القصائد العشر الطوال » ، طبع في المطبعة الجمالية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .

٣٨ - فؤاد أفرام البستاني ، وكتابه « معلقا طرفة وليبد » ، طبع في بيروت سنة ١٩٢٩ م .

٣٩ - مؤلف مجهول ، وكتابه « الحسيب » في شرح قصيدة امرئ القيس ، طبع في استانبول سنة ١٣١٦ هـ^(٦٥) .

٤٠ - اغسطس ملر ، شرح معلقة امرئ القيس (الشرح بالالمانية) طبع في هاليس سنة ١٨٦٣ م^(٦٦) .

٤١ - جرجس مرقص ، شرح معلقة امرئ القيس (الشرح بالروسية) طبع في بطرسبرج سنة ١٨٨٩ م^(٦٧) .

٤٢ - جابر ، معلقة الاعشى ، طبعت في ليبزك سنة ١٨٧٥ م .

٤٣ - جونز فولرس ، معلقة الحارث (وترجمتها الى اللاتينية) طبعت في بون سنة ١٨٢٧ م^(٦٨) .

٤٤ - نوج أبيل الجرمانى ، شرح المعلقات السبع (ترجمة وشرح بالالمانية) ، طبع في برلين ١٨٩١ م .

٤٥ - وليام جونز ، المعلقات السبع (وترجمة وتعليقات) طبعت في لندن سنة ١٧٨٢ م .

٤٦ - أرنولد ، المعلقات السبع (وشرح الروايات وأنساب الشعراء) طبعت في ليبسك ١٨٥٠ م .

٤٧ - تدغوتور ، معلقة امرئ القيس (وترجمة الى اللاتينية) طبعت سنة ١٨٢٤ م^(٦٩) .

٤٨ - كنانتشبول ، معلقة الحارث بن حلزة ، طبعت في أكسفورد سنة ١٨٢٠ م .

٤٩ - مجهول ، معلقة زهير بن أبي سلمى ، طبعت في ليبسك ١٨١٦ م .

٥٠ - فوزي عطوي ، وكتابه مطبوع في بيروت سنة ١٩٦٩ م^(٧٠) .

* * *

■ شرح السبع الطوال لابن كيسان

أقدم من ذكر الكتاب وأكثر من النقل منه ، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، تلميذ ابن كيسان ، ومؤلف « شرح القصائد التسع المشهورات » . فقد نص على الكتاب ومؤلفه في مواضع كثيرة ، بلغت في مجموع كتابه خمسا وثمانين مرة^(٨١) . وذكره أيضاً من ترجم لابن كيسان كابي البركات الأنباري وياقوت الحموي^(٨٢) . كما ذكره بروكلمان باسم « شرح المعلقات » ونص على وجود نسخة منه في المكتبة الوطنية ببرلين رقمها (٧٤٤٠)^(٨٣) . والظاهر أنها النسخة الفريدة من الكتاب .

فلا ريب إذن في نسبة الكتاب إلى ابن كيسان ، من حيث أن ابن كيسان مؤلف في شرح السبع الطوال ، ولا ريب أيضاً في أن هذه النسخة الفريدة التي بين أيدينا هي كتابه الذي نُسب إليه بعد أن وقفنا على النصوص المنقولة منه في كتب الشراح بعده ، إذ لم يكن ابن النحاس هو الوحيد الذي رجع إلى كتاب ابن كيسان واقتبس منه ، وإنما شاركه في الرجوع والاقتباس غيره من الشراح ، على ما سنرى بعد قليل .

والنسخة التي بين أيدينا ناقصة ، ويتمثل هذا النقص في وجهين :

الأول : النقص في صفحات المخطوطة ، إذ سقطت منها أوراق من أولها ومن وسطها ، فاخُلَّت بعدد غير قليل من الأبيات وشروحها . فليس في المخطوطة صفحة العنوان ولا التي بعدها ، وإنما تبدأ بأخر شرح مطلع قصيدة امرئ القيس ، فالبيت الأول في النسخة هو البيت الثاني من القصيدة ، كما سقطت من شرح قصيدة امرئ القيس أوراق ، ومن قصيدة طرفة أوراق ، ومن قصيدة زهير أوراق ، فليس في النسخة إلا أربعة عشر بيتاً من قصيدة امرئ القيس ، من البيت الثاني إلى الخامس ومن الثامن عشر إلى السابع والعشرين . وإلا سبعة وعشرون بيتاً من قصيدة طرفة ، من البيت الخامس والسبعين إلى الثالث بعد المائة وهو آخر القصيدة . وإلا اثنا عشر بيتاً من قصيدة زهير من البيت الرابع إلى التاسع ، ومن الثالث والخمسين إلى آخر القصيدة . وبقيت قصيدتا عمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد كاملتين .

الثاني : النقص في عدد القصائد ، ذلك أن الكتاب - كما يشير عنوانه المعروف - يشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ؛ وليس في النسخة التي بين أيدينا إلا شرح خمس قصائد ، هي قصائد امرئ القيس وطرفة وزهير وعمرو بن كلثوم وعنترة . فإذا عرفنا أن راوي الكتاب أبا جعفر محمد بن نصر الغالبى ينص على أن شرح قصيدة عنترة ليس لابن كيسان ، زادت غرابتنا وكبر تساؤلنا ؛ ذلك أنه يقول بعد أن انتهت من رواية شرح قصيدة عمرو بن كلثوم : « إلى هنا أُملى علينا أبو الحسن بن كيسان رحمه الله ما فسر من هذه القصائد ، وهي خمس قصائد ثم مضى لسبيله دون أن يتفها فلما مات قصدت أبا أحمد الجريري من ولد جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه وهو شيخ من مشايخ أبي العباس ثعلب وقد سمع من أبي العباس المبرد وأكثر ، فسألته تفسير قصيدة عنترة بن شداد فأملأها عليّ إملاءً »^(٨٦) .

فإذا صح أن شرح قصيدة عنترة ليس لابن كيسان ، يكون في الكتاب أربع قصائد من شرحه ، وهنا يقوم سؤالان ، الأول : أين القصيدة الخامسة التي يشير إليها محمد بن نصر الغالبى ، الذي نص على أن ابن كيسان شرح خمس قصائد ثم مضى لسبيله ؟ والثاني : أين القصائد الخامسة والسادسة والسابعة التي ينبغي

أن نجدها في هذا الكتاب كما ينص عنوانه ، وكما وقف عليه ابن النحاس ، إذ كانت النسخة التي رجع إليها ابن النحاس نسخة كاملة ، فيها شرح ابن كيسان للقصائد السبع ، إذ يقول ابن النحاس بعد أن أنهى شرح السبع المشهورات : « فهذه آخر السبع المشهورات على ما رأيت أهل اللغة يذهب إليه منهم أبو الحسن بن كيسان »^(٨٧) . وكما نص الناسخ في آخر هذه المخطوطة إذ يقول : « تمت السبع الطوال الجاهليات »^(٨٨) ؟ وما تفسير ذلك ؟ الذي يبدو من دراسة هذه النصوص التي تقطع بإكمال ابن كيسان لشرح القصائد السبع ، ومناقضتها لما في نسختنا من هذا الشرح ، أن ابن كيسان كان يُملّي شرحه لهذه القصائد مرة بعد مرة ؛ ما إن ينتهي من أملائه على طلابه ، حتى يعود إلى أملائه على غيرهم ، فكان لابد أن تكون بين أيدي الناس نسخ تامة من شرحه ، ومنها نسخة ابن النحاس وغيره ، وصانف أنه في المرة التي حضر فيها راوي نسختنا محمد بن نصر الغالبى ، أن ابن كيسان لم يتم الشرح ومرض ومات ، فظلت نسخة الغالبى ناقصة ، ونقصها لا يعني أن ابن كيسان لم يتم شرحه أصلاً ، وإنما لم يتم إملاءه الأخير لهذا الشرح .

أما تفسير غياب القصيدة الخامسة في نسخة الغالبى ، فربما يقوم على تصوّر الاجتزاء المتأخّر ، كأن يعمد عامد إلى أن يستل قصيدة لبّيد برمتها من المخطوطة ، أو قصيدة الحارث بن حلزة أو كليهما ، ليمكنا بهذا التصور فهم عبارة الناسخ التي مرّت « تمت السبع الطوال الجاهليات » ذلك أن ابن النحاس الذي تابع ابن كيسان في إيراد القصائد السبع كما نص هو في كتابه ، قد شرح قصائد امرئ القيس وطرفة وزهير ولبيد وعنترة والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم ، بهذا التسلسل ، فلا بد أن يكون إيراد ابن كيسان لها هكذا أيضاً ، وبهذا يمكننا أيضاً فهم إشارة بروكلمان إلى أن في هذه النسخة شرح معلقتي الحارث ولبيد^(٨٩) .

وقد وهم باحثان معاصران حين ذهبا إلى أن في شرح قصيدة عمرو بن كلثوم تقديمًا وتأخيراً في بعض أبياتها^(٩٠) ، أو نقصاً في شرح أبيات من هذه القصيدة ، يُشعر أن بترًا وقع في الكلام^(٩١) . وسبب هذا الوهم أنهما اعتمدا تسلسل أوراق المخطوطة كما هي ، دون النظر في إمكان إعادة ترتيبها ، إذ يمكن تقديم بعض أوراق هذا الجزء من المخطوطة وتأخيرها ، فيعود الكلام إلى تمامه ، والبيت إلى موقعه ، كالذي فعلته في مصوّرتي الخاصة .

والمخطوطة بعدد ، في (٤٩) ورقة ، قياساً ٢٢ x ١٥ سم ، في كل ورقة حوالي (١٥) سطراً ، في كل سطر حوالي (٨) كلمات . مكتوبة بخط نسخي مضبوط بالشكل ، غير أن هذا الضبط لا يخلو من أخطاء ، كما لا تخلو النسخة من أخطاء الرسم ، وفيها طمس في مواطن كثيرة بفعل القِدم والرطوبة ، تصعب معه القراءة ، وفيها ما يدل على جهل الناسخ بالمعروض ، إذ يتفق أن يقسم البيت إلى شطرين على غير

وجهيهما الصحيحين . ويستدرك الناسخ ما سقط من قلمه على حاشية النص مشيراً بالقلم إلى مكانه ، وكأنه عمد إلى مقابلة هذه النسخة وعرضها على الاصل بعد الانتهاء من نسخها ؛ هذا سوى اضطراب اوراقها تقدماً وتأخيراً سببه تجليد المخطوطة على اضطرابها . وليس في آخرها اسم الناسخ ، إلا أن الناسخ ذكر تاريخ النسخ فقال : « تمت السبع الطوال الجاهليات والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين . وقع الفراغ منه في محرم من سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وحسبنا الله ونعم الوكيل »^(١٠٦) .

■ منهج ابن كيسان في شرحه

لا يعمد الباحث أن يقف على ظواهر منهجية في شرح ابن كيسان للقوائد الجاهليات تُنبئ عن دقة وإحاطة وتشير إلى نوق وعلم . فإذا كانت طريقته في إيراد البيت وشرحه ، ثم البيت الذي يليه وشرحه ، حتى يأتي على القصيدة ، ليست جديدة ؛ فإنه في مادة الشرح قد فاق الشراح الذين جاؤوا بعده وسبقهم في جوانب كثيرة .

وأول ما يُذكر له في هذا الشأن اهتمامه بالنص الشعري الذي يشرحه ، واختلاف رواياته ، إذ كثيراً ما يشير إلى روايات أخرى معروفة للبيت ، دون أن ينسبها في كثير من الأحيان^(١٠٧) . وقد ينسبها في مواضع قليلة^(١٠٨) . وكذلك اهتمامه بالشواهد ، فكثيراً ما نجده معتمداً في شرحه على الشواهد القرآنية^(١٠٩) ، والشعرية^(١١٠) . والتزم في الشواهد الشعرية أن تكون من العصور التي تعارف اللغويون على فصاحتها ، ولم يتعدّها إلى ما بعدها ، فاستشهد للجاهليين كزهير وعنترة^(١١١) ، وللمخضرمين كحسان^(١١٢) ، وللإسلاميين كجرير وبعض الرّجّاز^(١١٣) ، ولم ينسب كل شواهد الشعرية ، بل نسب بعضها وأهمّل أكثرها .

وعُني بذكر مصادره من الرواة واللغويين ، كابي عبيدة^(١١٤) ، والاصمعي^(١١٥) ، وغيرهما ممن لم يُسمّهم ، وإنما اكتفى بقوله : « وقد قال قوم »^(١١٦) . وزاد من عنايته بالنحو والوجوه الإعرابية المحتملة ، فكثيراً ما يقلب الاستعمال على كل صوره ووجوه ، ليخلص إلى المعنى الذي يفترض أن الشاعر قصد إليه ، ولعله بالغ في هذه العناية في مواطن من شرحه ، وهي تشير إلى تخصّصه المعروف بالنحو ، ولم يغفل - في الوقت نفسه - عن الالتفات إلى اختلاف اللهجات في الاستعمال^(١١٧) ، وإن لم يلتزم نسبة اللهجة إلى أصحابها ، وكذلك لم تفته الإشارة إلى الظواهر اللغوية ، كإشارته إلى الأضداد مثلاً^(١١٨) ، والتطور الدلالي الذي يصيب اللغة^(١١٩) .

وعمله في الشرح يقوم على إيراد البيت ، ثم يبدأ الشرح تحته بكلمة (التفسير)^(١٢٠) ، ولم يلتزم أن يبدأ الشرح بهذه الكلمة ، فقد تركها في مواضع من كتابه^(١٢١) . ثم يشرح مفردات

البيت شرحاً لغوياً ، فيورد معاني الالفاظ ، وقد يعرج بكلامه على بناء الكلمة ، أو تثنيتهما وجمعها ان كانت بصيغة المفرد ، وعلى إعرابها بل وجوهها الإعرابية ، ويورد المرانف المعنوي لها في بعض الأحيان ، فإذا انتهى من ذلك أجمل معنى البيت بقوله (والمعنى) أو (ومعنى البيت) ويأتي بالمعنى العام الذي يرى أنه مراد الشاعر^(١٢٢) . ويضمن كل ذلك ما يعن له مما أشرنا إليه من اختلاف الرواية ، أو الشاهد القرآني والشعري ، أو رأي الاصمعي وأبي عبيدة أو سواهما من اللغويين ؛ ورثما خلص إلى موقف نقدي من الشاعر أو من البيت ، يلمح إلى نوق ادبي خاص ، غير ملتزم بما تؤديه مفردات البيت من معنى ، إذ يفترض هو فيه معنى أسمى من المعنى الظاهر^(١٢٣) .

ولا يملك الدارس إلا ان يقتنع بأن لابن كيسان شخصية مستقلة في الشرح ، تقوم على الأمانة والتجديد ، ذلك انه حين جعل من منهجه ان يورد آراء سواه من اللغويين في معاني الأبيات كقوله « وقيل غير ذلك » أو « فسر على غير هذا » وأشباهه ، لم يقف عند هذه الآراء ، بل تجاوزها إلى رأي خاص ، ومعنى جديد ، فهو حين يقفنا على مجموعة من الآراء في المعنى العام للبيت ، فإنه يناقش هذه الآراء ، ويدلي بما يراه مناسباً فيها ، ثم يخلص من ذلك كله إلى المعنى الذي يتفق وسياق القصيدة^(١٢٤) ، وبذلك حفظ لنا ما لغيره ضاماً إليه ماله .

في حين نجد الشراح الذين تصدوا إلى هذه القصائد بعده ، قد نهجوا نهجه ، ونقلوا عنه ، وأخذوا منه ناسبين إليه ما نقلوه عنه مرة ، وتاركين هذا مرات ، مستفيدين من طريقته في الشرح ، التي ذكرنا قبل قليل اهم خصائصها ، وإذا كان ابن النحاس قد نصّ على النقل من كتاب ابن كيسان في خمسة وثمانين موضعاً ، فقد اغفل النص عليه في أكثر من هذه المواضع ، وقد اشار محقق ابن النحاس إلى هذا النقل في مقدمة دراسته^(١٢٥) . والأغرب من هذا ما نقف عليه في شرحي ابي بكر بن الانباري والتبريزي ، فلا نكاد نعتز على ذكر ابن كيسان إلا في موضع أو موضعين منهما ؛ في حين نقلنا عنه نقلاً شاملاً ، بلغ في بعض الأحيان أن لا نجد مزيداً عليه في شروح الأبيات لديهما ، إذ اكتفيا بما شرحه ابن كيسان فنقلاه ولم يغيّرا فيه ولم يضيفا إليه شيئاً^(١٢٦) .

وإذا كانت مخطوطتنا بعيدة عن محققي ابن الانباري والتبريزي ، فلم يهتديا إلى هذه الحقيقة ، فإنها لم تكن بعيدة عن محقق ابن النحاس ، إذ وقف على هذه الحقيقة فقال : « إنه - أي ابن النحاس - لم يكن بعيداً عن شراح المعلقات ، فقد تأثر ببعضهم وأثر في البعض الآخر ، ومنهم ابن كيسان » ، وأن ابن النحاس « ينقل عنه - أي عن ابن كيسان - في شرحه فيما يقرب من خمسة وثمانين موضعاً ، وأورد كثيراً من الشواهد وأقوال العلماء وجدناها فيما بقي من شرح ابن كيسان ، فالنحاس يتابعه وينقل عنه ويتخذ مصدراً من مصادره المهمة »^(١٢٧) . غير أن

الاصل : النسخة التي بين ايدينا من المخطوطة .
الشارح : أبو الحسن بن كيسان مؤلف الكتاب الذي نحقق منه
هذا الجزء .

ابن الانباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابي
بكر بن الانباري .

ابن النحاس : شرح القصائد التسع المشهورات لابي جعفر بن
النحاس .

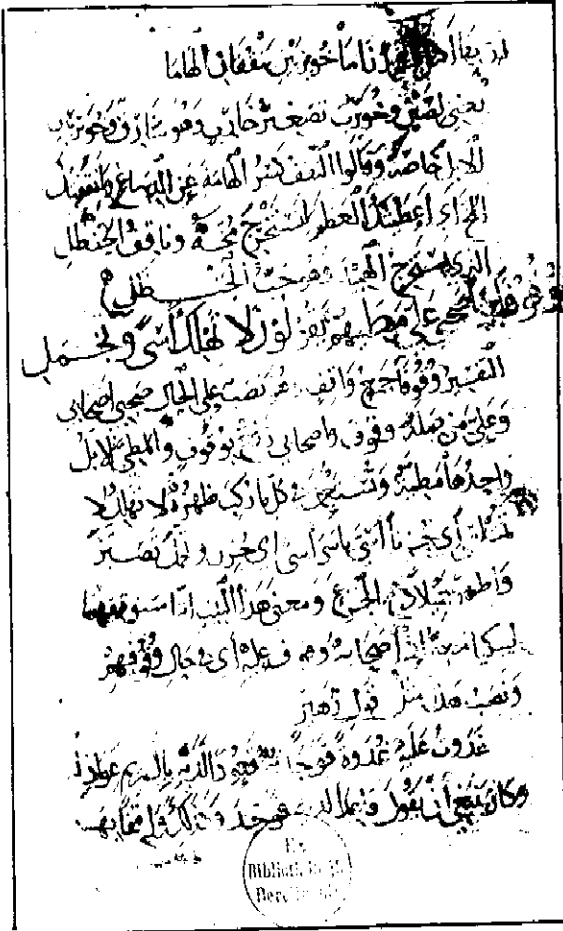
الزوزني : شرح المعلقات السبع للزوزني .

الاعلم : اشعار الشعراء الستة الجاهليين للاعلم الشنتمري

التبريزي : شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي

امرو القيس : ديوان امرىء القيس برواية الاصمعي والمفضل
وغيرهما .

طرفة : ديوان طرفة بن العبد بشرح الاعلم الشنتمري
التجارية : شرح ديوان علقمة وطرفة وعنترة .



[القسم الثاني : التحقيق]

[ما بقي من شرح قصيدة امرىء القيس (١١٣)]

[٢ / ب] جواب الأمر ، والوجود أن يكون جواب شرط مقدر .

ونذكرى : متعلق من نبيك (١١٤) .

المحقق نفسه ناقض هذا الذي توصل اليه ، وذهب الى تفرد ابن
النحاس من بين شراح المعلقات بأسلوب مميز « فهو اذا اراد أن
يشرح بيتاً تناول كلماته الغريبة ففسرها تفسيراً مختصراً ، ثم
انتقل الى ما فيها من النحو فقلب مسائله تقليباً » (١١٢) . ألم يكن
هذا منهج ابن كيسان بعينه ؟ فكيف تفرد ابن النحاس به ، وهو
الذي اتخذ كتاب ابن كيسان (مصدرنا من مصادره المهمة) كما
يقول المحقق ؟

ومهما يكن من امر فإن كتاب ابن كيسان - على اختصاره -
يُعد أقدم ما وصل إلينا من كتب شرح المعلقات ، ومن أكثرها اصالة
ودقة ، ولو كان وصل كاملاً غير منقوص ، لكان له شأن أي شأن في
التراث اللغوي الذي تخلف إلينا من قرون الإبداع الاولى .

■ عملي في التحقيق

يُدرك المعنيون بالتحقيق ما تفرضه النسخة الفريدة من
صعوبات على المحقق ، ذلك أنها تفوت عليه ما تعود به مقابلة
النسخ ومعارضتها من الوصول إلى نص أقرب ما يكون إلى نص
المؤلف .

ولكن غياب النسخ يدفع بالمحقق إلى اللجوء إلى المظان
التي نقلت من هذا الكتاب ؛ وآلا فإلى الاجتهاد المعتمد على
السياق او غيره من القرائن .

وعلى ذلك فقد عمدت الى ضبط النص شعراً وشرحاً ،
وعرض الابيات على ديواني امرىء القيس وطرفة ، وعلى شروح
المعلقات ، مثبتاً في الهوامش اختلاف الروايات وموضع كل بيت
من المعلقتين ، وأفدت من هذه الشروح في إكمال شرح ابن كيسان
إن كان مما بقي في المخطوطة ، او جعله مستدركا عليها في
الاخير ان كان مما سقط منها .

وخزجت شواهد من الايات في القرآن الكريم ، ومن الشعر
والزجز في دواوين الشعراء او في المصادر والمظان ونسبت ما لم
ينسب من الابيات والاقوال الى اصحابها ، وعرضت مادة الشرح
على كتب المتأخرين من الشراح فخرجتها في كتبهم ، وعزفت
بالاعلام تعريفاً موجزاً ناصاً على مصادر ترجمتهم في الهامش .
وصححت ما وقع فيه الناسخ من أخطاء في الرسم مشيراً
في الهامش الى رسم النسخة ، وادخلت في النص ما سقط من
قلم الناسخ واستدركه في الحواشي ، واكملت ما جاء ناقصاً من
الشواهد ، وشرحت ما يقتضي الشرح من المفردات ، وعلقت على
بعض الاستعمالات ، وجمعت بقصة الشاهد إن وجدت فيها
ما ينفع ، حريصاً على ان اقدم ما يفصح عن جهد لم أدخر منه
شيئاً .

ورأيت أن ارمز الى المصادر التي يتكرر ذكرها والرجوع اليها في
الهوامش بالرموز الآتية اختصاراً :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسها
لما نسجتها من جنوب وشمال

توضح فالمقراة : موضعان ، ومعنى قوله لم يعف رسها : لم يدرش ، لما نسجت الجنوب والشمال ، فهو باق^(١١٤) .

تري بعر الأرام في عسرساتيه
وقيمانها كأنه حب فلفل^(١١٥)

الأرام : الطباء البيض ، واحدها رئم^(١١٦) ، والعرسات : جمع عرسة وهي الساحة ، والقيمان : جمع قاع ، وهو الموضع الذي يستنقع فيه الماء ، وهذا البيت والذي بعده مما يزداد في هذه القصيدة : قال الأصمعي^(١١٨) : الأعراب ترويهما^(١١٩) .

كأني غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحى ناقف حنظل^(١٢٠)

سمرات : جمع سمرة ، وهي شجرة لها شوك^(١٢١) . يقول : لما تحملوا اعترلت أبكي كأني ناقف حنظل وإنما شبه نفسه به لأن ناقف الحنظل تدمع عيناه لحرارة الحنظل^(١٢٢) . والنقف : نقف رأس الرجل بعضاً أو غيرها . قال [الشاعر]^(١٢٣) :

[٣ / أ]

إن بها أكثل أو رزاما
خسوي رنين ينقفان الهامسا^(١٢٤)

وخويربان : يعني لصين ، وخويرب : تصغير خارب ، وهو سارق الإبل خاصة^(١٢٥) . وقالوا : النقف كسر الهامة عن الدماغ ، وأنقفك المخ : أي اعطيتك العظم لتستخرج مخه ، وناقف الحنظل : الذي يستخرج الهبيد وهو حب الحنظل^(١٢٦) .

وقوفاً بها ضحبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل^(١٢٧)

التفسير : وقوفاً : جمع واقف ، وهو نصب على الحال . ضحبي : اصحابي ، وعلي : من صلة وقوف . وأصحابي : رفع بوقوف^(١٢٨) . والمطي : الإبل ، واحدها مطية ، وتستعمل في كل ما ركب ظهره . لا تهلك : لا تثن . أسى : أي حزناً : أسى ياسى أسى : أي حزن . وتجمل : تصبر ، وأظهر جميلاً : دع الجزع . ومعنى هذا البيت : أنه استوقفهما لييكيا معه إذ أصحابه وقوف عليه ، أي في حال وقوفهم . ونصب هذا مثل قول زهير :

غدت عليه غدوة فوجدته
قوداً لديه بالصريم عواذلة^(١٢٩)

وكان ينبغي أن يقول : قاعداً لديه فوجد ، وكذلك واقفاً بها .
[٤ / ب]

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل
وإن كنت قد أزمعت صسرمني فاجملي

التفسير : جعل تلومها عليه تدللاً ، يقال : أدل فلان على فلان : إذا وثق بما له عنده فحمل عليه في الأمور فوق ما يستحق به . والصرم : القطيعة . وأزمعت : عزميت على ذلك . أجملي : أحسنني . المعنى : يقول إن كان فمك إدلالاً ليس عن بغضة فدعي بعضه ، أي لا تسرفي ، وإن كان عزمك القطيعة فاحسني فيما بيني وبينك^(١٣٠) .

وإن كنت قد ساءتني مني خليفة
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل^(١٣١)

التفسير : ساءتني : أدتني ، من السوء . خليفة : مخالفة . فسلي ثيابي من ثيابك : ضربه مثلاً لما بينهما من مخالطة القلبين كاختلاط الثياب بالثياب . تنسل : تسقط ، يقال : نسل ريش الطائر ينسل : إذا سقط^(١٣٢) . ومعنى هذا البيت : يقول إن خلانقي حسنة فإن كرهتها فلا شيء يرضيك إلا الصرم ، أي لا مزيد عندي ، ولكن قد غلبت على قلبي فحلي حتى تقع المفارقة . وقد قيل : إن الثياب : القلب ، وتأولوا قوله تعالى : (وثيابك فطهر)^(١٣٣) أي : طهر قلبك بأن لا يكون فيه كفر . وقد قيل مثل ذلك في قول عنتره :

[٥ / أ]

فشككت بالرمح الأصم ثيابه
ليس الكريم على القنسا بمحرم^(١٣٤)
إنما أراد قلبه ، وربما جعلوا الثياب كناية عن الإنسان نفسه^(١٣٥) .

أغرك مني أن حبك قاتلي
وأنتك مهما تسامري القلب يفعل

التفسير : أغرك مني : أي حملك علي الغرة ، وهي قلة المعرفة بما يجب له . ومن ذلك الغريز : الذي لم يجرب الأمور . ومعنى هذا البيت : أنك وثقت مني بالمحبة ، وأن ذلك يأتي على نفسي ، وأن قلبي مطاوعك وغير مطاوعي في فراقك ، فذلك كان تدللك^(١٣٦) .

وما نرفت عيناك إلا لتضري^(١٣٧)
بسهميك في أعشار قلب مقليل

إذا ما الثريا في السماء تعرضت
تعرض أثناء الوشاح المفصل

التفسير: جعل (إذا) وقتاً لتخطيه ، والثريا تعرض في
السماء : إذا استقلت وتستقبل بانفها أو لما تطلع^(١٢١) ، ويقال :
تعرضها : اعتراضها على غير استقامة ، كما قال :

• تعرض المهرة في الطول^(١٢٢) •

[٦ / ب] وكذلك تعرض اثناء الوشاح : هو ان ينتهي على
الكشح فلا يستقيم ، والمفضل : الذي قد فصل بالشذر . ومعنى
هذا البيت : أي أن^(١٢٣) هذه المرأة وقد استقلت النجوم تهوّر الليل
لجسارتي على الليل . وقد قال قوم : إن الثريا لا تعرض وإنما تمر
على استقامة ، ولكنه مثل قوله :

تعرضي مدراجاً وشومي

تعرض الجوزاء للنجوم^(١٢٤)
قال : فاراد الجوزاء^(١٢٥) ، وهي أشبه بالوشاح ، والعرب
تسمي الجوزاء^(١٢٦) : النظم ، ولكنه وضع شيئاً مكان شيء كقول
زهير : كاحمر عاي^(١٢٧) . وإنما هو أحمر ثمود^(١٢٨) . وكقوله :

• مثل النصارى قتلوا المسيحاً •

وإنما يريد اليهود .

فجئت وقد نضت^(١٢٩) لنوم ثيائها
لدى الستور إلا لبسة المتفضل

التفسير: نضت : ألقّت ، يقال : نضا ثوبه وسراؤه عنه ،
والمفضل : الذي يبقى في ثوب واحد لينام فيه أو يعمل^(١٣٠) ،
يقال : رجل فُضِّلَ وامرأة فُضِّلَ ، والفضلة : الثياب التي تبديل للنوم
والعمل ، والمفضل : الإزاء . ومعنى هذا البيت : أنني وافيتها وهي
تريد النوم ، لأن ذلك وقت خلوتها فتحينته^(١٣١) .

[٧ / أ] - ٢٦ -

فقال يمين الله مالك حيلة

وما إن أرى عنك الغواية تنجلي^(١٣٢)

يمين الله : أحلف بيمين الله ، فلما القي الباء نصب على
إضمار الفعل ، وروى بعضهم : يمين الله بالرفع : أي يمين الله
قسمي . مالك حيلة : أي مالك جهة فيما أبيت . والغواية : الغي .
تنجلي : تنكشف . ومعنى هذا البيت : أنها خافت بمجيئه^(١٣٣) أن
يظهر عليه ، فقالت : مالك حيلة في التخلص^(١٣٤) ، وقد يجوز :
مالك حيلة في ما قصدت له ، أي أخاف ان يعلم اهلي بك ، أي
فكيف السبيل الى ستر هذا .

فمقت بها أمشي تجر وراءنا

على أثرينا نيز مرط مرحلي^(١٣٥)

التفسير: ذرفت : دمعّت . وجعل عينها سهمها تمثيلاً
بقدحين يستوفيان أعشار الجزور إذا فازا . وقوله : مقتل : مثل
منقاد . ومعنى هذا البيت : أنه جعل بكاءها^(١٣٦) سبباً لقلبها
على قلبه ، فكأنها حين بكّت فاز سهمها ؛ شبهها بالقامر إذا
استولى^(١٣٧) بقدحين على أعشار الجزور ، وذلك أنه لا يستولي
على الجزور كلها بأقل من سهمين ؛ لأن أعلاها المعلى وله سبعة
انصباء وأقلها الغد ، وله نصيب واحد^(١٣٨) ، ثم التوأم والرقيب
والمصفح [٥ / ب] والحلس والنافس ، فإذا خرج المعلى فأنزاً
ومعه الرقيب أو المصفح أو الحلس أو النافس أو خرج المصفح
والنافس أو الحلس والنافس استولى السهمان على أجر الجزور ،
فأراد أن عينها قامت لها مقام سهمين^(١٣٩) . وقد فُسر معناه على
غير هذا ، قالوا : أراد وما ذرفت عينك إلا لتجرحي بهما قلباً
معتسراً : أي مكسراً ، من قولهم : برمة أعشار إذا كانت مكسرة قد
جُبرت ، فادنى شيء يصيبها يذهب بها ، كأنه أراد أن قلبي قد أثر
فيه الحب مراناً فصار بمنزلة القدر^(١٤٠) . الأعشار : لا واحد لها .

وبيضة خدر لا يرأم خباؤها

تمتعت من لهنو بها غير مجلي

التفسير: أي رب بيضة خدر ، يعني امرأة كالبيضة في
صياها . لا يرأم خباؤها : لا يطمخ في [وصلها]^(١٤١) لمرها .
وخباؤها : بيتها . تمتعت : جعلتها متاعي الذي الهوى وأقوم به .
غير مجلي : لم يجعلني عنها خوف ولا منع^(١٤٢) . ومعنى هذا
البيت ان هذه المرأة في خدر مختبئة ، لا يطمخ الى الوصول اليها
بتزويج ولا غيره ، [٦ / أ] وصلت إلى اللهو بها لفرتي ولقلبتي
على قلبها^(١٤٣) .

تخطيت أهوالاً إليها ومعشراً

علي جراساً لو يسزون مقتلي^(١٤٤)

ويروى : تخطيت أبواباً . ويروى : لو يسزون . التفسير : فمن
قال يسزون فمعناه : يكتمون ، وقد قال بعضهم : يسرون من
الاضداد ، يكون تكتمون ويكون تعلنون^(١٤٥) . وتأولوا هذا في قوله
تعالى : (وأسروا النمامة لما رأوا العذاب)^(١٤٦) أي : اعلتوها ،
ويقال : كتموها^(١٤٧) من الذين اتبعوهم على الكفر . فاما يسزون
بالشين معجمة : فيظهرون ، من قولك أشزرت الثوب : إذا نشرته .
ومعنى هذا البيت : أي تخطيت هذه الأهوال وهؤلاء الرجال الذين
يحرصون على قتلي ولا يقدرين على ذلك لعزّي ، فلا يمكنهم
إسراة لنباهتي^(١٤٨) ، ولا إظهاره لما يخافون في عاقبة ذلك من
مولد هم ، لأن قتل مثلي لا يظهر لعزّي .

ويروى : نمشي . ويروى : على إثرنا أذبال مرط ، ويروى : على إثرنا ذيل مرط . التفسير : النيز : العلم ، ويقال : الهدب . والذيل : طرف القميص والثوب الذي يقع على الأرض إذا لبس . والمرط : إزار خز معلّم ، وجمعه : مروط . ومرخل : عليه أمثال الرجال من الوشي ، وكذلك البرؤ المرخل . ومعنى هذا البيت : أنها قالت له : مالك حيلة هاهنا ، أخرجها من جدرها ليخلو بها ، فجرت ذيل مرطها على أثر قدميها وأثر قدميها كيلا يُقضى أثرهما (١٧٧) .

[ما بقي من شرح قصيدة طرفة (١٧٧)]

[٨ / ب] ٧٥ -

بلا خنت أهدتته ومحدث
هجاني وقذفي بالشكاة ومطردى

التفسير : يجوز أن تكون الباء من صلة (يئنا عني ويئعد) (١٧٨) بلا حدث . ويجوز أن يكون من صلة (يلوم) (١٧٩) ، ويجوز أن يكون من صلة (وأيا سني) (١٨٠) . يقول : قل ذلك بغير حديث كان مني إليه . ومحدث أي وهو كمحدث . ويروى الاصمعي : ومحدث (١٨١) . ويجوز أن يكون كمحدث : أي وأنا كمحدث إذ هجاني وقذفتني ، ويكون على مذهب الاصمعي ومحدث : أي كشيء ابتدئ ، يجعل الهجاء كالمحدث الذي لا أصل له (١٨٢) ، أي هجاني وقذفي بالشكاة ومطردى كشيء أحدث لم يكن له أصل استحقاقه به ، أي هو تقد منه .

٧٦ -

فلو كسان مولاي امزءا هو غيره
لفرّج كربي أو لانظرنني غدي

التفسير : وكان الاصمعي يروي : فلو كان مولاي ابن أصرم مسهر (١٨٣) . المولى : ابن العم . وقوله لفرّج كربي : أي لأعانني على تفريج ما ينزل بي من الهم أو لانظرنني غدي (١٨٤) : أي لتأني في أمري ولم يعجل عليّ حتى أصير إلى ما يحب ، ويقال أنظرة غده : أي دفعه حتى يرجع إليه حلمه ويحسن رأيه (١٨٥) . والنحو في هذا إذا قال : فلو كان مولاي امرأة نصّب : لأن مولاي اسم معرفة وامرؤ اسم نكرة ، ويجوز رفع امرئ ونصب المولى [٩ / أ] على ضعف ، قد جاء في الشعر مثله ، قال حسان بن ثابت :

كان سبيئنة (١٨٦) من بيت رأس
يكون مزاجها عسل وماء
إذا ما اشربت ذكرن يوماً
فهو لطيف السراج القدا (١٨٧)
فرفع عسل وماء وهما نكرة بيكون ، ونصب مزاجها وهو

معرفة . وفي بيت طرفة (هو) إقواء (١٧٨) ، لأنه وصفه بقوله : هو غيره ، فدنا من المعرفة (١٧٩) . وأما من روى : فلو كان مولاي ابن أصرم مسهر ، فله أن يقول : ابن أصرم مسهراً ، وله أن يرفع ابن أصرم ، ويجعل الخبر مولاي وهو الوجه ، لأنهما معرفتان متكافئتان واخترنا رفع ابن أصرم لأنه معرفة مقصود قصدها ، وكل ابن عم لي فهو مولاي ، ولم يقصد قصد واحد بعينه فذلك اخترنا أن يكون [مولاي] (١٨٠) خير (١٨١) .

٧٧ -

ولكن مولاي امرؤ هو خانقي
على الشكر والتسأل أو أنا مُقتد (١٨٢)

التفسير : أراد مُقتد منه . ويروى أبو عبيدة (١٨٣) : هو خانقي ، على غير ما اذنبت أو أنا مُعتد (١٨٤) : أي معتد عليه (١٨٥) .

٧٩ -

فذرني وخلقي إنني لك شاكر
ولو حل بيتي نائياً عند ضرغد (١٨٦)

ويروى : فذرني وعرضي (١٨٧) ، أي من عرضك . انني لك شاكر : أي عارف بفضلك . وضرغد [٩ / ب] : جبل . ويقال : حرة ، يُقال لها حرة ضرغد (١٨٨) .

٨٠ -

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد
ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد (١٨٩)

التفسير : قيس بن خالد بن عبد الله ذي الجدين من بني شيبان . وعمرو بن مرثد بن جعفر بن مالك ، وهو ابن عم طرفة ، وطرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك . ويروى أبو عبيدة : أرى كل ذي جند ينوء بجنده
فلو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد (١٩٠)

قال أبو عبيدة : فقال عمرو بن مرثد لما سمع قول طرفة : إبعثوا إليّ طرفة فليأتني . فاتاة طرفة فقال له : أما الولد فالله يعطيكهم (١٩١) . فبمخلوف لا تبرح (١٩٢) حتى تكون أوسطنا مالا ، ثم امر بنيه وهم سبعة : بشر بن عمرو ومرثد الفيض بن عمرو ونفل بن عمرو ، وأهم زهرة بنت (١٩٣) عائد بن معاوية بن عمرو بن أبي ربيعة بن نهل بن شيبان ، وشرحبيل بن عمرو ومحمود بن عمرو وحسان بن عمرو وحليم بن عمرو ، وأهم ماوية بنت جوي بن سفيان بن مجاشع بن دارم . فقال : يا بشر أعطوا ، فاعطاه عشرة من الإبل ، حتى أعطوه بنو عمرو (١٩٤) سبعين بعيراً . ثم قال لثلاثة من بني الأبناء [١٠ / أ] : أعطوه عشرة عشرة . فكان أحد الثلاثة عبد عمرو بن بشر والآخر عباد بن مرثد والآخر صعصعة بن محمود . فبنو الأبناء الذين أعطوا طرفة يفخر أبنائهم على سائر الأبناء الذين لم يعطوا طرفة ، ويقولون : جعلنا جدنا مثل بنيه (١٩٥) .

فَسَاحِبْجَتْنَا مَالًا كَثِيرًا وَعَانِدِي
بِقَوْنِ كِسْرَامٍ سَادَةٍ لِمَسْوُودٍ^(٢١٦)

التفسير: يقول عاتدي واعتادني وزارني وأزدارني^(٢١٧).
[ومعنى قوله:] سادة لمسود [أي سادة أبناء سيد]^(٢١٨).
كما تقول: أنت شريف لشريف: أي شريف ابن شريف^(٢١٩).

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
خَشَاشٌ كِرَاسٍ الْحَيَّةِ الْمَتَوَقَّدِ^(٢٢٠)

التفسير: ويروى: الجعد. ويروى: خشاش
[وخشاشاً]^(٢٢١) بالرفع والتصب. ويفتح الخاء وكسرهما^(٢٢٢).
وهو الخفيف. الخشاش: الذي في أذن الناقة، بالكسر
لا غير^(٢٢٣). إنما يريد خفة الروح والدكاء^(٢٢٤).

وَأَلَيْتُ لَا يَنْفَسُكَ كُفْحِي بِطَانَةٍ
لِعَضْبٍ رَقِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ مُهْذَبِ^(٢٢٥)

التفسير: أليت: حلفت. لا ينفك: لا يزال. والكشف:
الجنب. بطانة: أي يكون تحت السيف لاصقاً به. والعضب:
الماضي من السيوف القاطع. والشفرتان: حد السيف. مهذ:
منسوب إلى الهند^(٢٢٦).

حَسَامٌ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِراً بِهِ
كَفَى الْقَوْدَ مِنْهُ الْبَدْءَ لَيْسَ بِمُعْصِدِ^(٢٢٧)

التفسير: الحسام: السيف القاطع. وقوله: كفى العود منه
البدء، يقول: كفت الضربة الأولى التي بدأ بها أن يعود ثانية.
والمعصد: السيف الرديء الذي يعضد به الشجر وما قُطِعَ به
وشذب عنه، يقال: المعصد^(٢٢٨). والفعل منه: المعصد بتسكين
الضاد، عضدت الشجرة^(٢٢٩)، أعصدها عضداً.

أَخِي ثَقَلَةٌ لَا يَنْتَنِي عَنْ ضَرِيبةِ
إِذَا قِيلَ: مَهْلًا قَالِ حَاجِرُهُ: قَدِ^(٢٣٠)

التفسير: أخي ثقة: يعني السيف يثق بضربته. لا ينتني:
لا يعوج ولا ينو عن الضربة. والضريبة: الضربة. إذا قيل مهلاً:
أي إذا قال قائل مهلاً، قال الذي يحجز بينه وبين المضروب: قد
أتى على ما أراد من القطع^(٢٣١).

إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السُّلَاحَ وَجَدْتَنِي
مَنْعِيماً إِذَا بَلْتُ بِقَائِمِهِ يَدِي

التفسير: [وَجَدْتَنِي: بضم التاء]^(٢٣٢). بَلْتُ: ظفرت
[وَتَمَكَّنْتُ]^(٢٣٣). أي ظفرت بإمساكه وتمكنت منه. وقائم
السيف: مقبضه. والمنيع: الذي لا يوصل إليه^(٢٣٤).

وَبَرَكٌ مُجَوِّدٌ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي
نَوَادِيهَا أَمْشِي بِمَعْصِبِ مُجَرِّدِ^(٢٣٥)

[١١ / أ] التفسير: البرك: الأبل الحي^(٢٣٦). والهجود:
النيام. والنوادي: الأوائل. عضب: سيف قاطع. مجرد: قد جرد
من غنيمه. أراد: رب برك قد مشيت فيه بالسيف، لاعقر منه
للضيف وغيره^(٢٣٧).

فَمَرْتُ كَهَاءَ ذَاتِ^(٢٣٨) خَيْفٍ جُلَالَةٍ
عَقِيلَةٍ شَيْخٍ كَالْوَيْبِلِ يَلْتَذِدِ^(٢٣٩)

ويروى: ألتذد^(٢٤٠). التفسير: مرث كهاء: ناقة ضخمة،
أي^(٢٤١) مرث على غفري. والخيف: جلد الضرع الأعلى كالجراب،
ويقال: ناقة خيفاء: إذا كانت ضخمة جراب الضرع، ويعبر
أخيف: إذا كان ضخماً الثبل، وهو وعاء قضيه. والجلالة:
الجليلة العظيمة. والمقيلة: الكريمة؛ وجعلها لشيوخ لانه أضئ
بها وأقوم عليها. والويبيل: العصا، واليلند والالند^(٢٤٢): السيء
الخلق الصخاب السيء الحجة^(٢٤٣).

يَقُولُ وَقَدْ تَرُّ الْوُظَيْفُ وَسَاقُهَا
أَلَسْتُ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتُ بِمُسْوِيْدِ^(٢٤٤)

التفسير: تَرُّ: انقطع، وأترزته: قطعته. والوظيف: عظم
الساق والذراع. والمؤيد: الداهية^(٢٤٥). والأمر العظيم. أي يقول:
مثلها^(٢٤٦) لا يعقر، وعقرها داهية، أي يقول الشيخ^(٢٤٧).
[١١ / ب]

وَقَالَ أَلَا مَاذَا^(٢٤٨) تَزُونُ بِشَارِبِ
شَدِيدٍ غَلِينَا بِغُيَّةٍ مُتَعَمِّدِ^(٢٤٩)

التفسير: أي قال الشيخ للناس ذلك، يشكو طرفه^(٢٥٠).

فَقَالُوا: ذَرُوهُ إِنْ مَا نَفَعَهَا لَهُ
وَلَا تَرُونَا قَاصِي الْبَرَكِ يَزْدَدِ^(٢٥١)

التفسير: ويروى: تكفوا قاصي السرب. أي فقال الذين شكا

اليهم الشيخ طرفة [يعني الناس] (٢٣٣) : نَرُوا طَرَفَةً يَفْعَلُ ما يشاء ، إنما نفَعُها للشيخ ، اي يخلِفُ عليه ويزيدُه . [الهاء في قوله : نَرُوهُ ، تعودُ على طرفة ، وفي قوله : نفَعُها له ، تعودُ على الشيخ] (٢٣٤) . وإلَّا تَرَتُوا عن طرفة قاصي البرك ، اي ما يُفَدُّ عنه ، يَزِيدُ : اي يلحق فيعقر غير هذه الناقة (٢٣٥) .

- ٩٢

فَطَلَّ الإِمَاءُ يَفْتَلِنُ حُوازها
ويُسمى علينا بالسديف المشرقد (٢٣٦)

التفسير : يمتلن : يشتوين . وحوارها : ولدها الذي كان في جوفها ، اي كانت عشاء . والسديف : شطائب السنام ، وهو أن يقطع على طوله ، وواحدة الشطائب : شطبية . والمشرقد : الحسنُ الفداء ، ومثله المشرعف والمشرهف والمعدلج والمخرفج (٢٣٧)

- ٩٣

فإن مت فأنعيني بما أنا أهله
وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

التفسير : خاطب ابنة اخيه . انعيني : اذكرني موتي بالثناء علي إذا مت (٢٣٨)

[١٢ / ١] - ٩٤

ولا تجعليني كأمريء ليس همة
كهفي ولا يُغني غنائي ومشهدي

التفسير : غنائي : كفايتي في الحرب ، ومشهدي : مشهدي في الخصومات (٢٣٩)

- ٩٥

بطيء عن الجلى سريع إلى الخنا (٢٤٠)
ذلّسول باجماع الرجال ملهذ (٢٤١)

ويروى : ثليل . التفسير : بطيء : من نعت امرئ . والجلى : الامر العظيم يقع بين الناس فيدعى له ذوو الرأي . والخنا : الفساد في المنطق . يقول : فهذا الرجل الذي ليس همه كهفي يُعطى عما يحتاج فيه الى الرأي . ويسرع الى السفه والخنا (٢٤٢) . وهو مع ذلك ذلول : اي منقاد لمن ضربه . والاجماع : جمع جمع ، وهو ظهر الكتف إذا جمعت الاصابع . والملهذ : المضروب ، يُقال : لهذه يلهذه ، ويقال : لهذه الجمل حملة : إذا غمز عليه وضغطه (٢٤٣) .

- ٩٦

فلو كنت وغلًا في الرجال لضرني
عداوة ذي الاصحاب والمتوحد (٢٤٤)

التفسير : الوغل : الضعيف الخامل الذي لا ذكر له ، والواغل : الداخل على القوم ليس منهم ، والوغل : الشراب الذي لم يُذغ إليه الرجل (٢٤٥)

- ٩٧

ولكن نفى غني الرجال جراعتي
عليهم وإقدامي وصديقي ومحبدي (٢٤٦)

المحبت : الاصل (٢٤٧)

[١٢ / ب]

- ٩٨

لعمرك ما أمري علي بقصة
نهارى ولا ليلى علي بمرم

التفسير : القصة : الامر المبهم الذي لا يهتدي لكشفه عن نفسه الرجل . يقول : فانا أمضي في نهارى غير متحير في أمري ، وإذا هممت في الليل (٢٤٨) بامر أمضيته ولم أنتظر النهار ، فيطول ليلى علي . والمرم : الطويل (٢٤٩)

- ٩٩

ويوم حبشت النفس عند عراكي
جفاظاً على عوراتي والتهدد (٢٥٠)

التفسير : عراكة : الاعتراك فيه ، وهو معالجة الحرب ، واعتركت الابل على الحوض : ازدحمت ، وأوردها العراق : اذا أرسلها جميعاً ولم يذها . ويروى : على زوعاتي (٢٥١) . يقول : صبرت نفسي على روعات اليوم وتهدد الاعداء . والفوزة : مكان المخافة وما يُحذر من ورود الاعداء (٢٥٢)

- ١٠٠

على موطن يخشى الفتى عنده الردى
فتى تفترك فيه الفرائض شرعد (٢٥٣)

التفسير : الموطن : موضع استقرارهم لحرب او غير ذلك من خصوماتهم (٢٥٤) . والردي : الهلاك . وتفترك الفرائض : يزحم بعضها بعضاً : والفريضة : لحم مرجع الكتف من خارج الإبط [١٣ / أ] على الجنب ، وهو أول [ما] يرعذ من الدابة (٢٥٥) .

- ١٠١

سبدي لك الايام ماكنت جاهلاً
ويأتيك بالاخبار من لم تُرؤد

وكان رؤية ينشد (٢٥٦) هذا البيت .

- ١٠٢

سيأتيك بالاخبار من لم تبغ له
بتاتاً ولم تُضرب له وقت مؤعد (٢٥٨)

تَبِعُ : تشتري^(٣٩) .

تمت قصيدة طرفة بن العبد والحمد لله

وحده .

« ما نقلته المصادر من الشرح وفقد من المخطوطة »

أولاً : شرح قصيدة امرئ القيس

ابن النحاس ١ / ١١٩ وينظر : الديوان ٣٦٩ :

[١٥ -

فقلت لها سيري وأرخي زمامه
ولا تبعديني من جنالك الممل
وزعم أبو الحسن بن كيسان أنه يُروى : الممل ، بفتح اللام
الاولى ، ومعناه الذي قد غلّ بالطيب ، من القل ، وهو الشرب
الثاني وما بعده . ومعنى البيت : أنه تهاون بامر الجمل في
حاجته ، فأمرها أن تُخلي زمامه ولا تُبالي ما أصابه من ذلك] .

ابن النحاس ١ / ١٤٠ :

[٣٠ -

إذا قلت هاتي نوليني تمايلث
علي هضيم الكشح زيا المخلخل
قال أبو الحسن بن كيسان : زيا : فعلى من الري . والري :
انتهاء شرب المعشاش ، فهو عند ذلك يمتلىء جوفه ، فليل لكل
ممتلىء من شحم ولحم : ريان ، والأنتى : ريا . ومعنى البيت : أنه
يصف أنه إذا قال لها : نوليني ولا تبخلي علي ، تمايلث علي
ببديها ملتزمة] .

ابن النحاس ١ / ١٤٢ - ١٤٣ والتبريزي ٩٠ - ٩١ :

[٣٢ -

تصد وثبدي عن شتيت وتثقي
بناظرة من وحش وجرة مطفل
وقال أبو الحسن بن كيسان : تقديرة : وتثقي بناظرة مطفل ،
كانه قال : بناظرة مطفل من وحش وجرة ، ثم غلط فجاء بالتنوين ،
كما قال الآخر :

رحم الله أعظماً دفنوها

بسجستان طلحة الطلحات

فتقديره : رحم الله أعظم طلحة ، فغلط فنون ، ثم اعرب
طلحة بإعراب أعظم ، والاجود إذا فرّق بين المضاف والمضاف

اليه أن لا يتون ، كما قال :

كسان أصوات من إيفالهن بنا
وأخبر الميس أصوات الفراريج

كانه قال : كان أصوات وأخبر الميس أصوات الفراريج [.

ابن النحاس ١ / ١٤٦ والتبريزي ٩٣ :

[٣٥ -

غدا نره مستشزات إلى الفلا
تضل العقاص في مثنى ومسرسل
قال أبو الحسن بن كيسان : روى لنا بNDAR : يضل العقاص
بالياء ، وزعم أن العقاص واحد ، قال وهو المدري ، فكانه يستتر
في الشعر لكثرتة . ويروى : تضل المدارى ، أي من كثافة شعرها .
والمدري : مثل الشوكة تحك به المرأة رأسها ويصلح شعرها [.

ابن النحاس ١ / ١٥٢ :

[٣٩ -

تضيء الظلام بالمشاء كأنها
منسارة ممسى راهب مثبث

وقال أبو الحسن بن كيسان عن بNDAR : إنه على غير حذف ،
والمعنى : أن منارة الراهب تشرق بالليل إذا أوقد فيها قنديله ،
وينير ذلك لعلوها ، فشبه المرأة إذا أشرق حسنُها بالليل بالمنارة .
والمنازة : مفعلة من النور ، وجمعها : مناور . وخص الراهب ، لأنه
لا يُطفئ سراجَه . ومعنى ممسى راهب : إمساء راهب ، أي قد
أمسى فنور [.

ابن النحاس ١ / ١٥٤ - ١٥٥ والتبريزي ٩٨ :

[٤١ -

كبر المقناة البيضاء بصفرة
غذاها تمير الماء غير محلل

قال أبو الحسن بن كيسان : ويروى : غير محلل بكسر اللام
الاولى ، ومعناه انه قليل ، فكانه كتحلة اليمين ينقطع سريعاً ؛
ويجوز أن يكون معناه أنه لقلته وانقطاعه لا يحل كثيراً ، ويقال :
حل يحل إذا نزل ، وحل يحل إذا وجب .

قال أبو الحسن بن كيسان : ويروى : كبر المقناة البيضاء
بصفرة ، وزعم أن التقدير : كبر المقناة بياضه ، وجعل الالف
واللام مقام الهاء ، وقال : مثله قول الله جل وعز : (فإن الجنة هي
الماوى) تقديره : هي ماواة [.

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ
دِرَاكَا وَلَمْ يُنْضَخْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلَ

قال ابو الحسن : قال بNDAR : لم يُرد ثوراً ونعجةً فقط ، إنما أراد الكثير ، والدليل على هذا قوله : دراكاً ، ولو أراد ثوراً ونعجةً فقط لاستغنى بقوله : فعادى . وقوله : فيغسل : الغاء للمطف . وليست بجواب ، أي لم يُنضخ ولم يُغسل [.

التبريزي ١٢٩ :

كَانَ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَثَلِيهِ
كَبِيرٌ أَنَاسٍ فِي جِبَابٍ مُزْمَلٍ

وكان ابن كيسان يروي : وكان ، بزيادة الواو في هذا البيت وفيما بعده ، ليكون الكلام مرتبطاً بعبءه ببعض ، وهذا يُسمى الخرم في العروض [.

ابن النحاس ١ / ٢٠٣ :

كَانَ السَّبَاعُ فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةً
بَارِجَانِهَا الْقُصُوى أَنَابِيَشُ عُصَلٍ

قال ابو الحسن بن كيسان : قال بNDAR : لا واحد لها . قال : وقال غيره : واحداً أنبوش . قال : وهو عندي : أفعال من النَبَشِ . والمُتَصَلُ : نَبَشٌ يُشَبُّهُ الْبَصَلُ . قال ابو الحسن : معنى البيت عندي أن هذا الغيث قد غرق هذه السباع ، فهي في نواحيه ، ويبدو منها أطرافها : فشبهها بالعنصل [.

ثانياً : شرح قصيدة طرفة

ابن النحاس ١ / ٢٢٨ :

فَطُوراً بِهِ خَلْفَ الزَّمِيلِ وَتَارَةً
عَلَى خَشْفٍ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدِّدٍ

قال ابو الحسن بن كيسان : قوله خلف الزميل ولا زميل ، ثم يقدرة : خلف موضع الزميل ، يعني الرديف [.

جمهرة الهاشمي ١ / ٢٠٣ والديوان (الاعلام) ١٦

هامش ٤ :

لَهَا فُخْذَانِ أَكْمَلَ النُّحْضِ فِيهِمَا
كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُبْرَدٍ

قال ابو الحسن : التقدير : كأنهما جانباً باب ، فثنى الباب وهو يريد جانبيه . والمعنى : كأنهما جانباً باب قصر منيف [.

ابن النحاس ١ / ٢٢٩ .

وَطِيٍّ مَحَالٍ كَالْحَنِيِّ خُلُوفِهِ
وَأَجْرَنَةً لَزْتُ بِدَائِي مَنْشُودٍ

قال ابو الحسن : قوله أجرنه ، جمع الجران بما حواليه فقال : أجرنه [.

ابن النحاس ١ / ٢٤٨ :

وَارَوْغٍ نَبَاضٍ أَخَذَ مُلْفَلَمٌ
كَمِزْدَاةٍ صَخِرَ فِي صَفِيحٍ مُضْمَدٍ

قال ابو الحسن بن كيسان : المَلْفَلَمُ : المستوي المجتمع ، وقيل في قوله عز وجل : (وتاكلون التراث أكلًا لما) أي مجتمعاً وقولهم للشعرة لمة من هذا ، ويقال : ألمم بنا : أي ادخل في جماعتنا ، كما قال :

مَتَى تَاتَنَّا تَلَمَّمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا
تَجِدْ خَطْبَاءَ جَزَلًا وَنَارًا تَاجُجْ

وينو تميم يقولون : لَمْ بِنَا بغير ألف [.

ابن النحاس ١ / ٢٥٨ :

وَأَنَّ يَلْتَقِي الْحَيُّ الْجَمِيعُ تَلَاقِنِي
إِلَى ذُرْوَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْمَضْمَدِ

وقال ابو الحسن : معنى إلى ذروة : مع ذروة ، وهو مثل . وإنما يريد بالبيت هاهنا : الأشراف الذين يقصدون ، فشبههم بالبيت الرفيع . والمضمد : الذي يُصمد إليه ، أي يُقصد [.

الهوامش

- ١٧٠٣ هدية المارفين ٢ / ٢٣ .
- (٢١) انظر : كشف الظنون ٤٨٠ وتاريخ بروكلمان ١٧١ / ٢ .
- (٢٢) نزلة الالباء ١٦٢ وتاريخ بروكلمان ١ / ٧٠ .
- (٢٣) المستشرقون ٢ / ٧٦٣ .
- (٢٤) تاريخ بروكلمان ١ / ٧٠ ، ٢ / ١٧١ .
- (٢٥) العمدة ١ / ٩٦ ومقدمة ابن خلدون ٥٣٢ والمزهر ٢ / ٤٨٠ .
- (٢٦) الجمهرة ١٠٥ .
- (٢٧) المقدمة ١١٢٢ .
- (٢٨) العقد الفريد ٥ / ٢٦٩ والعمدة ١ / ٩٦ ومقدمة ابن خلدون ٥٣٢ والخزانة ١ / ٦١ .
- (٢٩) شرح ابن النحاس ٢ / ٦٨٢ وانظر : نزلة الالباء ٤٣ ومعجم الالباء ١٠ / ٢٦٦ .
- (٤٠) العمدة ١ / ٩٦ وشرح ابن النحاس ٢ / ٦٨٢ وجمهرة أشعار العرب ١٠٥ واعجاز القرآن ٢٤٢ والعقد الفريد ٥ / ٢٦٩ والمزهر ٢ / ٢٨٠ .
- (٤١) معلقات العرب ، ط القاهرة ١٩٥٨ م .
- (٤٢) الفهرست ٥٥ .
- (٤٣) هدية المارفين ٢ / ٥٣٦ .
- (٤٤) بغية الوعاة ٢ / ٢٦١ .
- (٤٥) تاريخ بروكلمان ١ / ٧٢ ومعجم المطبوعات ١ / ١١٢٧ .
- (٤٦) ديوان امرىء القيس (المقدمة) ٩٠ .
- (٤٧) تاريخ بروكلمان ١ / ٧٠ .
- (٤٨) انباء الرواة ٢ / ٢٠٨ .
- (٤٩) انباء الرواة ٢ / ١١٤ .
- (٥٠) تهذيب اللغة ١ / ١٤ وطبقات النحويين ٢٠٣ .
- (٥١) مجلة الاقلام ، العدد ٤ من السنة ١٠ : ١٠٤ .
- (٥٢) شرح الزوزني ٥٨ .
- (٥٣) كشف الظنون ١٤٧٠ .
- (٥٤) الفهرست ٨٢ .
- (٥٥) فهرسة ابن خير ٣٨٨ .
- (٥٦) معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ / ١١٢٧ - ١١٢٩ .
- (٥٧) فهرسة ابن خير ٣٨٩ .
- (٥٨) فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس ٨٥ .
- (٥٩) طبقات النحويين ١٦٥ وهدية المارفين ١ / ٥٢٠ .
- (٦٠) تاريخ بروكلمان ١ / ٧١ .
- (٦١) بروكلمان ١ / ٧١ .
- (٦٢) شرح الزوزني ٥٩ .
- (٦٣) تاريخ بروكلمان ١ / ٧١ .
- (٦٤) بروكلمان ١ / ٧١ .
- (٦٥) نفسه ١ / ٧١ .
- (٦٦) نفسه ١ / ٧١ .
- (٦٧) نفسه ١ / ٧١ .
- (٦٨) معجم المطبوعات ١ / ١١٢٧ .

- (١) مجلة المورد : العدد (٤) / ١٩٨٠ م .
- (٢) انظر ترجمته في : اخبار النحويين ٨٠ وطبقات النحويين ١٧٠ والفهرست ٨١ وتاريخ بغداد ١ / ٣٣٥ ونزلة الالباء ١٦٢ وانباء الرواة ٣ / ٥٧ والمنتظم ٦ / ١١٤ والبداية والنهاية ١١ / ١١٧ والنجوم الزاهرة ٣ / ١٧٨ والوافي بالوفيات ٢ / ٣١ وبغية الوعاة ١ / ١٨ وشذرات الذهب ٢ / ٢٣٢ والكنى والالقباب ١ / ٢٩٦ .
- (٣) البيان والتبيين ١ / ٢٥٢ وتاريخ بغداد ٢ / ١١٠ ، ١٠٥ والجامع لاحكام القرآن ٣ / ٨١ ونزلة الالباء ٣٧ ووفيات الاعيان ٢ / ١٩٤ وخزانة الادب ١ / ٤٠٦ والاعلام ٣ / ٢٨٠ و٦ / ٢٧٧ .
- (٤) شذرات الذهب ٢ / ٢٣٢ ورواة الجنان ٢ / ٢٣٦ .
- (٥) معجم الالباء ٦ / ٢٨٣ وابو الحسن بن كيسان ٢٨ .
- (٦) اشتقاق اسماء الله ٤١ .
- (٧) شرح القصائد السبع ق ٣٤ .
- (٨) أمالي الزجاجي ١٢٠ وأمالي القاضي ٢ / ١٩٥ والبارع ٢٢٨ والحلل في اصلاح الخلل ٣٠٧ .
- (٩) نور القبس ٣٢٧ .
- (١٠) أمالي القاضي ١ / ٢٣٢ ، ٢٣٣ والبارع ١٥٩ والحلل ١٧٧ ومعجم البلدان ١ / ٨٤ .
- (١١) طبقات النحويين ١٧١ .
- (١٢) معجم الالباء ٦ / ٢٨٢ وانباء الرواة ٣ / ٥٨ .
- (١٣) شرح القصائد التسع ١ / ١١٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ واعراب القرآن ١ / ١٥ والحلل ١٨٠ - ١٨١ .
- (١٤) معجم البلدان ٢ / ٨٧٩ ومعجم الالباء ٦ / ٤١٨ .
- (١٥) الايضاح في علل النحو ١٣٢ .
- (١٦) شرح السبع الطوال ق ٣٤ وتاج العروس (غلب) .
- (١٧) معجم الالباء ٦ / ٢٨٣ .
- (١٨) البارع ٥١٢ .
- (١٩) ابو الحسن بن كيسان ٢٨ - ٢٩ ، ٥٠ .
- (٢٠) الايضاح ٥٠ وطبقات النحويين ١٧١ ومشكل إعراب القرآن ٣٩٩ وشرح الجمل ١ / ٢٣١ والحلل ٨١ .
- (٢١) الايضاح في علل النحو ٧٩ .
- (٢٢) انباء الرواة ٣ / ٥٩ .
- (٢٣) معجم الالباء ١٧ / ١٣٩ .
- (٢٤) اخبار النحويين البصريين ٨٠ - ٨١ .
- (٢٥) معجم الالباء ١٧ / ١٣٩ .
- (٢٦) معجم الالباء ١٧ / ١٢٠ .
- (٢٧) الوافي بالوفيات ٢ / ٣١ .
- (٢٨) النجوم الزاهرة ٣ / ١٧٨ .
- (٢٩) اللبلة في تاريخ أئمة اللغة ٢٠٢ .
- (٣٠) الفهرست ٨١ وفهرسة ابن خير ٣١٣ ونزلة الالباء ١٦٢ ومعجم الالباء ٦ / ٢٨١ وانباء الرواة ٣ / ٥٨ والوافي بالوفيات ٢ / ٣٢ وبغية الوعاة ١ / ٨ ومفتاح السعادة ١ / ١٣٨ وكشف الظنون

(١١٠) ابن كيسان : ق ١ ، ق ٢ ، ق ٥ ، ق ٦ . وابن الانباري ٢٣ . والتبريزي ٥٠ ، ٥٤ ، ٩٩ - ١٠٠ .
 (١١١) شرح ابن النحاس ٤٣ / ١ .
 (١١٢) ابن النحاس ٤٢ / ١ .
 (١١٣) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر أكل المرار الكندي ، الشاعر العربي الشهير ، لقّب بالملك الضليل ، وبذي القروح ، وبالمقصور : وقد علي قيصر الروم سنة ٨٤ ق . هـ (٥٢٨ م) ، وتوفي سنة ٧٢ ق . هـ (٥٤٠ م) أنظر أخباره في : ابن الانباري ٣ وابن النحاس ٩٧ / ١ والزوزني ٧ والاعلم ٥ / ١ والتبريزي ٦ والديوان ٥ .
 (١١٤) كلام الشارح هنا يتعلق بمطلع القصيدة ، وقد سقطت الورقة الأولى من المخطوطة . ونصه بون عزو في التبريزي ٤٩ وبعضه في ابن النحاس ٩٩ / ١ .
 (١١٥) الشرح بنصه مروئي عن الأصمعي في ابن الانباري ٢٠ والتبريزي ٥٠ - ٥١ ويزيادة في الديوان ٨ .
 (١١٦) في ابن النحاس ١٠١ / ١ : قرى بقر الصيران .
 (١١٧) في الأصل : ريم ، بتسهيل الهمزة .
 (١١٨) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، اللغوي البصري المشهور ، توفي سنة ٢١٦ هـ : أنظر ترجمته في : طبقات النحويين ١٨٣ ومراتب النحويين ٤٦ وتهذيب اللغة ١ / ١٤ ووفيات الاعيان ٢ / ٣٤٤ .
 (١١٩) الشرح بنصه بون عزو في ابن الانباري ٢٣ والتبريزي ٥٤ .
 وتعلق الأصمعي أيضاً في ابن الانباري ٢٣ وابن النحاس ١٠١ / ١ والتبريزي ٥٤ . وفي الأصل : الاعراب تروى (مطموسة) .
 (١٢٠) في ابن النحاس ١٠٢ / ١ : الى سمرا .
 (١٢١) في الأصل : وهي شجر . والتصويب من التبريزي ٥٤ .
 (١٢٢) الشرح بنصه تقريباً بلا عزو في ابن الانباري ٢٣ والديوان ٩ .
 (١٢٣) من التبريزي ٥٤ .
 (١٢٤) البيت بون عزو في : العين ٥ / ٣٢٨ والتهذيب ١٠ / ١٣٥ والمحكم ٦ / ٤٧٨ والتبريزي ٥٥ واللسان (كتل) : ونقل انه يروى : خويران ، وهي رواية العين . وفيه أن زام : اسم سنة شديدة ، والاكلت : من أسماء الشديدة من شدائد الدهر .
 (١٢٥) في الأصل : « وهو سارق وخويران الإبل خاصة » ولا يستقيم الكلام . والصواب تقديم « خويران » إلى الأول كما فعلنا .
 (١٢٦) الشرح كله بلا عزو ولا زيادة في التبريزي ٥٤ - ٥٥ .
 (١٢٧) بين هذا البيت والذي يليه اثنا عشر بيتاً سقطت مع شرحها من الأصل .
 (١٢٨) الشرح معزو إلى « بعض النحويين » في ابن الانباري ٢٤ وحكم بفلط ، وبون عزو في ابن النحاس ١٠٢ / ١ والتبريزي ٥٥ والديوان ٩ .
 (١٢٩) البيت الحادي والثلاثون من قصيدة له يمدح فيها حصن بن حذيفة بن بدر في : ديوانه ١٤٠ وابن النحاس ١ / ١٠٣ ، ٣١٤ والتبريزي ٥٦ ، ٢١٢ والرواية فيهما « بكرت عليه » وفي الاعلم

(٦٩) تاريخ بروكلمان ٧١ / ١ .
 (٧٠) بروكلمان ٧١ / ١ .
 (٧١) شرح الزوزني ٥٩ وانظر : شرح ابن النحاس ٥٥ / ١ .
 (٧٢) تاريخ بروكلمان ٧١ / ١ .
 (٧٣) بروكلمان ٧٢ / ١ .
 (٧٤) شرح الزوزني ٥٩ .
 (٧٥) تاريخ بروكلمان ٧٢ / ١ .
 (٧٦) معجم المطبوعات العربية ٤٧٢ / ١ .
 (٧٧) معجم المطبوعات ٤٧٢ / ١ .
 (٧٨) نفسه ٤٧٢ / ١ .
 (٧٩) نفسه ١١٢٧ - ١١٢٩ .
 (٨٠) شرح ابن النحاس ٥٥ / ١ .
 (٨١) شرح ابن النحاس ١ / ٤٤٣ ، ٢ / ٥٢٦ ، ٦٨٢ .
 (٨٢) نزهة الالباء ١٦٢ ومعجم الالباء ٦ / ٢٨٠ .
 (٨٣) تاريخ بروكلمان ٧٠ / ١ .
 (٨٤) شرح ابن كيسان : ق ٣٤ .
 (٨٥) شرح ابن النحاس : ٢ / ٦٨٢ .
 (٨٦) شرح ابن كيسان : ق ٤٩ .
 (٨٧) تاريخ بروكلمان ٧٠ / ١ . ونقل ابن منظور نصاً من شرح ابن كيسان لقصيدة الحارث بن حلزة : لسان العرب (شمس) وانظر : ما نقله ابن النحاس عن ابن كيسان في شرح قصيدتي لبدي وعفتر ١ / ٤٤٣ ، ٢ / ٥٢٦ .
 (٨٨) احمد خطاب ، شرح ابن النحاس ٦٠ / ١ .
 (٨٩) علي الياسري ، ابو الحسن بن كيسان ١٠٣ .
 (٩٠) شرح ابن كيسان : ق ٤٩ .
 (٩١) ابن كيسان : ق ٦ ، ق ٧ .
 (٩٢) نفسه : ق ٢ .
 (٩٣) نفسه : ق ٤ ، ق ٦ .
 (٩٤) نفسه : ق ٣ ، ق ١٥ ، ق ٦ .
 (٩٥) نفسه : ق ٣ ، ق ٥ .
 (٩٦) نفسه : ق ٩ .
 (٩٧) نفسه : ق ٣ ، ق ٥ ، ق ٦ ، ق ١٩ .
 (٩٨) شرح ابن كيسان : ق ٨ .
 (٩٩) ابن كيسان : ق ٢ .
 (١٠٠) نفسه : ق ٦ .
 (١٠١) نفسه : ق ١٩ .
 (١٠٢) نفسه : ق ٦ .
 (١٠٣) نفسه : ق ١٩ .
 (١٠٤) نفسه : ق ٣ ، ق ٤ ، ق ٥ .
 (١٠٥) نفسه : ق ٢ .
 (١٠٦) نفسه : ق ٣ ، ق ٤ ، ق ٥ ، ق ٦ .
 (١٠٧) نفسه : ق ١٨ .
 (١٠٨) شرح ابن كيسان : ق ٢ ، ق ٣ ، ق ٤ ، ق ١٨ .
 (١٠٩) شرح ابن النحاس ٤٣ / ١ .

٣٠١/١ وروايته « بكرت عليه ، فرأيت » وفي لسان العرب ١٥ / ٢٢٩ (صرم) وروايته « فتركت » .
 (١٣٠) بعض الشرح في : ابن النحاس ١ / ١٢٥ والأعلم ١ / ٣٢ والديوان ١٢ ، وفي كلها بلا عزو .
 (١٣١) يتأخر هذا البيت ويتقدم عليه الذي يليه في الانباري ٤٥ - ٤٦ . وروايته في ابن الانباري ٤٦ وابن النحاس ١ / ١٢٥ والأعلم ١ / ٣٢ : « وإن تك قد ... » .
 (١٣٢) الشرح نون عزو في : ابن النحاس ١ / ١٢٥ والأعلم ١ / ٣٢ والديوان ١٢ .
 (١٣٣) آية : ٤ من سورة (المدثر) .
 (١٣٤) البيت الحادي والخمسون من معلقته في : ابن الانباري ٤٤٧ وابن النحاس ٢ / ٥٠٩ والتبريزي ٣٥٨ وروايته لديهم « بالرمح الطويل » ، والساس والخمسون في : ديوانه (التجارية) ١٦٢ والأعلم ٢ / ١١٩ وروايته فيهما « فكمشت بالرمح الطويل » ، والتاسع والأربعون في : الزوزني ١٢٤ .
 (١٣٥) الشرح والاستشهاد بالآية الكريمة وبيت عنبرة نون عزو في : ابن الانباري ٤٦ وابن النحاس ١ / ١٢٧ والزوزني ٢٣ .
 (١٣٦) الشرح نون عزو في : ابن النحاس ١ / ١٢٧ - ١٢٨ .
 (١٣٧) رواية الديوان ١٣ : لتقضي .
 (١٣٨) في الاصل : بكاه (مسهلة) .
 (١٣٩) في الاصل : استولا .
 (١٤٠) الشرح في : ابن الانباري ٤٨ . وهو غير معزو الى ابن كيسان سراحة وإنما قال : « وقال غير الاصمعي » .
 (١٤١) الشرح نون عزو في : ابن النحاس ١ / ١٢٩ والزوزني ٢٤ والتبريزي ٨٠ - ٨١ والديوان ١٣ . وأوله في التبريزي « وقيل في معناه » .
 (١٤٢) الشرح نون عزو في : ابن النحاس ١ / ١٢٩ والزوزني ٢٣ والتبريزي ٧٩ - ٨٠ والديوان ١٣ .
 (١٤٣) سقطت من الاصل ، والسياق يقتضيها .
 (١٤٤) الشرح في : الزوزني ٢٥ والأعلم ١ / ٣٢ والتبريزي ٨١ والديوان ١٣ . وهو في كلها بلا عزو .
 (١٤٥) الشرح في : ابن النحاس ١ / ١٢٩ بلا عزو .
 (١٤٦) رواية البيت في الديوان ١٣ وابن الانباري ٤٩ وابن النحاس ١ / ١٣٠ والزوزني ٢٥ والأعلم ١ / ٣٢ والتبريزي ٨٢ : « تجاوزت أحراساً » ، وفي الديوان وابن النحاس : « لو يشرون » بالمعجمة ، وفي الديوان « وأهوال معشر » وأشار التبريزي الى روايتي « تخطيت أبواباً » و « أهوالاً » .
 (١٤٧) انظر : اضداد الاصمعي ٢١ والتوزي ٤٣ وابن السكيت ١٧٦ وأبي حاتم ١١٥ وابن الانباري ٤٦ وأبي الطيب ١ / ٣٥٣ .
 (١٤٨) آية : ٥٤ من سورة (يونس) .
 (١٤٩) في الاصل : كتومها .
 (١٥٠) الشرح نون عزو في : ابن الانباري ٤٩ وابن النحاس ١ / ١٣٠ - ١٣١ والزوزني ٢٥ والتبريزي ٨٢ والديوان ١٣ . إلا أن ابن الانباري بدأ بعبارة « وقال غيره » .

(١٥١) في الاصل : او ما تطلع .
 (١٥٢) الرجز لمنظور بن مرثد الاسدي في : مجالس ثعلب ٦٠١ وابن الانباري ٥٠ واللسان (طول ، قتل ، عضيل ، عهل ، كلل) وقبل هذا المشطور في المظان : (تموضت لي بمكان جل) . والطول : الرش . وروى في اللسان ١١ / ٤١٣ مشطوراً بين المشطورين (تموضت لم تال عن قتلي) وقال : « ويروى : عن قتلا لي ، على الحكاية ، اي عن قولها قتلا له » .
 (١٥٣) في الاصل : اني .
 (١٥٤) الرجز لعبد الله بن عبد نهم بن عفيف بن شحيم المزني الملقب بذي البجادين ، يخاطب به ناقة رسول الله (ﷺ) وبعد المشطورين (هو ابو القاسم فاستقيمي) في : الاشتقاق ٢١٧ وابن الانباري ٥٢٨ وشرح الحماسة ١٢٧٢ واللسان (عرض ، لرج ، سوم) والإصابة ٤٧٥٩ .
 (١٥٥) و (١٥٦) في الاصل : الجوزا (مسهلة) .
 (١٥٧) تمام البيت : فتنتج لكم غلمان أشام كلهم - كاحمر عاب ثم ترضع ففقطم . وهو البيت الثاني والثلاثون من معلقته في : ديوانه ٢٠ وابن الانباري ٢٦٩ وابن النحاس ١ / ٢٣١ والأعلم ١ / ٢٨٢ والتبريزي ٢٢٥ والحادي والثلاثون في الزوزني ١٤٩ .
 (١٥٨) الشرح والشواهد معزو إلى محمد بن سلام البصري في : ابن الانباري ٥١ والزوزني ٢٦ والوساطة ١٣ ، وبنون عزو في : ابن النحاس ١ / ١٣١ والتبريزي ٨٣ - ٨٤ والديوان ١٤ .
 (١٥٩) في ابن النحاس ١ / ١٣٢ والزوزني ٢٦ والتبريزي ٨٤ : نصت (بتشديد الضاد) .
 (١٦٠) الشرح نون عزو في : ابن النحاس ١ / ١٣٢ والأعلم ١ / ٢٣ والديوان ١٤ .
 (١٦١) الشرح نون عزو في : الزوزني ٢٦ - ٢٧ والتبريزي ٨٤ .
 (١٦٢) رواية الديوان ١٤ : عنك العماية . وذكر ابن الانباري ٥٢ انها رواية الاصمعي ، وأشار اليها الزوزني ٢٧ والتبريزي ٨٥ .
 (١٦٣) في الاصل : بمجيئه .
 (١٦٤) الشرح نون عزو تاماً او مختصراً في : ابن النحاس ١ / ١٣٣ والزوزني ٢٧ والأعلم ١ / ٣٣ والتبريزي ٨٥ .
 (١٦٥) رواية الديوان ١٤ : خرجت بها نمشي ، ذيل مرط . ورواية ابن الانباري ٥٣ : على إثرنا أذيان مرط ، وأشار الى رواية مخطوطتنا ورواية ابي عمرو : على إثرنا أذيان نير . ورواية ابن النحاس ١ / ١٣٣ والأعلم ١ / ٣٣ : خرجت بها نمشي ، ذيل مرط ، ورواية الزوزني ٢٧ : خرجت بها أمشي ، ذيل مرط ، وأشار الى رواية : على إثرنا أذيان ، ورواية : نير مرط ، التي هي رواية مخطوطتنا . ورواية التبريزي ٨٥ : على إثرنا أذيان مرط ، وأشار الى رواية : على أثرنا ذيل مرط .
 (١٦٦) الشرح نون عزو في : ابن النحاس ١ / ١٣٤ والزوزني ٢٨ والأعلم ١ / ٣٣ والتبريزي ٨٥ - ٨٦ والديوان ١٤ .
 (١٦٧) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، الشاعر العربي المشهور ، ولد سنة ٥٤٠ م ، ووفد على عمرو بن المنذر ملك الحيرة ، وتوفي شاباً سنة ٥٦٥ م . انظر نسبه واخباره : في ديوانه (الأعلم) ٥ وديوانه (التجارية) ٥٧ وابن

(١٨٦) في الاصل : عنك ضرغد . ورواية البيت في الديوان (الاعلم) ٤١ : فثوني وعرضي ، التي يشير اليها ابن كيسان في الشرح .

(١٨٧) اشار ابن الانباري ٢٠٩ الى هذه الرواية دون ان يمزوها . (١٨٨) خزة ضرغد : ناحية او جبل بارض غطفان . انظر ابن الانباري ٢٠٩ وابن النحاس ١ / ٢٨١ والاعلم ٢ / ٥٣ والتبريزي ١٨٨ .

(١٨٩) في الاعلم ٢ / ٥٤ : قيس بن مرثد . (١٩٠) رواية ابي عبيدة للبيت في : ابن الانباري ٢٠٩ . (١٩١) في الاصل : يعطيك . (١٩٢) في الاصل : لا يبرح . و (فبمحلوفا) اي فبالذي يحلف به ، كانه قال : فبالله .

(١٩٣) زهرة بنت : سقطت من متن الاصل ، و اشار الى سقوطها الناسخ في الحاشية .

(١٩٤) اعطوه بنو عمرو : على لغة اكلوني البراغيث . (١٩٥) القصة عن ابي عبيدة في : ابن الانباري ٢١٠ وابن النحاس ١ / ٢٨١ - ٢٨٢ والتبريزي ١٨٨ - ١٨٩ والديوان (الاعلم) ٤١ - ٤٢ .

(١٩٦) رواية ابن النحاس ١ / ٢٨٢ والتبريزي ١٨٩ : فأكفيت ذا مال ، و اشار التبريزي الى رواية : فاصبحت ذا مال . ورواية الديوان (التجارية) ٨٥ والزوزني ٩٥ والاعلم ٢ / ٥٤ : وزارني . (١٩٧) في ابن النحاس ١ / ٢٨٢ فيما عزاه الى ابن كيسان : واذارني .

(١٩٨) من : ابن النحاس ١ / ٢٨٢ ، وفي التبريزي ١٨٩ : وقوله . (١٩٩) من : ابن النحاس ١ / ٢٨٢ والتبريزي ١٨٩ . (٢٠٠) الشرح معزو الى ابن كيسان في : ابن النحاس ١ / ٢٨٢ والتبريزي ١٨٩ ، وعزا ابن الانباري بعضه الى ابن السكيت : ٢١٠ - ٢١١ . وغير معزو في الديوان (الاعلم) ٤٢ .

(٢٠١) في ابن الانباري ٢١٢ : انا الرجل الجعد ، و اشار اليها التبريزي ١٨٩ . في حين عزا ابن الانباري الى الاصمعي رواية : انا الرجل الضرب .

(٢٠٢) السياق يقتضي هذه الزيادة . (٢٠٣) في الاصل : فكسرها .

(٢٠٤) عن الاصمعي في : ابن الانباري ٢١٢ والتبريزي ١٨٩ والديوان (الاعلم) ٤٢ . وعن ابن كيسان والاصمعي في : ابن النحاس ١ / ٢٨٣ .

(٢٠٥) الشرح دون عزو في : الاعلم ٢ / ٥٤ . (٢٠٦) في ابن الانباري ٢١٣ وابن النحاس ١ / ٢٨٣ والزوزني ٩٦ والاعلم ٢ / ٥٤ والتبريزي ١٩٠ : فآليت . ورواية ابن الانباري ، لابيض غضب الشفرتين . و اشار اليها التبريزي .

(٢٠٧) الشرح بلا زيادة ولا عزو في : ابن النحاس ١ / ٢٨٣ - ٢٨٤ والتبريزي ١٩٠ . وقريب من نصه في الزوزني ٩٦ والاعلم ٢ / ٥٤ . وينقصان في : الديوان (الاعلم) ٤٢ - ٤٣ .

الانباري ١١٥ وابن النحاس ١ / ٢٠٧ والزوزني ٦١ والاعلم ٢ / ٥ والتبريزي ١٣٣ .

(١٦٨) إشارة الى بيت سابق من القصيدة ، وهو الثامن والستون منها ، وسقط فيما سقط من المخطوطة ، وهو :

فمالي أراني وابن عمي مـالكـ
متى أدن منه بنا عني ويبعد (الديوان : ٣٧)

(١٦٩) إشارة الى البيت التاسع والستين من القصيدة . وهو :

يلوم ومأأري عـلامـ يلومني
كما لامني في الحي قرط بن أعبد (الديوان : ٣٧)

(١٧٠) إشارة الى البيت السبعين من القصيدة ، وهو :

وأيساني من كل خير طلبته
كانا وضعناه على رمس ملحد (الديوان : ٣٧)

(١٧١) رواية الاصمعي في : ابن الانباري ٢٠٧ .

(١٧٢) الشرح دون عزو في : ابن النحاس ١ / ٢٧٨ والتبريزي ١٨٦ . ويشيء من الاختلاف في ديوانه (الاعلم) ٤٠ .

(١٧٣) الرواية غير معزوة في : ابن الانباري ٢٠٧ وابن النحاس ١ / ٢٧٩ والتبريزي ١٨٧ .

(١٧٤) غدي : سقطت من متن الاصل ، و اشار الناسخ الى سقوطها في الحاشية .

(١٧٥) الشرح دون عزو في : الديوان (الاعلم) ٤٠ .

(١٧٦) في الاصل : سبية .

(١٧٧) البيتان في ديوانه ٨ والاول مذهبهما في كتاب سيبويه ١ / ٢٣ وابن النحاس ١ / ٢٧٩ ولسان العرب (سبأ) ١ / ٨٦ والخزاعة ٤٠ / ٤٣ والرواية فيها : كان خبيثة . ودون عزو في التبريزي ١٨٧ .

(١٧٨) يريد معنى التقوية ، اي تقوية التحريف بهو ، لانه لا رجح للقاء العروضي في هذا الموضع ، وفي اللغة : اقوى فلان الحبل إقواء : جعل بعضه أغلظ من بعض .

(١٧٩) الشرح بلا عزو في : ابن النحاس ١ / ٢٧٩ والتبريزي ١٨٧ - ١٨٨ .

(١٨٠) سياق الكلام يقتضيها .

(١٨١) الشرح بلا عزو في : ابن النحاس ١ / ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(١٨٢) في الاصل وابن النحاس ١ / ٢٨٠ : معتدي . ويتد هذا البيت في ديوانه (الاعلم) ٤٠ وديوانه (التجارية) ٨٥ وابن النحاس ١ / ٢٨٠ والاعلم ٢ / ٥٣ والتبريزي ٨٨ :

وظلم نوي القرى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

(١٨٣) معمر بن المثنى التيمي البصري ، من أعلام اللغويين ، توفي سنة ٢١٠ هـ انظر ترجمته في : الفهرست ٧٩ والنزهة ٦٨ والبقية ٣٩٥ .

(١٨٤) في الاصل : معتدي . وفي ابن النحاس ١ / ٢٨٠ : حانقي (بالمهمله) .

(١٨٥) رواية ابي عبيدة في : ابن الانباري ٢٠٨ ودون عزو في : ابن النحاس ١ / ٢٨٠ والتبريزي ١٨٨ .

(٢٠٨) في الديوان (الاعلام) ٤٢ - ٤٣ : يتأخر هذا البيت ويتقدم الذي يليه « اخي ثقة ... » وصل الاصل في التسلسل : الديوان (التجارية) ٨٦ وابن الانباري ٢١٤ وابن النحاس ٢٨٤ / ١ والزوزني ٩٦ والاعلم ٥٤ / ٢ .

(٢٠٩) الشرح بون عزو في : ابن الانباري ٢١٤ وابن النحاس ١ / ٢٨٤ - ٢٨٥ والزوزني ٩٦ والاعلم ٥٤ / ٢ والتبريزي ١٩٠ والديوان (الاعلام) ٤٣ .

(٢١٠) في الاصل : الشجر .

(٢١١) في الديوان (الاعلام) ٤٢ والزوزني ٩٦ والاعلم ٥٤ / ٢ والتبريزي ١٩١ : قدي .

(٢١٢) في الاصل : قد أتى على أتى على ما اراد . والشرح بون عزو في : ابن النحاس ١ / ٢٨٥ والزوزني ٩٦ - ٩٧ والاعلم ٥٤ / ٢ والتبريزي ١٩١ والديوان (الاعلام) ٤٣ / ٢ .

(٢١٣) و (٢١٤) من ابن النحاس ١ / ٢٨٥ - ٢٨٦ ، وقد نص على انه عن ابن كيسان .

(٢١٥) الشرح معزو الى ابن كيسان في : ابن النحاس ١ / ٢٨٥ - ٢٨٦ وغير معزو في : الزوزني ٩٧ والاعلم ٥٤ / ٢ والتبريزي ١٩١ والديوان (الاعلام) ٤٤ .

(٢١٦) في الديوان (الاعلام) ٤٤ و (التجارية) ٨٦ وابن الانباري ٢١٧ والاعلم ٥٤ / ٢ : نوانية . وفي الزوزني : بوانيتها . وأشار التبريزي ١٩٢ الى رواية : هوانيتها . وفي ابن النحاس : نوانيتها .

(٢١٧) الحي : المجتمع ، حوى الشيء حوايةً وحياً : جمعه .

(٢١٨) الشرح بلا عزو في : ابن النحاس ١ / ٢٨٦ والاعلم ٥٤ / ٢ والديوان (الاعلام) ٤٤ ، والنص في بعضها مختلف او مختصر .

(٢١٩) في الاصل : ذاة .

(٢٢٠) في ابن النحاس ١ / ٢٨٧ : ومزت .

(٢٢١) اشار ابن النحاس ١ / ٢٨٧ الى هذه الرواية بون ان يمزوها .

(٢٢٢) في الاصل : أي أي (مكررة) .

(٢٢٣) في الاصل : والاندد .

(٢٢٤) الشرح بون عزو في : ابن النحاس ١ / ٢٨٧ والزوزني ٩٧ - ٩٨ والاعلم ٥٤ / ٢ والتبريزي ١٩٢ - ١٩٣ والديوان (الاعلام) ٤٤ - ٤٥ .

(٢٢٥) في ابن الانباري ٢٢٠ وابن النحاس ١ / ٢٨٧ : تقول وقد .

(٢٢٦) في الاصل : الدمية .

(٢٢٧) في الاصل : مثل .

(٢٢٨) الشرح بون عزو في : ابن النحاس ١ / ٢٨٧ - ٢٨٨ والزوزني ٩٨ والاعلم ٥٥ / ٢ والتبريزي ١٩٣ والديوان (الاعلام) ٤٥ .

(٢٢٩) في الاصل : ألا ما ترون .

(٢٣٠) رواية الديوان (الاعلام) ٤٥ : لشارب ، شديد عليكم . وأشار ابن الانباري ٢٢٠ والتبريزي ١٩٣ الى رواية : شديد عليها سخطه متعبد .

(٢٣١) الشرح بون عزو في : ابن النحاس ١ / ٢٨٨ .

(٢٣٢) رواية الديوان (الاعلام) ٤٥ والديوان (التجارية) ٨٧ وابن الانباري ٢٢١ وابن النحاس ١ / ٢٨٨ والزوزني ٩٨ والاعلم ٥٥ / ٢ والتبريزي ١٩٤ : فقال نروء . وأشار التبريزي الى رواية : فقالوا نروء ، بون ان يمزوها ، وقال : « وهو الضواب » . وكذلك رواية الديوان (الاعلام والتجارية) والزوزني والاعلم : وإلا تكفوا .

(٢٣٣) من : ابن النحاس ١ / ٢٨٩ والتبريزي ١٩٤ ، وقد نصا على النقل عن ابن كيسان .

(٢٣٤) من : ابن النحاس ١ / ٢٨٩ والتبريزي ١٩٤ ، وقد نسبنا ذلك الى ابن كيسان .

(٢٣٥) الشرح معزو الى ابن كيسان في : ابن النحاس ١ / ٢٨٩ والتبريزي ١٩٤ - ١٩٥ . وبون عزو في : الزوزني ٩٨ - ٩٩ والديوان ٤٥ .

(٢٣٦) رواية الزوزني ٩٩ : ويسمى بها بالشنيف (مضطرب الوزن) ، ولعله من وهم الناشر او عمل المطبعة .

(٢٣٧) الشرح بون عزو في : ابن الانباري ٢٢٣ وابن النحاس ١ / ٢٩٠ والزوزني ٩٩ والاعلم ٥٥ / ٢ والتبريزي ١٩٦ والديوان (الاعلام) ٤٥ - ٤٦ .

(٢٣٨) الشرح بون عزو ولا زيادة في : التبريزي ١٩٦ ، وقريب منه في : الزوزني ٩٩ ومختلف قليلاً في : ابن النحاس ١ / ٢٩٠ والديوان ٤٦ .

(٢٣٩) الشرح بون عزو ولا زيادة في : التبريزي ١٩٦ وابن النحاس ١ / ٢٩١ وبزيادة في : الزوزني ٩٩ - ١٠٠ والاعلم ٥٥ / ٢ .

(٢٤٠) في الاصل : الخنى (بالياء) ، ومثله في الديوان (الاعلام) ٤٦ .

(٢٤١) رواية الديوان (الاعلام) ٤٦ والديوان (التجارية) ٨٧ وابن النحاس ١ / ٢٩١ والاعلم ٥٥ / ٢ والتبريزي ١٩٦ : نليل بأجماع . وأشار ابن الانباري الى رواية (نليل) ٢٢٥ بون ان يأخذ بها ، وذكر في البيت رواية اخرى بون ان يمزوها ٢٢٤ : بطيء عن الداعي . وأشار التبريزي ١٩٦ الى رواية (نلول) بون ان يمزوها . اما ابن النحاس فقال : « وروى ابو الحسن : نلول في موضع نليل » .

(٢٤٢) في الاصل : الخنى .

(٢٤٣) الشرح عن ابن كيسان في : ابن النحاس ١ / ٢٩١ - ٢٩٢ وملا عزو في : الزوزني ١٠٠ والاعلم ٥٥ / ٢ والتبريزي ١٩٦ - ١٩٧ والديوان (الاعلام) ٤٦ - ٤٧ بشيء من الاختلاف .

(٢٤٤) رواية ابن الانباري ٢٢٦ : ولو كنت .

(٢٤٥) الشرح بون عزو في : ابن الانباري ٢٢٦ وابن النحاس ١ / ٢٩٢ والتبريزي ١٩٧ ، وبشيء من الاختلاف في الديوان ٤٧ .

(٢٤٦) رواية الديوان (الاعلام) ٤٧ : وصبري وإقدامي عليهم . ورواية ابن الانباري ٢٢٧ والتبريزي ١٩٧ : عني الاعادي جراتي . وأشار ابن الانباري الى روايتي : عني الرجال جراعتي ، نفى الاعداء عني جراعتي ، ولم يمزهما . وأشار ابن النحاس ١ / ٢٩٣ الى رواية : عني الاعادي جراعتي . وأشار التبريزي الى روايتي : نفى عني الرجال جراعتي ، نفى الاعداء عني جراتي ، ولم يمزهما ايضاً .

(٢٤٧) الشرح بلا عزو في : ابن النحاس ٢٩٣ / ١ والزوزني ١٠١ والتبريزي ١٩٧ والديوان (الاعلام) ٤٧ ، مع زيادة فيه .
 (٢٤٨) الليل : سقطت من متن الاصل ، واستتركها الناسخ في الحاشية .
 (٢٤٩) الشرح كله او بعضه بلا عزو في : ابن الانباري ٢٢٨ وابن النحاس ٢٩٣ / ١ والزوزني ١٠١ والاعلم ٥٦ / ٢ والتبريزي ١٩٨ والديوان ٤٧ .
 (٢٥٠) رواية الديوان (الاعلام) ٤٨ وابن النحاس ٢٩٣ / ١ : عند عراكها . وأشار اليها التبريزي ١٩٨ .
 (٢٥١) اشار الى هذه الرواية نون عزو : ابن الانباري ٢٢٩ وابن النحاس ٢٩٣ / ١ والتبريزي ١٩٨ .
 (٢٥٢) الشرح نون عزو في : ابن الانباري ٢٢٨ - ٢٢٩ وابن النحاس ٢٩٣ / ١ - ٢٩٤ والزوزني ١٠١ والاعلم ٥٦ / ٢ والديوان (الاعلام) ٤٨ .
 (٢٥٣) في الديوان (الاعلام) ٤٨ : بعد هذا البيت وقبل الذي يليه ، بيت هو :
 أرى المصوت أعداذ النفوس ولا أرى
 بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد
 (٢٥٤) في الاصل : خصوصاتهم :
 (٢٥٥) سقطت من الاصل ، والسياق يقتضيها ، وهي في ابن الانباري

٢٢٩ والتبريزي ١٩٩ بلا عزو . وفي ابن النحاس ٢٩٤ / ١ معزوة الى ابن كيسان .
 (٢٥٦) الشرح عن ابن كيسان في : ابن النحاس ٢٩٤ / ١ ، وبلا عزو في : ابن الانباري ٢٢٩ والتبريزي ١٩٨ - ١٩٩ ، وقال في آخره : « وروى ابو عمرو الشيباني هاهنا بيتاً لم يروه الاصمعي ولا ابن الاعرابي » واورده ايضاً : الزوزني ١٠٢ والاعلم ٥٦ / ٢ والديوان ٤٨ وهو :

وأصفر مضبوط نظـرْتُ خُـوازة
 على النـارِ واستودعْتُ كُنْ مُجْمِد

(٢٥٧) رؤية بن المجاج ، الراجز المشهور ابن الراجز المشهور ، ديوان أراجيزه مطبوع ، توفي سنة ١٤٧ هـ . انظر ترجمته في : الاغاني ٢٠ / ٣١٢ والاشتقاق ٢٥٩ والمزهر ١ / ٣٧٠ وخزانة الادب ١ / ٦٢ - ٦٤ .
 (٢٥٨) رواية الديوان (الاعلام) ٤٨ و (التجارية) ٨٩ وابن النحاس ٢٩٥ / ١ والزوزني ١٠٣ والاعلم ٥٧ / ٢ والتبريزي ٢٠٠ : ويأتيك . وكذلك رواية ابن النحاس والتبريزي : بالانباء .
 (٢٥٩) الشرح في : ابن النحاس ٢٩٥ / ١ والزوزني ١٠٣ والاعلم ٥٧ / ٢ والتبريزي ٢٠٠ والديوان (الاعلام) ٤٩ . وروى ابن النحاس عن الاصمعي انه قال في هذا البيت : « وأنشد جريز بعد هذا بيتاً لم يأت به غير جريز وهو : ويأتيك بالانباء ... » .

■ فهرس المصادر والمراجع ■

- ١٩١٣ م
 ١٠ - الاضداد لابي حاتم - تحقيق أوغست هفتر - بيروت
 ١٩١٣ م
 ١١ - الاضداد للتوزي - تحقيق د . محمد حسين آل ياسين - بيروت ١٩٨٣ م
 ١٢ - الاضداد في كلام العرب لابي الطيب اللغوي - تحقيق د . عزة حسن - دمشق ١٩٦٣ م
 ١٣ - إعجاز القرآن للباقلاني - تحقيق أحمد صقر - القاهرة ١٩٥٤ م
 ١٤ - إعراب القرآن لابن النحاس - تحقيق د . زهير غازي زاهد - بغداد ١٩٧٧ م
 ١٥ - الاعلام - خير الدين الزركلي - بيروت ١٩٦٩ م
 ١٦ - الاغاني لابي الفرج الاصبهاني - مطبعة التقدم - القاهرة ١٣١٣ م
 ١٧ - إقليد الخزانة - عبد الميز الميمني - لاهور ١٩٢٧ م
 ١٨ - أمالي الزجاجي - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٣٨٢ هـ
 ١٩ - أمالي القالي - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٦ م

- ١ -

- ١ - ابو الحسن بن كيسان وأراؤه في النحو واللفظ - د . علي الياسري - بغداد ١٩٧٩ م
 ٢ - أخبار النحويين البصريين للسيرافي - تحقيق الزيني وخفاجي - القاهرة ١٩٥٥ م
 ٣ - إشتقاق اسماء الله للزجاجي - تحقيق د . عبد الحسين المبارك - النجف ١٩٧٤ م
 ٤ - الاشتقاق لابن بريد - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٥٨ م
 ٥ - اشعار الشعراء الستة الجاهليين للاعلام الشنتمري - تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي - القاهرة ١٩٦٣ م
 ٦ - الإصابة في تمييز اسماء الصحابة لابن حجر العسقلاني - القاهرة ١٣٢٧ هـ
 ٧ - الاضداد للاصمعي - تحقيق أوغست هفتر - بيروت ١٩١٣ م
 ٨ - الاضداد لابن الانباري - تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم - الكويت ١٩٦٠ م
 ٩ - الاضداد لابن السكيت - تحقيق أوغست هفتر - بيروت

- ٢٠ - انباء الرواة للقفطي - تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم -
القاهرة ١٩٥٠ م
٢١ - الايضاح في علل النحو للزجاجي - تحقيق مازن المبارك -
القاهرة ١٩٥٩ م

- ب -

- ٢٢ - البارع للقالبي - تحقيق د. هاشم الطعان - بيروت ١٩٧٥ م
٢٣ - البداية والنهاية لابن كثير القرشي - مطبعة السعادة -
القاهرة ١٣٥١ هـ
٢٤ - بغية الوعاة للسيوطي - تصحيح محمد أمين الخانجي -
القاهرة ١٣٢٦ هـ
٢٥ - البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزبادي - تحقيق محمد
المصري - دمشق ١٩٧٢ م
٢٦ - البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون -
القاهرة ١٩٤٨ م

- ت -

- ٢٧ - تاج المروس للزيدي - تحقيق جماعة من الاساتذة -
الكويت ١٩٦٥ م
٢٨ - تاريخ الادب العربي لبروكلمان - تعريب عبد الحلیم النجار -
القاهرة ١٩٦١ م
٢٩ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - مكتبة الخانجي - القاهرة
١٩٣١ م
٣٠ - تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها لابن كيسان - تحقيق د.
ابراهيم السامرائي - مجلة الجامعة المستنصرية ١٩٦٦ م
٣١ - تهذيب اللغة للازهري - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة
١٩٦٤ م

- ث -

- ٣٢ - ثلاثة كتب في الاضداد - تحقيق أوغست هفتر - بيروت
١٩١٣ م

- ج -

- ٣٣ - الجامع لاحكام القرآن للقرطبي - دار الكتب المصرية -
القاهرة ١٩٦٧ م
٣٤ - جمهرة اشعار العرب للقرشي - مطبعة بولاق - مصر
١٣٠٨ هـ

- ح -

- ٣٥ - الحلل في إصلاح الخلل للبطلينوسي - تحقيق سميد عبد
الكريم - بغداد ١٩٧٤ م

- خ -

- ٣٦ - خزنة الادب للبغدادي - المطبعة الاميرية ببولاق - مصر
١٢٩٩ هـ

- د -

- ٣٧ - ديوان امرىء القيس - تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم -
دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م
٣٨ - ديوان حسان بن ثابت - المطبعة الرحمانية - القاهرة
١٩٢٩ م
٣٩ - ديوان رؤبة بن المجاج - ج ٣ من مجموع اشعار العرب -
برلين ١٩٠٣ م
٤٠ - ديوان زهير (شرح ثعلب) - دار الكتب المصرية - القاهرة
١٩٤٤ م
٤١ - ديوان طرفة بن العبد (شرح الاعلم الشنتمري) - تحقيق
الخطيب والصقال - دمشق ١٩٧٥ م
٤٢ - ديوان عنتره (ضمن : شرح ديوان علقمة وطرفة وعنتره) -
تحقيق نخبة من الادباء - بيروت ١٩٦٨ م

- ش -

- ٤٣ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي - مكتبة القدسي -
القاهرة ١٣٥٠ هـ
٤٤ - شرح الجمل لابن عصفور - تحقيق د. صاحب أبي جناح -
القاهرة ١٩٧١ م
٤٥ - شرح ديوان الحماسة للتبريزي - تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد - القاهرة ١٣٣١ هـ
٤٦ - شرح ديوان علقمة وطرفة وعنتره - تحقيق وشرح نخبة من
الادباء - بيروت ١٩٦٨ م
٤٧ - شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس - تحقيق د.
أحمد خطاب العمر - بغداد ١٩٧٣ م
٤٨ - شرح القصائد السبع لابن كيسان - صورة غن شريط محفوظ
في المكتبة المركزية لجامعة بغداد .
٤٩ - شرح المعلقات السبع للوزني - مكتبة للمعارف - بيروت
١٩٧٥ م
٥٠ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري -
تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٩ م
٥١ - شرح القصائد العشر للتبريزي - تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد - القاهرة ١٩٦٤ م

- ط -

- ٥٢ - طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي - تحقيق
محمد أبي الفضل ابراهيم - القاهرة ١٩٥٤ م

-ع-

- ٥٣ - العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٢٧ م
٥٤ - العمدة لابن رشيقي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥٥ م
٥٥ - العين للخليل بن احمد الفراهيدي - تحقيق السامرائي والمخزومي - بغداد ١٩٨٠ م

-ف-

- ٥٦ - فهرسة ابن خير الإشبيلي - تحقيق زيبدين وطرغوه - القاهرة ١٩٦٣ م
٥٧ - الفهرست لابن النديم - تحقيق رضا تجدد - طهران ١٩٧١ م
٥٨ - فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس - عبد الحفيظ منصور - دار الفتح ١٩٦٩ م

-ق-

- ٥٩ - القرآن الكريم

-ك-

- ٦٠ - كتاب سيبويه - المطبعة الاميرية ببولاق - مصر ١٣١٦ هـ
٦١ - كشف الظنون لحاجي خليفة - تحقيق يالتقايا والكليسي - استانبول ١٩٤١ م
٦٢ - الكنى والالقب للقمي - مطبعة العرفان - صيدا ١٩٣٩ م

-ل-

- ٦٣ - لسان العرب لابن منظور - نشر دار صادر ودار بيروت - بيروت ١٩٥٥ م

-م-

- ٦٤ - مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٤٨ م
٦٥ - مجلة الاقلام - العدد ٤ من السنة ١٠ - بغداد ١٩٧٤ م
٦٦ - مجلة المورد - العدد ٤ - بغداد ١٩٨٠ م
٦٧ - المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده - القاهرة ١٩٥٨ م
٦٨ - مرآة الجنان لليافعي - مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٣٨ هـ
٦٩ - مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي - تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم - القاهرة ١٩٥٥ م
٧٠ - المرشد الى آيات القرآن الكريم وكلماته - محمد فارس بركات - دمشق ١٩٥٧ م
٧١ - المزهر للسيوطي - تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم

وجماعة - القاهرة ١٩٥٨ م

- ٧٢ - المستشرقون - نجيب عفيفي - القاهرة ١٩٦١ م
٧٣ - مشكل اعراب القرآن لمكي بن ابي طالب القيسي - تحقيق د. حاتم صالح الضامن - بغداد ١٩٧٥ م
٧٤ - معجم الادباء لياقوت الحموي - مراجعة وزارة المعارف - القاهرة ١٩٣٦ م
٧٥ - معجم الفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية - القاهرة ١٩٧٠ م
٧٦ - معجم البلدان لياقوت الحموي - مكتبة الاسدي - طهران ١٩٦٥ م
٧٧ - معجم المطبوعات المربية والمعرية لسركيس - مطبعة سركيس - القاهرة ١٩٢٨ م
٧٨ - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة ١٣٦٤ هـ
٧٩ - مملقات العرب - د. بدوي طبانة - القاهرة ١٩٥٨ م
٨٠ - مفتاح السعادة لطاش كويري زاده - تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب ابي النور - القاهرة ١٩٦٨ م
٨١ - مقدمة ابن خلدون - المطبعة الازهرية - القاهرة ١٩٣٠ م
٨٢ - المنتظم لابن الجوزي - مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ هـ
٨٣ - الموفقي في النحو لابن كيسان - تحقيق الفتلي وشلاش - مجلة المورد - بغداد ١٩٧٥ م
-ن-
٨٤ - النجوم الزاهرة لابن تغري بردي الاتاكي - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٦ م
٨٥ - نزهة الالباء لابي البركات الانباري - تحقيق د. ابراهيم السامرائي - بغداد ١٩٥٩ م
٨٦ - نور القبس من المقتبس للفيومري - تحقيق رودلف زلهام - فسبان ١٩٦٤ م

-ه-

- ٨٧ - هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي - نشر وكالة المعارف - استانبول ١٩٥١ م

-و-

- ٨٨ - الوافي بالوفيات للصفي - تحقيق هيلموت ريتز - فسبان ١٩٦١ م
٨٩ - الوساطة للجرجاني - مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة ١٩٤٥ م
٩٠ - وفيات الاعيان لابن خلكان - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٤٨ م

- ① ابن شرف القيرواني حياته وادبه - حلمي ابراهيم الكيلاني، ط - ١، عمان (الاردن) مؤسسة البلسم للنشر والتوزيع ١٤١٨ - ١٩٩٨، ٢٦١ ص
- ② الاثر الارسطي في النقد والبلاغة العربيين الى حدود القرن الثامن الهجري (مجموعة بحوث)، ط - ١، الرياض، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، ١٤١٩ - ١٩٩٩
- ③ ارجوزة الفواكه النصفية والخريفية - لابي الحسن علي ابن ابراهيم الاندلسي المراكشي الذي كان حيا في اواسط القرن الحادي عشر للهجرة - تج : د : عبد الله بنصر العلوي، ط - ١، ابو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤١٩ - ١٩٩٩، ١١٨ ص، انسلسلة الاندلسية (الكتاب الثالث)
- ④ الاشارة الى مذهب اهل الحق - لابي اسحاق الشيرازي جمال الدين ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشافعي (٣٩٣ - ٤٧٦ هـ / ١٠٠٣ - ١٠٨٣ م) غ : د : محمد السيد الجليلند وشاركه في التحقيق احمد بهجت وامل لطفي، ط - ١، القاهرة، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في مصر (مركز السيرة والسنة المطهرة) ويتصدى المؤلف فيه لبعض مسائل عام الكلام من وجهة نظر الاشاعرة وقد ذيله محققه بدراسة وافية وازن فيها بين آراء الاشاعرة واهل السنة
- ⑤ الانتاع لما حوى تحت القناع للمطرزي برهان الدين ابي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي الخوارزمي الذهوي اللغوي (٥٢٨ - ٦١٠ هـ / ١١٤٣ - ١٢١٣ م) تج : د : محمد حمد الدالي ود : سلامة عبد الله السويدي، ط - ١، قطر، جامعة قطر، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، ٥٤١ ص وهو معجم من معاجم المعاني وقد ضبط ضبطا تاما وزود بالتعليقات الموضحة وبمشرة فهارس لتيسير المراجعة
- ⑥ الالفية في الآداب الشرعية - للمرداوي شمس الدين ابي عبد الله محمد بن عبد القوى بن بدران القدسي المرداوي الفقيه المحدث (٦٣٠ - ٦٩٩ هـ / ١٢٢٣ - ١٢٩٩ م) . اعتنى بالالفية وضبطها محمد بن ناصر اماجمي، ط - ١، بيروت، دار البشائر الاسلامية، ١١٦ ص
- ⑦ كتاب الامثال - للاصمعي ابي سميذ عبد الملك بن قريب ابن عبد الملك الباطلي المصري (١٢٢ - ٢١٦ هـ / ٧٤٠ - ٨٣١ م) جمع نصوصه وحققها وقدم لها المرحوم د : محمد جبار المعويد، ط - ١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام، ١٤٢١ هـ -

- ٢٠٠٠ م، ٤٠٠ ص وقد جمع الكتاب وحققه ايضا د : اياد عبد المجيد ابراهيم وصدرت طبعته الاولى في عمان (الاردن) عن دار الوراق عام ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
- ⑧ انقاذ اللغة من ايدي النحاة - احمد درويش مجموعة مقالات عدتها خمس نشرت أولا في جريدة الاهرام خلال عام ١٤١٦ - ١٩٩٦ صدرت طبعتها الاولى في دمشق عن دار الفكر في ٨٧ ص
- ⑨ البناء الفني في شعر الهذليين دراسة تحليلية - د : اياد عبد المجيد ابراهيم، ط - ١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ٣٨٩ ص
- ⑩ بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي - امجد القادر من محمد بن احمد الشاذلي الشافعي المصري (... - ٩٣٥ هـ / ... - ١٥٢٩) د : عبد الله نبهان، ط - ١، دمشق، مجمع اللغة العربية ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م، ٢٦٥ ص
- ⑪ تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس - تأليف : جاسم بن محمد القاسمي، ط - ١، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩ - ١٩٩٩، ٢٧٢ ص
- ⑫ تاريخ العرب في بلاد الاندلس - محمود السيد، ط - ١، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩ - ١٩٩٩، ١٥٨ ص
- ⑬ تبصرة الغافل وتذكرة العاقل - لمحمد الطيب بن مسعود المديني (... - ١١٤٥ هـ / ... - ١٧٣٢ م) تج : بسام محمد بارود، ط - ١، ابو ظبي، المجمع الثقافي ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠، ٤٢٠ ص، السلسلة الاندلسية - الكتاب الثاني
- ⑭ التجريد في الخلافات (كتب الاقرار والعارية والغصب والشفعة) لابي الحسين القدوري احمد بن محمد بن احمد بن جعفر الفقيه الحنفي البغدادي (٣٦٢ - ٤٢٨ هـ / ٩٧٣ - ١٠٣٧ م) دراسة وتحقيق : عبد الرؤوف محمد علي رسالة ماجستير باشراف د : سيد محمد السيد الفار كلية الدراسات الاسلامية والعربية، جامعة الازهر، ٤٠٠ ص منها ٦٦ ص للدراسة والباقي للنص المحقق
- ⑮ تدبير الاطفال في التراث العربي - محمود مصري رسالة

ماجستير في العلوم الطبية ، قسم تاريخ العلوم الطبية ، معهد التراث العلمي العربي ، جامعة حلب ، باشراف د : عبد الكريم شحادة ود : محمد علي سريم ، ٤٧٩ ص

● التراث العربي المخطوط في فلسطين . الندوة السنوية الرابعة التي اقامها معهد المخطوطات العربية في القاهرة في ٢١ - ٢٢ سبتمبر عام ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م

● التراث العلمي العربي : مناهج تحقيقه واشكالات نشره وهي الندوة الثالثة في سلسلة ندوات (قضايا المخطوطات) التي عقدها معهد المخطوطات العربية في القاهرة في يومي ٦ - ٧ ديسمبر ١٤١٩ - ١٩٩٩

● تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه - محمد بن عبد الله التليدي ط - ١ ، بيروت ، دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

● تراثنا وفجر العلم الحديث - محمد وائل الاتاسي ، ط - ١ ، دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ٢١٤ ص

● التضمين في القرآن الكريم دراسة وتطبيق - احلام محمد الصمادي رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، الجامعة الاردنية باشراف د : فضل حسن عباس وعضوية مصطفى المشني وفريد مصطفى السلطان وسعيد جاسم الزبيدي ونوقشت في ١٢ شوال ١٤٢٠ الموافق ١٢ / ١ / ٢٠٠٠

● كتاب التيسير في صناعة التفسير - للشيخ ابي عمرو بكر ابن ابراهيم بن المجاهد الاشبيلي الاندلسي شرحه وحققه وقارنه ووضع صورته السعيد بنموسى ، ط - ١ ، الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٠٧ ص

● الحداثة العباسية في قرطبة : دراسة في نشأة الموشحات الاندلسية - د : سليمان العطار ، ط - ١ ، مدريد ، منشورات المعهد المصري للدراسات الاسلامية ١٤١٨ - ١٩٨٨ ، ٢٥٦ ص

● حركة نشر الكتب العراقية دراسة ميدانية للكتب المنشورة والناشرين للفترة ١٩٧٥ - ١٩٩٤ د : هيام نائل الدواف ط - ١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ٢٨٢ ص

● الخلاصة النافعة بالادلة القاطعة في فوائد التابعة - للحفيد احمد بن الحسن الرصاص الزبيدي اليميني (... - ٦٥٦ هـ / ... - ١٢٥٨ م) تحقيق ودراسة للمتن والشرح - نشمي العنزي رسالة ماجستير في الفلسفة الاسلامية باشراف د : حامد طاهر نائب رئيس جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، وتابعة الهدي للقاضي شمس الدين جعفر بن احمد بن ابي يحيى الزبيدي (ت ٥٧٣ هـ) احدى متون المعتزلة التي ابانت عن عقيدة الزيدية التي اخذت بعقيدة المعتزلة

● داعي الفلاح الى سبل النجاح - لسبط المرصفي زين العابدين محمد بن محمد الغمدي الشافعي الاديب (... -

٩٦٥ هـ / ... - ١٥٥٨ م) يقوم : محمد عباس حلمي محمد بتحقيقه باشرافه الشيخ فهد محمد علوي شلتوت رئيس لجنة التراث العربي في المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة

● دراسات في تاريخ المغرب والاندلس - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، ط - ١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٣٢٣ ص

● دراسة الاستثناء بين النحويين والاصوليين - عبيد جابر علي عمران رسالة ماجستير باشراف د . طاهر سليمان حمودة وعضوية د : زين كامل الخويسكي ومحمد عبد الله سلومة ، قسم اللغة العربية ، كلية الاداب جامعة الاسكندرية نوقشت في عام ١٤١٩ - ١٩٩٩ ومنحت عنها الدرجة بتقدير ممتاز

● الدرس الدلالي في كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد - لابن رشد الاندلسي - عمرو خاطر عبد الفني وهذان رسالة ماجستير باشراف د . طاهر حمودة سليمان قسم اللغة العربية . كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية نوقشت ومنح عنها الدرجة بتقدير ممتاز

● الدولة الفاطمية في مصر : تفسير جديد - د : ايمن فؤاد سيد ، ط - ١ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ١ - ٣ ج في ٨١٥ ص مع المصادر والمراجع والكشافات وتعد من الدراسات الرصينة التي عول فيها المؤلف على مواد ومصادر جديدة او التي اكتشفها حديثاً واعاد النظر في المواد والمصادر المعروفة بنظرة تحليلية دقيقة وقراءة متأنية

● ديوان ابن البار ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي البلنسي الاندلسي الشاعر الكاتب (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ / ١١٩٩ - ١٢٥٩ م) تحقيق وتعليق عبد السلام الهراس ، الرباط ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٤٢٠ - ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م

● ديوان الأفوه الأودي صلاة بن عمرو (جاهلي) شرح وتحقيق د : محمد التونجي ، ط - ١ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ١٢٦ ص

● ديوان توبة بن الحمير العقيلي العاصري (ت ٨٥ هـ) - عني بتحقيقه وشرحه المرحوم د : خليل ابراهيم العطية (١٩٣٦ - ١٩٩٨ م) ط - ٢ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ١١٠ ص

● ديوان زهير بن جناب الكلبي (جاهلي) صنعة د : محمد شفيق البيطار ط - ١ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٤٠ ص

● ديوان المرقشين المرقش الاكبر عمرو بن سعيد المتوفى عام ٥٧ ق هـ والمرقش الاصغر عمرو بن حرملة المتوفى عام ٥٠ ق هـ تح : كارين صادر ، ط - ١ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ١٢٦ ص

● ديوان النمر بن تولب العكلي د (ت ١٤ هـ / ٦٣٥ م) جمع وشرح وتحقيق د : محمد نبيل طريفي ، ط - ١ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ١٨٣ ص

● الرحلة الزاهرة في أخبار درعة العامرة - للمهدي الناصري إلفقيه (... - ...) اعداد وتقديم : احمد البوزيدي ، ط - ١ ، الدار البيضاء ، منشورات مجلة أمل للتاريخ والثقافة والمجتمع ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٨٢ ص

● رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني - تح : بسام محمد بارود ، ط - ١ ابو ظبي (دولة الامارات العربية المتحدة) ، منشورات المجمع الثقافي ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ٤٣٠ ص ، سلسلة رسائل مغربية (الكتاب الأول)

● الرسالة الادبية في النثر الاندلسي - فوزي عيسى ، ط - ١ ، الاسكندرية دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ٢٤٠ ص

● من تاريخ الطب العربي بافريقية زاد المسافر المقالة السادسة في الادواء التي تعرض في آلات التناسل - لابن الجزار ابي جعفر احمد بن ابراهيم بن الجزار (٢٨٤ - ٣٦٩ هـ / ٨٩٨ - ٩٨٠ م) تحقيق وتقديم : د : جمعة شيخه والراضي الجازي ، تونس ، ١٤١٩ - ١٩٩٩

● السماع : شعر صوفي اعده للنشر وقدمه جعفر الكلسوسي ط - ١ ، الدار البيضاء ، دار تويقال ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٥٤ ص

● شاهد على العصر سيوطي مصر في القرن العشرين : د : محمد عبد المنعم خفاجي - بقلم الاستاذ المحقق : هلال ناجي ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٩٦ ص

● شروح شعر المتنبي ١ - المستدرك على ابن جني فيما شرحه من شعر المتنبي خمسون نصاً من كتاب مفقود لابي الفضل العروضي احمد بن عبد الله بن يوسف الصفار (٣٣٤ - ٤١٦ هـ) ٢ - التجني على ابن جني لابن فوزجة البروجودي (٤٠٠ - ٤٥٥ هـ) ٣ - شرح المشكل من شعر المتنبي - لابن القطاع الصقلي ابي القاسم علي بن جعفر السعدي الاديب اللغوي (٤٣٣ - ٥١٥ هـ / ١٠٤١ - ١١٢١ م) تح : المرحوم د : محسن غياض عجيل (١٩٣٤ - ١٩٩٩) ط ١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ٢٢٠ ص

● شعر قبيلة لُلب حتى نهاية العصر الاموي - جمع وتحقيق : احمد محمد علي عبيد ، ط - ١ ، (ابو ظبي دولة الامارات العربية المتحدة) منشورات المجمع الثقافي ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ٥٥٠ ص جمع فيه شعر تسعة وسبعين شاعراً جاهلياً وشعر واحد وسبعين شاعراً اسلامياً واموياً

● الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي - نواة المريني ، ط ١ الرباط منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٥٢٦ ص

● شعراء النصرانية في الجاهلية والاسلام حتى نهاية القرن الثاني الهجري (دراسة تاريخية وصفية تحليلية) - عبد المجيد الاسداوي . مجلة الآداب والعلوم الانسانية المجلة

العلمية لكلية الآداب (جامعة المنيا) مج ٣٤ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٢٩٧ ص

● معجم شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم - للعلامة نشوان بن سعيد بن نشوان اليميني الحميري الفقيه الاصولي الاديب الشاعر (... - ٥٧٣ هـ / ... - ١١٧٨ م) وهو معلمة معجمية مبسطة . تح : حسين بن عبد الله العمري ود : يوسف محمد عبد الله ود : مطهر بن علي الارياني ، ط - ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١ - ١٢ مجلداً كبيراً اقتصر المجلد (١٢) على الفهارس وهي الطبعة الاولى التامة للكتاب - فيما نعلم -

● صحيح البخاري دراسة صرفية - مها ابراهيم عبيد الدليمي رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها باشراف الاستاذ د : هاشم طه شلاش النعيمي ، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ١٦٨ ص

● الصفة المشبهة دراسة صرفية ونحوية - هدى محمد صالح عبد الجبار العبيدي رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها باشراف الاستاذ د : هاشم طه شلاش النعيمي ، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد (١٤١٩ - ١٩٩٨) ١٦٧ ص

● ظاهرة التخفيف في العربية دراسة صرفية - صوتية - محمد زين بن شهاب رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها باشراف الاستاذ د : هاشم طه شلاش النعيمي ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ٢٠٤ ص

● فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال - لابن رشد الحفيد ابي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد القرطبي الاندلسي (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨ م) تح : محمد عبد الواحد العسري صنع المدخل والمقدمة التحليلية د : محمد عابد الجابري في (٧٠) صفحة تقريباً ، ط - ١ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٣٤ ص

● فقه العربية المقارن : دراسات في اصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية - رمزي منير بعلبكي ، ط - ١ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٧٨ ص

● فهارس شرح نهج البلاغة - لابن ابي الحديد عز الدين ابي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني البغدادي المعتزلي (٥٨٦ - ٦٥٦ هـ / ١١٩٠ - ١٢٥٨ م) اعداد : عادل عبد الجبار الشاطي ، ط - ١ ، بيروت ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ٧٠١ ص ويعد من اوسع الفهارس التي خصت شرح نهج البلاغة بالتكشيف والفهرسة

● فهارس علماء المغرب منذ النشأة الى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة : منهجيتها وتطورها ، قيمتها العلمية - د : عبد الله المرابط الترغي ، تطوان ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٧٠٣ ص

● الفهارس المفصلة لـ (الفصول والغايات للمعري)
صنعة د : السعيد السيد عبادة ، ط - ١ ، القاهرة ، معهد
المخطوطات العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،
١٤١٩ - ١٩٩٩ ، سلسلة وكشافات تراثية - ٣)

● في محراب المعرفة : دراسات مهداة الى د : احسان
عباس : كتاب تكريمي اشتمل على بحوث تراثية ومعاصرة ، ط -
١ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ودار الغرب الاسلامي
● قبس من عطاء المخطوط العربي ومجموعة
دراسات (- للمرحوم العلامة محمد المنوني ، ط - ١ ، بيروت ،
دار الغرب الاسلامي ، ١ - ٤ ج ، ٥٣٩ ص + ٥٨٢ ص +
٢٨٤ ص + ٢٩٤ ص

● الكامل في التاريخ - لابن الاثير عز الدين ابي الحسن
علي بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري
الموصللي (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ - ١٢٣٣ م) تح : د :
عمر عبد السلام تدمري ، ط ٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ،
١٤٢٠ - ١٩٩٩ - ١ - ١١ ج ، اقتصر (ج ١١) على
الفهارس الفنية وشملت الآيات الكريمة والاحاديث النبوية
والشريفة وفهرس الاشعار وفهرس الاعلام والقبائل وفهرس الاماكن
والبلدان وفهرس المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق وقد
اعاد تدمري تحقيقه معمولا على الطبعة الاوربية أولا وطبعة
المنيرية وطبعة دار صادر بيروت ولم يعتمد في اخراجه على
مخطوطات جديدة وهذا ليس من شرائط التحقيق العلمي وقواعده
المعروفة

● الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة - لابن رشد
الحفيد ابي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد القرطبي
الاندلسي (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨ م) تح :
مصطفى حنفي . صنع المدخل والمقدمة التحليلية في ٨٨ ص ،
د . محمد عابد الجابري ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،
٢١٧ ص مع المقدمة والنص والفهارس ، سلسلة مؤلفات ابن رشد
(٢)

● الكليات في الطب - مع معجم بالمصطلحات الطبية
العربية - لابن رشد الحفيد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ -
١١٩٨ م) حقق النص وقدم له : احمد محفوظ منسق المشروع
وحرر المدخل والمقدمة التحليلية والشروح د : محمد عابد
الجابري المشرف على مشروع سلسلة التراث الفلسفي العربي
٦٦٢ ص مع الفهارس الفنية المفصلة

● اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الاعارف -
لابي موسى محمد بن عمر بن احمد بن عمر المديني الشافعي
الحافظ اللغوي (٥٠١ - ٥٨١ هـ / ١١٠٨ - ١١٨٥ م)
حققه وعلق عليه وخرج احاديثه : ابو عبد الله محمد علي سمك ،
ط - ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م ٢٤٤
ص

● المباحث اللغوية في خزانة الادب ولب لباب لسان العرب
لمحمد القادر البغدادي - عبد العزيز عبد الكريم التويجري رسالة

دكتوراه باشراف د : علي حسين البواب وعضوية سليمان ابراهيم
العابد واحمد رزق مصطفى السواحلي ، كلية اللغة العربية ،
الرياض

● مجموعة رسائل ابن الجوزي في الخطب والمواعظ
والحكايات والفوائد العامة الكتاب الاول (اليواقيت) الكتاب
الثاني (عجيب الخطب) الكتاب الثالث (رؤوس القوارير)
الكتاب الرابع (ملئقط الحكايات) حقق الكتاب وعلق عليه
الاستاذ المحقق : هلال ناجي - ط - ١ ، لندن ، دار الحكمة
١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ٢٧٠ ص

● محمد الكتاني منظومة جدلية : اعمال مهداة الى الدكتور
محمد الكتاني بمناسبة الندوة الدولية المنعقدة بتطوان ايام
٢٣ - ٢٥ شوال ١٣١٩ / ١٠ - ١٢ فبراير ١٩٩٩ ، ط -
١ ، تطوان ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ١٤١٩ -
١٩٩٩ ، ١٦٦ ص + ١١ ص

● مخطوطات فلسطين واقع وطموح (بيت المقدس) -
فؤاد محمد خليل راجعه : سعيد نعيم وقدم له : محمد بحيص ،
منشور : مركز الارشيف الوطني الفلسطيني ، ٩٣ ص

● المخطوطات وحفظ اوعية المعلومات ندوة علمية اقامتها
المكتبة الوطنية بالحاح (الجزائر) برعاية وزارة الاتصال
والثقافة يومي ١٦ - ١٧ اكتوبر ١٩٩٩

● المرأة بين احكام الفقه والدعوة الى التغيير - عبد الكريم
الملوي المدغري ط - ١ ، المحمدية (المغرب) مطبعة فضالة ،
١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٩٩ ص

● المرأة في الغرب الاسلامي منذ قيام دولة المرابطين
حتى سقوط مملكة غرناطة (٤٦٢ - ٨٩٧ هـ / ١٠٧٠ -
رواية ١٤٩٢ م - راوية عبد الحميد حسنين رسالة دكتوراه
بتقدير ممتاز باشراف د . سعد زغلول عبد الحميد ، كلية الآداب ،
جامعة الاسكندرية

● المستطرف من كل فن مستظرف - للابشيهي شهاب
الدين ابي الفتح محمد بن احمد بن منصور (٧٩٠ -
٨٥٢ هـ / تح ١٣٨٨ - ١٤٤٨ م) تح : ابراهيم صالح ط -
١ ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١ - ٣ مج اعتمد المحقق في
نشره وتحقيقه على مخطوطتي المكتبة الظاهرية في دمشق فضلا
عن طبعات الكتاب المختلفة وصنع له فهارس متنوعة تيسر
مراجعته والافادة منه وهذه اول طبعة محققة للكتاب - فيما
اعلم -

● مصطلحات التصوف من واقع كتاب مراجع التشوف الى
حقائق التصوف عربي - فرنسي - لابن عجيبه الفاسي ابي
العباس احمد بن محمد بن المهدي الحسني الادريسي الشاذلي
الصوفي المفسر (١١٦٠ - ١٢٢٤ هـ / ١٧٤٧ -
١٨٠٩ م) اعداد وتقديم : عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة ،
مكتبة مدبولي ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٩ ص + ٤٨ ص

● معجم الشعراء الجاهليين - اعداد : عزيزة فوال بابتي ،

ط - ١ ، بيروت دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ م
٤٢٣ ص

معجم الشعراء العباسيين معجم بيبليوغرافي بالشعراء
ومصادر دراستهم ومراجعها اعداد : عفيف عبد الرحمن ، ط - ١ ،
بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م ٦٨٠
ص

معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق - لابن عساكر
تقي الدين ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المؤرخ
(٤٩٩ - ٥٧١ هـ / ١١٠٥ - ١١٧٦ م) استخراج الكتاب
وحققه وضبط نصوصه د : حسام الدين فرفور باشراف د : شاعر
الفحام وتقديمه ، ط - ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية
المتحدة) منشورات المجمع الثقافي ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ج -
١ ، ٤٩٢ ص واشتمل الكتاب على دراسة عن ابن عساكر
وتاريخه في ١٥٠ ص تقريباً ثم تراجم الشعراء على حروف أ ،
ب ، ت ، ج وقد بلغ تعدادهم ٤٩ شاعراً وطبع الكتاب في دمشق ،
وصدر عن دار الفكر

المعجم في الاساليب الاسلامية والعربية - تصنيف ،
محمد اديب عبد الواحد جُموان ، ط - ١ ، الرياض ، مكتبة
العبيكان ، ٧٥٠ ص

المعين في طبقات المحدثين - للذهبي شمس الدين ابي
عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ /
١٢٧٤ - ١٣٤٨ م) وضع حواشيه ، محمد السعيد بن
بسيوني زغلول ، ط - ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ -
١٩٩٨ م ٤٣٠ ص

مقالات في العربية - د : مازن المبارك ، ط - ١ ،
دمشق ، دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٢١
ص

المقامات النظرية (المقامات الهندية) - لابي بكر بن
محسن باعبود الحضري ومن علماء القرن الثاني عشر الهجري (
تج : عبد الله محمد الحبشي ، ط - ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات
العربية المتحدة) منشورات المجمع الثقافي ، ١٤٢١ هـ -
٢٠٠٠ م

المقرب ومعه مثل المقرب - لابن عصفور ابي الحسن
علي ابن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي الاشبيلي الاندلسي
اللغوي النحوي ٥٩٧ - ٦٦٩ هـ / ١٢٠١ - ١٢٧١ م) تج
وتعليق ودراسة : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معرض ،
ط - ١ ، بيروت دار الكتب والعلمية ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ٦٤٨
ص ٣ - ٦ انقراصة ، ٥٦ - ٦١ لوحات ، ٦٦ - ٥٦٠ المقرب
ومثل المقرب ٥٦١ - ٥٨٧ فهارس المقرب ٥٨٨ - ٦٠٣
فهارس مثل المقرب ٦٠٤ - ٦٢٤ فهرس مراجع التحقيق
ومصادره ، ٦٢٥ - ٦٤٨ فهرس الموضوعات

المقصود المحمود في تلخيص العقود - لابي الحسن
علي ابن يحيى بن القاسم الجزري الاندلسي المالكي القاضي
الفتية (... - ٥٨٥ هـ / ... - ١١٨٩ م) دراسة وتحقيق

اسونثيون فريس ، ط - ١ ، مدريد ، منشورات المجلس الاعلى
للابحاث الاسلامية ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ٤٨٥ ص

من اغلاط المثقفين - المرحوم ابراهيم الوائلي
(١٣٣٢ - ١٤٠٨ م / ١٩١٤ - ١٩٨٨ م) غني بجمعه
وتحقيقه ودراسة د : ناهي ابراهيم العبيدي وحسن مصطفى
فرحان ، ط - ١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق
عربية) وزارة الثقافة والاعلام ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ،
٢٢٢ ص

مناهج النقد الادبي بالمغرب خلال القرن الثامن
للهجرة - علل الغازي ط - ١ ، الرباط ، منشورات كلية الآداب
والعلوم الانسانية ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ م ٧٨٣ ص

منتهى الطلب من اشعار العرب - جمع واختيار ابي
غالب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي (٥٢٣ -
٥٩٧ هـ / ١١٢٩ - ١٢٠١ م) تج د : محمد نبيل طريفي ،
ط - ١ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤١٩ -
١٩٩٩ ، ١ - ٩ ج ، ٤٤٧ ص + ٤١٤ ص + ٤١٢ ص +
٤٣٨ ص + ٤٣٠ ص + ٤٣٩ ص + ٤١٤ ص + ٤١٤
ص + ٤٨٧ ص

نظرية السياق في التراث البلاغي من القرن الثالث الى
القرن الخامس الهجري - بثينة احمد سليمان رسالة دكتوراه
باشراف د : مصطفى الصاوي الجويتي وعضوية د : محمد زكي
العشماوي ومي يوسف خليف ، قسم اللغة العربية كلية الآداب
جامعة الاسكندرية اجيزت عام ١٤١٩ - ١٩٩٩

النكت في تفسير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه
وشرح ابياته وغريبه - للاعلم الشنتمري ابي العجاج يوسف بن
سليمان بن عيسى الاندلسي اللغوي النحوي (٤١٠ -
٤٧٦ هـ / ١٠١٩ - ١٠٨٤ م) دراسة وتحقيق : رشيد
بلحبيب ، ط - ١ ، الرباط ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ،
١٤٢٠ - ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ ، ١ - ٣ ج

هل انتهت اسطورة ابن خلدون ؟ : جدل ساخن بين
الاكاديميين والمفكرين العرب - محمود اسماعيل ، القاهرة ، دار
قباء ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ٣٣٥ ص

وسائل المبالغة والتعظيم في العربية دراسة لغوية مع
التطبيق في القرآن الكريم - جمال الدين احمد علي رسالة
دكتوراه باشراف د : طاهر سليمان جودة ، كلية الآداب جامعة
الاسكندرية

آفاق الثقافة والتراث مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر
عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة
والتراث في دبي / دولة الامارات العربية المتحدة ع ٢٧ - ٢٨ ،
س ٧ د (١٤٢٠ - ٢٠٠٠) ٥٧ - ٦٢ السيرة الذاتية
والغيرية في كتاب بهجة العابدين - حسان فلاح اوغلي ١٨٥ -
١٨٦ عرض كتاب : كشاف التاريخ الطبي الحديث لدولة الامارات
العربية المتحدة اعداد : محمد الصانق جعفر وروبرت لي هل -
عرض د : الحاج سالم مصطفى ٦٣٠ - ٩٠ فهرس مخطوطات

لا الموريسكيون - عبد العزيز بن عبد الله ٩ - ١١٧ صغوية اندماج الموريسكيين في المجتمع المغربي - الحسين بوزينب ، ١٧ - ٢٦ المغرب مهاجر الاندلسيين - محمد بن شريفة ٢٧ - ٥٢ من الهجرة الى التهجير - عبد الوهاب بن منصور • التراث العربي (دمشق) ع ٧٥ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٢٣ - ٢٧ الشعر الاندلسي في تواريخ الادب العربي - احمد عبد القادر ٣٨ - ٥١ الصورة الشعرية عند يحيى النزال د : محسن اسماعيل محمد ٧ - ١٦ عبد الملك بن زهر الاندلسي : مكانته العلمية وكتابه (الاغذية) - نصر الدين البجرة ٥٢ - ٧٢ قصر الحمراء في غرناطة صرح من ايام العرب - عبد الحكيم الذنون ١٧ - ٢٢ الموروثات المشرقية في العصر الاندلسي - الياس تيرس

• جرش للبحوث والدراسات (جامعة جرش / الاردن) ع ١ .. مج ٤ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ١٤١ - ١٧٤ قرة العين في الجمع بين الصلاتين للعلامة حامد بن حسن بن شاكر اليماني (ت ١١٧٢ هـ) تح ودراسة اسماعيل ابراهيم ابو شريعة ١٠٩ - ١٤٠ المسائل الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية لدى ابن خالويه في كتابه : اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - احمد فليح ٩ - ٣٦ نكبة المسلمين كما صورها ابو البقاء الرندي في قصيدته النونية - بقلم د : منجد مصطفى بهجت

• آفاق عربية (بغداد) ع ٧ - ٨ ، س ٥ (١٤٢١ - ٢٠٠٠) ٦٢ - ٦٩ اسباب وضع النحو في البصرة - د : عيد الجبار علوان النائلة ، ٧٠ - ٧٤ تطبيقات معالجة اللغات البشرية بالحاسوب والجهود الوطنية للنهوض بالترجمة العلمية د : داخل حسن جريو ٧٥ - ٨١ الدكتور حسين علي محفوظ في سيرته الثقافية نحن والتراث كمن وقف على سواحل بحر عظيم بقلم رزاق ابراهيم حسن ٨٢ - ٨٨ المرأة البغدادية وانشاء معاهد العلم في العصور العباسية بقلم الاستاذ ناجي محفوظ • الخلافة ووراثة النبوة : دراسة في الخلافة المبكرة -

بقلم ولغريد مادلونغ مطبعة جامعة كمبريدج ، ١٩٩٧ ، ٤١٣ ص مراجعة : ماهر جرار (الكتاب اصلاً باللغة الانكليزية وقد ترجمنا عنوانه الى العربية) ٥ - ٢٢ جبران والحركة الادبية العربية في الولايات المتحدة - بقلم : نديم نعيم

• النهاية في غريب الحديث - لابن الاثير الجزري الموصلي مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد بن محمد (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ / ١١٤٩ - ١٢١٠ م) دراسة لغوية محمد توفيق محسن الرغمان رسالة دكتوراه باشراف الاستاذ د : محمد حسين آل ياسين ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ٢٦٩ ص

• عبد الله بن عمر العبلي حياته وما بقي من شعره - للشيخ : مهدي عبد الحسين النجم مجلة / الذخائر (بيروت) ع ١ ، س ١ (١٤٢٠ - ٢٠٠٠) ١٨٥ - ٢٠٠

زاوية احمد بوزيد مولى القرقور بسريانة - ولاية باتنة - في الجزائر - بقلم : عبد الكريم عوفي ١٨٧ - ١٩١ كتب التراث المسجلة رسائل جامعية بالمغرب - جمال عزون ١٧٢ - ١٧٤ مخطوطات تقريرات وزيادات على حاشية اللبدي على شرح دليل الطالب المسمى بنيل المآرب شرح دليل الطالب للشيخ محمد بن سعيد بن عياش (... - ١٣٨٩ هـ / ... - ١٩٦٩ م) - عبد القادر احمد عبد القادر ١٦٨ - ١٧٢ مخطوطات نادرة : المستنير في القراءات العشر - لابن سوار ابي طاهر احمد بن علي بن عبيد الدين عمر بن سوار البغدادي - بقلم د : حاتم صالح الضامن ، ١٩ - ٢٢ المنظومات التقليدية وخصائصها - احمد حسن الخميس .

• كما صدر ع ٢٩ - ٣٠ ، س ٨ (١٤٢١ - ٢٠٠٠) ٦ - ٣١ تقييد على سورة الفاتحة لابن زكري محمد بن عبد الرحمن الفاسي المغربي المتوفى عام ١١٤٤ هـ . تقديم وتحقيق د : عبد الله محمد النقراط ١٠٣ - ١١٦ التوثيق العلمي للمسكوكات التاريخية باستخدام نظم المعلومات المحوسبة - يسرى صائق جلال ، ١١٧ - ١٣٦ جمعية التراث بالقراءة ومشروعها الطموح لحماية المخطوطات في منطقة وادي ميزاب (الجزائر) د : عبد الكريم عوفي ٧٠ - ٨٩ جهاز القراءة عند ابن نارس من خلال تلقيه لديوان الحماسة - محمد اقبال عروي ، ١٥٢ - ١٦٨ جوانب مجهولة من حياة العلامة المرحوم عبد العزيز الميمني الراجكوتي (١٨٨٨ - ١٩٧٨) بقلم د : ظهور احمد اظهر ، ٩٠ - ١٠٢ الخدمات الالكترونية المعاصرة : مدخل الى المعلوماتية - الاخضر ايدروج ، ١٦٩ - ١٨٩ زكريا الانصاري (٨٢٦ - ٩٢٦ هـ / ١٤٢٣ - ١٥٢٠ م) : مصنفاته واماكن وجود مخطوطاتها بقلم عبد القادر احمد عبد القادر احمد ٦١ - ٦٩ الشاهد الشعري وقضايا النقد والبلاغة في كتاب منهاج البلغاء وسراج الادباء : نموذج شعر المتنبي - د : محمد الحجري ، ٢١٤ - ٢٢١ كتاب المجالس الخطب الاسكافي ابي عبد الله محمد بن عبد الله الاديب اللغوي (... - ٤٢٠ هـ / ... - ١٠٢٩ م) بقلم د : حاتم صالح الضامن ، ٣٢ - ٤٤ ما ظهر لفظه وخفي معناه من كتاب الله تعالى - طه ياسين ناصر الخطيب (القسم الثاني) ، ٢٢٢ - ٢٣٩ مخطوطات اعمال الاعلام فيمن بوبع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام - للسان الدين بن الخطيب الاندلسي (٧١٣ - ٧٧٦ هـ / ١٣١٣ - ١٣٧٤ م) كشف لحقيقات التصنيف وفحص لمفردات العنوان - بقلم رابع عبد الله المغراوي ٤٥ - ٦٠ موت الدماغ في ضوء القواعد الشرعية واجتهادات العلماء - ريان توفيق خليل

• أخبار التراث العربي (القاهرة) ع ٨٦ مج ٨ (١٤٢١ - ٢٠٠٠) ٣٩ ص

• الاكاديميه (الرباط) ع ١٥ (١٤١٨ - ١٩٩٨) ٧٩ - ٨٩ اضواء على موقف المغرب تجاه الاندلسيين في العهد السعدي الاول . محمد رزوق ٥٣ - ٧٧ الاندلسيون